نقطة..
ومن أول السطر

رواية

obeikandl.com

عفيفي، أمل صديق .
نقطة ومن أول السطر / أمل صديق عفيفي
. ــ ط1. ــ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2010 .
232 ص ؛ 21 سم .
تدمك : 9 - 623 - 427 - 977 - 978
1 - القصص العربية .
أ ــ العنوان 813
رقم الإيداع : 15423 / 2010

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت - القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : شوال 1431هـ - سبتمبر 2010م

تصميم الغلاف الفنانة : هنادي سليط

obeikandl.com

نقطة..
ومن أول السطر

رواية

أمل صديق عفيفي

الدار المصرية اللبنانية

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى أعز من لديّ:

إلى من أنا بعض منهما..

وإلى من هما بعض مني..

إلى أمي وأبي اللذين جعلاني أعرف

معنى الأسرة بحق..

حتى تمنيت أن يعيشها

كل طفل وطفلة على وجه الأرض..

وإلى أولادي

أحمد بشبابه المتدفق

وعاليا بجمالها الفائق

وأدهم بحنانه المفرط

مع أعمق أمنياتي لهم

بالرضا والسعادة الدائمين..

أمل صديق عفيفي

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر خاص

إلى أيمن عفيفي الذي ساعدني في اختيار عنوان هذه الرواية، وبشار شيبارو وأشرف بكر على ثقتهما فيَّ، وحنان جميل، وأمل وأماني حسن صبحي، وسحر عبد العزيز، وميسي لطفي، وخالد الحويطي على تشجيعهم لي..

وأيضًا:

إلى رفاقي في رحلة من أجمل رحلات العمر..

فشكرًا للينا عفيفي على الفكرة

وأكرم فهمي على التخطيط

وكامل جلال على التنفيذ

ونائلة على النصائح الغالية

ود.كاميليا كامل على القلب الكبير

ولمراد، وحسن، وحسين، وباسل، وسالم على أنهم كانوا معنا..!

obeikandl.com

obeikandl.com

-1-

أدارت ريهام مصطفى المفتاح لتفتح باب شقة والديها بمنيل الروضة بعد يوم طويل من العمل بفرع بنك مانهاتن في المهندسين، فوجدت نجف البيت كله مضاء، والستائر مفتوحة، وسمعت أصواتًا نسائية تتحدث ببهجة تملأ المكان، فلما أدارت عينيها إلى مصدر الصوت وجدت صالة الاستقبال وغرفة الصالون الوردي الملحقة ممتلئتين بالزوار، وبالرغم من أن والدتها كانت قد أخبرتها مقدمًا بميعاد حضور خالتها فيفي وجارتها ابتسام مع ابنها مدحت، إلا أنها شعرت بالخوف والرهبة يسريان في عروقها عندما رأتهم.. فها هوذا عريس جديد يجلس في آخر الصالون منتظرًا معاينتها، وإطلاق حكمه عليها.. حكم يطلقه بعد دقائق معدودات على شكلها، وشخصيتها، واهتماماتها، وكل حياتها.. حكم يطلقه ويعلنه لوالدته ووالدتها وخاله وخالتها وأخواته وأخواتها، وكل من مر عليه في ذلك اليوم، حكم يطلقه في ثوان معدودات كأنه عرفها منذ سنوات..

شعرت ريهام بقلبها يغوص في صدرها وهي ترى جميع العيون محدقة فيها، وأمها تحاول أن تلطف الجو وهي تناديها ضاحكة:

- تعالي يا ريهام سلمي يا حبيبتي..

وكانت والدتها تحاول أن تبدو طبيعية، وتحاول أن تخفي حرجها لعدم قدوم ريهام في الميعاد، وعدم انتظارها واستعدادها لاستقبال العريس، متمتمة بكلمات غير مفهومة لا يكاد يسمعها أحد، عن عمل ريهام المهم في البنك، وكيف أنهم لا يستطيعون الاستغناء عنها في أي مشكلة، ووالدة العريس تهز رأسها بتفهم، وهي تنظر إلى ريهام من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها.

كانت ريهام متعبة ولم تأكل شيئًا منذ الصباح، فنظرت إليهم بابتسامة مرهقة ودارت عليهم تحييهم واحدًا تلو الآخر، والدتها وخالتها فيفي وابنة خالتها ثريا والعريس وأخته صديقة ثريا ومعهما والدتهما، ثم نظرت إلى طبق الفاكهة الممتلئ، وطبق الكيك الكبير، وإلى الجاتوه في الصينية الفضية اللامعة التي تتوسط مائدة الصالون المذهب، وأحست ببطنها يتلوى من الجوع، فقد نسيت تمامًا أن تأكل في زحمة اليوم.

قررت ريهام أن تذهب للمطبخ وتأكل شيئًا أولًا، قبل أن تضطر للجلوس معهم وهي لا تدري إلى متى تطول الزيارة، فاستدارت مبتعدة وهي على يقين من أن جميع العيون تتبعها.. وكادت تتعثر في السجادة، ولكنها وضعت يدها على كرسي مجاور ووقفت من جديد وهي تشعر بعيونهم تثقب ظهرها.. فعبرت الصالة مسرعة، ودخلت من باب المطبخ المفتوح، لتجد أباها يجلس على الكرسي الخشبي الصغير الملحق بالمائدة المربعة ذات المفرش المزركش، يشرب الشاي ويتصفح جريدة «الأهرام المسائي»، من خلال نظارته السميكة، فنظرت إليه مبتسمة، وقد شعرت براحة فورية عندما رأته جالسًا في هدوء بعد يوم طويل مشحون

بالتوتـر في عملها، طبعت قبلة على خده، وفتحت باب الثلاجة تبحث عن شيء سريع تأكله.

كان والـد ريهـام في أوائل عقده السـادس، يميل إلـى الامتلاء قليلًا، شعره الأبيض قد زحف تمامًا لآخر رأسه بحكم سنه، وأضفت عليه ابتسامته العريضة في استقبالها وقارًا وصفاءً، تعشقهما فيه، وكان أي شخص يراهما معًـا يدرك فـورًا أن ريهـام ابنته، فقد كانت بلون بشـرتها الخمـري وعينيها السوداوين الواسعتين أكثر أبنائه شبهًا له.

أخـذ والـد ريهام يتأملها بحـب وهي تتحرك في المطبـخ بخفة، وهو لا يصـدق أنها تخطت الثالثة والثلاثين من عمرها، كم كَبُرت ابنته الحبيبة، فبالأمـس فقط كانت طفلة صغيرة تحبو وتلعب في صالة شـقتهم الصغيرة في منزلهم القديم بمنطقة الظاهر بالقرب من ميدان رمسيس، تذكرها وهي تحـاول جاهـدة أن تقف وتجري مثـل أختها الكبرى سـهام، فتقع لتحاول مجددًا حتى تنجح بمساعدة أختها، فتصفق بيديها الصغيرتين لنفسها، وتعلو ضحكاتها المرحة لتختلط مع ضحكات أختها الكبرى، ولكنها تقع، وتجر أختها معها، فتهـرول والدتهما إليهما لتأخذهما في حضنها، وهي مذعورة أن يكـون قد أصاب أيًّا منهما مكروه، ولأن ريهام كانت طوال عمرها طفلة عنيدة لا تصمم على شيء إلا وتحصل عليه، فما لبثت أن تعلمت السير بل الركض ولم يتعد عمرها السنة الواحدة.

تنهد والد ريهام وأغمض عينيه فرآها وقد دخلت المدرسـة مع أختها الكبـرى، وتذكـر كيف كانـت والدتهمـا تنزل بهمـا كل صباح في السـاعة السادسـة والربـع تنتظـر معهمـا أوتوبيس المدرسـة البنـي الكبيـر؛ لتركباه

بملابسهما الزرقاء بشاراتها المطرز عليها حروف مدرستهما الأولى RCG فتودعهما بابتسامتها المعهودة، وتنتظرهما حتى تعودا في الساعة الرابعة والنصف، فيكون هو قد عاد لتوه من عمله، فيتناولون وجبة الغداء معًا، لتبدأ كل واحدة منهما في إنجاز واجباتها، ووالدتهما تساعدهما قدر استطاعتها، بينما يدخل هو إلى غرفته لينام قليلًا بعد الغداء حتى تنتهيا من مذاكرتهما.

كم كانت تلك الأيام جميلة.. إنه ما زال يتذوق في فمه الكيك الساخن الذي طالما برعت زوجته في صنعه، يشم رائحته، يكاد يلمسه، ويرى ابنته الكبرى وهي تأتي له بالشاي، ويجلسون جميعًا في غرفة المعيشة يشاهدون مسلسل الساعة السابعة والربع.. كل أولاده حوله في غرفة واحدة.. وليس كل واحد منهم في بلد كما هو الحال الآن..

كم أوحشه ابنه هشام الذي جاء لذيذًا شقيًّا بعد أن كبرت البنتان قليلاً؛ ليملأ عليهم البيت بهجة بحركاته البهلوانية وتعليقاته المضحكة.. كم يشتاق إلى تلك الأيام الجميلة، إلى جلسته ساعة المغرب في شرفة المنزل الصغيرة، ورائحة الفل الذي زرعه تداعب أنفه.. وأولاده من حوله يتحدثون معه ويلعب معهم في مرح.. إلى خروجهم معًا أيام الجمعة لقضاء اليوم في حديقة الأطفال في النادي.. وهو يتأملهم يلعبون ويكبرون يومًا بعد يوم.. تلك الأيام عندما كانت كل أسرته معه على الدوام.. يعود من عمله ليجدهم جميعًا في انتظاره، يأكلون ويمرحون ويتحدثون ويضحكون ويخرجون معًا.. شتان بين تلك الأيام وهذه! فهاهو يقضي أيامه وحيدًا بعد أن أُحيل إلى المعاش المبكر.. وتزوجت سهام وذهبت إلى الإسكندرية..

وهاجر هشام إلى كندا - ويعلم الله وحده متى يعود- بينما ريهام مشغولة على الدوام في عملها بالبنك، وزوجته مشغولة هي الأخرى في البحث عن عروس لهشام وعريس لريهام..

يقولون إنها سنة الحياة، ولكن أي سنة هذه التي تتركه هكذا وحيدًا.. لا يجد من يحدثه أو يلاطفه.. لكن لِمَ الشكوى الآن؟ فهاهي ابنته الحبيبة قد جاءت أخيرًا لتقضي بعض الوقت معه.. فليؤجل شكواه مؤقتًا.. ويتناسى أن جلستهما هذه غالبًا لن تطول لأكثر من دقائق معدودات، ويستمتع بصحبتها، قبل أن تأخذها والدتها معها لاستقبال ضيوفها.. ولكن كيف لا يشكو.. وهو يعلم أن زوجته لو نجحت خطتها، فهؤلاء الضيوف سيأخذون ابنته الصغرى كما أخذوا من قبل ابنته الكبرى منه إلى الأبد..

والتفت مصطفى شاكر إلى ريهام بابتسامته الدافئة، وقد بدت صلعته أكثر لمعانًا في ضوء المطبخ الساطع، وقال:

- ما أخبارك يا حبيبتي، لماذا تأخرتِ هكذا؟

فردت عليه وصوتها قد بدا عليه الإجهاد:

- أبدًا يا بابا كان عندنا مشاكل كبيرة جدًّا في البنك.

فسألها بابتسامته المعهودة التي طالما أشاعت الطمأنينة في نفسها مهما كانت مشاكلها كبيرة:

- خير، ماذا حدث؟

أخذت ريهام طبقًا من المصفاة وفتحت الدرج تستخرج أدواته، وتنهدت من أعماقها وهي تجيبه:

– وجدوا اختلاسات في البنك.

نظر إليها بتعجب وسألها وهو لا يصدق:

– معقولة؟! أعرفوا المسؤول؟

رفعت رأسها إليه وهي تعرف أنه سيشاركها ذهولها من أحداث اليوم في البنك:

– حسابات لم تكن تحركت من سنوات.. اتضح أن محسن وشاهيناز كانا وراء الموضوع.

فضم حاجبيه وهو يعصر ذاكرته:

– أليس محسن هذا زميلكم على الشباك؟

فتحت ريهام الثلاجة بحركة آلية وردت عليه وهي تخرج حلة بها بامية وأخرى مملوءة بالأرز.

– بالضبط، وشاهيناز خطيبته معنا في مراكز العملاء، ولكن في قسم الملفات..

فسألها في دهشة من تورطهما:

– وهل تأكدتم؟

فردت عليه ريهام وهي تضع الطعام في طبقها ثم في جهاز الميكروويف لتدفئته بعد أن ضبطته على عدة دقائق:

– نعم، البنك كله في تحقيقات منذ الصباح، وقد اعترفا في آخر اليوم..

سألها الوالد من جديد:

– غريبة جدًّا، أنا أعرف محسن جيدًا، وكان انطباعي عنه أنه مؤدب جدًّا، فهو شخص ودود، بل من القلائل الذين يعرفونني في البنك.. دائمًا يسألني عن صحتي، وعن والدتك وأخيك.. غريبة جدًّا أن يقوم بشيء كهذا!

فردت عليه وهي تجلس في الكرسي المقابل له:

– فعلاً يا بابا.. أنا أيضًا لا أصدق ما فعله.. بل لا أحد في البنك يصدق.. فمحسن شخص لطيف جدًّا، ولديه صداقات ليس فقط مع كل موظفي البنك، وإنما مع كل عملائه أيضًا.. ونفس الشيء بالنسبة لشاهيناز كانت شخصية رقيقة جدًّا، لكن يبدو أن المظاهر خداعة..

صمتت وهلة ثم أضافت:

– تصور يا بابا أنهما حاولا اتهامي أنا..؟!

رفع والدها حاجبيه في ذهول قائلًا:

– وما دخلك أنتِ بالموضوع؟!

ردت عليه في سخرية:

– على أساس أني أعمل في الخزينة، ومن حقي أن أطلع على الملفات.

اعتدل في جلسته وقال وهو يجز على أسنانه:

– ولاد الإيه! لا ضمير لهم..

فأكملت له الحديث بحماس:

– يـا بابـا لولا الأسـتاذ يوسـف مديري، كان مـن الممكـن أكون في مشاكل كبيرة جدًّا.

هز رأسه وقال مبتسمًا:

– فعلًا هو محترم جدًّا، هذا رأيي فيه منذ عرفته.

فقالت وهي تأكل بنهم:

– فعـلًا يا بابا، لقد دافع عني في التحقيق بشـدة ولولاه هو والأسـتاذ عبد الرحمن، لما اسـتبعدوني من الاتهام.. بل إن الأستاذ يوسف هو الذي كشف تلاعبهما حتى أثبت التهمة عليهما في النهاية..

قاطعتهمـا والدة ريهام وهي تدخل المطبـخ مزمجرة، وكانت ترتدي تاييرًا كحليًّا لا ترتديه إلا في المناسبات المهمة جدًّا:

– أنـتِ هنـا يـا ريهـام، تتحدثيـن مع والـدك، والنـاس فـي الصالون ينتظرونك؟

أجابتها بشيء من الملل:

– لابد أن آكل شيئًا حتى أستطيع الجلوس معهم..

سألتها وهي تحاول كظم غيظها:

– ولمـاذا تأخرتِ أصلًا؟ ألم نتفق أن تعودي مبكرة اليوم لتكوني في استقبال الضيوف؟!

أجابتها باختصار وكانت بالكاد قد ابتلعت ملعقة جديدة من الطعام:

- كان عندي شغل..

فردت عليها والدتها وقد وقعت عيناها على طبقها الممتلئ بالطعام:

- ألـم نتفـق أنك سـتبدئين نظامًا لإنقاص وزنـك؟ ألا فائدة فيك.. يا ابنتي انتبهي لنفسك ولو قليلًا!

ردت عليها بصوت علت نبراته قليلًا:

- ماما أنا متعبة ومنذ الصباح الباكر لم آكل شيئًا، أرجوكِ ارحميني.

قاطعها الأب بحزم:

- اتركيها يا جولفيدان تأكل، الدنيا لن تطير..

أجابته وهي تحاول أن تشركه معها في قلقها:

- والنـاس الموجـودون بالخـارج يـا مصطفـى، إنهـم هنا منـذ أكثر من سـاعة.. مـاذا أقول لهم وقد رأوهـا تدخل المطبخ بـدلًا من أن تجلس معهم؟

ردت وهي تضغط على كل حرف:

- ماما أنـا طلبت منك أن تعتـذري لهم أصلًا، فأنا لا أريد عرسـانًا.. ولكنكِ مع ذلك دعوتِهم..

فسألتها والدتها بصوت مستنكر وهي تحاول الاستنجاد بوالدها:

– مـاذا تعنيـن بـلا أريـد عرسـانًا؟! لقـد تخطيـت الثلاثيـن ولابد أن تتزوجي..

نظرت إليها بانكسار، وسألتها بصوت مجروح:

– وهل تظنين أن العريس الموجود بالصالون هو الذي سـيحل هذه المشـكلة؟ فجأة.. بلا مقدمـات.. لا تتوقعين أن أعجبه فقـط.. بل يقع في حبي ويتزوجني..!

أجابتها بصوت كله أمل:

– ولِمَ لا؟ أين له بعروسة في ثقافتك وشطارتك..

ردت عليها بشيء من السخرية:

– طب هو لا يعجبني.. ولا أريد أن أتعرف به..

حاولت الأم امتصاص غضبها:

– «وهـل عرفتِـهِ أو رأيتِـهِ من قبل كـي تحكمي عليه؟ أعطي نفسـك فرصة ... قابليه ثم قولي رأيك بعدها ...».

تدخل الأب قائلًا:

– اسمعي كلام والدتك يا حبيبتي، لن نخسر شيئًا.

نظـرت إليهـا الأم وقالـت وهي تنظر إلـى صورتها في زجـاج النافذة محاوِلةً إصلاح وضع طرحتها السـماوية، وتعديل وضع البروش الماسـي

على صدرها كي يكون أكثر لمعانًا، وكان من أهم مقتنياتها التي ورثتها عن والدتها ولا ترتديه هو أيضًا إلا للضيوف الأعزاء جدًّا:

- أرجوكِ يا حبيبتي ارتدي فستانًا أنيقًا وتعالي اجلسي معنا.. لماذا لا ترتدين فستانك النبيذي؟ إنه جميل عليكِ.. ولا تنسي وضع بعض الماكياج..

استدارت الأم وخرجت وهي تتمتم بكلمات غير مسموعة، ثم عادت مهرولة عند باب المطبخ وهي تقول:

- لا تنسي حلقك الماسي الجديد وسلسلتك ذات الدلاية الكبيرة.. هيا يا حبيبتي، أسرعي، أرجوكِ..

فوجئت جولفيدان بأنها لم تتحرك خطوة واحدة، بل لم تزل جالسة تتضاحك مع أبيها، فنظرت إلى مصطفى نظرة استغاثة، كتم ضحكته على نكتة ابنته الأخيرة ونظر إليها وهو يحاول اصطناع الجدية، وقال مشجعًا:

- يا ابنتي لا ضرر من التعارف والناس في بيتنا، رحبي بهم، أنتِ من بيت كرم، اتركي الأمور لمسارها الطبيعي، وربنا يقدم ما فيه الخير..

قامت ريهام بتثاقل، وتوجهت إلى غرفتها هاربة من الاستمرار في المناقشة، وهمساتهما من وراء ظهرها ترن في أذنها، وأمها تؤكد لأبيها أنها تريد مصلحتها، ووالدها يرد عليها قائلًا:

- بالراحة على البنت.. فهي متعبة من العمل طول النهار في البنك.

أجابته بحسرة:

- أتريد أن تقول إنك موافق على تصرفاتها؟ إنها حتى لم تهتم بالذهاب للكوافير، ثم نرجع نحزن لو لم نعجب العريس..

وسمعت والدها يرد:

- كل شيء نصيب.. ونصيبها ستراه لا تقلقي.. تلهفك هذا لن يحل المشكلة..

وعند هذا الحد أسرعت الخطى إلى أن وصلت إلى باب غرفتها، ومع ذلك سمعت والدتها تقول:

- وماذا لو وصلت إلى الأربعين ولم تتزوج..؟؟

ولم تسمع باقي الحديث، دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها، ثم ألقت حقيبتها على السرير، وجلست على الكرسي القريب من الباب، وهي تتنهد وتنظر للسقف، حقًّا ماذا لو وصلت إلى سن الأربعين؟؟ بل ماذا لو وصلت إلى الخمسين؟ صحيح أنها كلها أرقام وهي لا تشعر أنها قد اختلفت كثيرًا عما كانت عليه في العشرين.. ولكن ماذا عمن حولها.. إنها تتعذب بنظراتهن إليها.. فهذه تنظر إليها بشفقة، وتلك تخاف على زوجها منها، والأخرى تخاف أن تحسدها، وتخفي أطفالها.. لقد أصبحت تكره الاحتكاك بهن وتريد أن تعيش في معزل عن الكل، ولكن ما البديل؟ أتتنازل وتقبل شخصا لا تشعر تجاهه بأي شيء على الإطلاق، حتى تنال شرف لقب «متزوجة» الذي بات بعيد المنال، وحتى إن فعلت فما الذي يضمن لها أنها ستعجب ذلك القادم، والذي جاء ليعاينها وهو يتمنى في

الغالب فتاة بيضاء شقراء عيونها خضراء، ولكن مستعد ليتنازل لأنه لم يجدها، ويقبلها هي أو غيرها بشرط أن تشابه مواصفات معينة في خياله في الغالب غير متوافرة فيها..

قطع حبل أفكارها صوت والدتها تناديها بحنان من خلف الباب وهي تتعجلها حتى لا يمل الزوار.. إنها تتفهم موقفها جيدًا وتعلم أن كل ما تتمناه هو سعادتها، ولكنها تكره إصرارها على تعرضها لهذا الموقف مرارًا وتكرارًا، ولا تفهم سر أملها في هؤلاء العرسان والنهاية دائمًا واحدة، إحباط وعريس يخرج مبتعدًا، ومن ورائه من جاء به يائسًا يجر أذيال الخيبة لعدم التوفيق.. ولما لم ترد على والدتها، نقرت بابها من جديد تستعجلها، فلم تجد هي مفرًّا، فطمأنتها أنها على وشك الخروج، وقامت متباطئة تلبس وتصلح من زينتها، وهي تحاول أن تتشاغل عن العريس بالتفكير في أحداث يومها الطويل بالبنك.

***

obeikandl.com

-2-

اختـارت ريهـام فسـتانًا سـماويًّا منقطًا بأبيـض، بحـزام عريض على الوسـط، ثم ارتدت شـراب كولون أسـود خفيفًا، وحذاء بكعب عالٍ يظهر طولهـا، ومرت بأصبـع الروج الوردي على شـفتيها المكتنزتين، واختارت عطرًا برائحة الياسمين رشت منه القليل على رقبتها وفستانها، ثم ألقت نظرة أخيرة على نفسـها في المرآة، وخرجـت إلى ضيوفها، فلما لمحتها والدتها تقتـرب تهلل وجهها فخرًا بها.. فقد اطمأنـت إلى أنها اعتنت بهندامها كما أوصتهـا، ولو أنها اغتاظـت قليلًا أنها لم تلبس الفسـتان النبيذي الذي كان سـيظهرها أرفع كثيرًا، ولكنها كانت سـعيدة بها على أية حال.. فيكفي أنها لم تعاند وخرجت للضيوف، فابتسمت لها قائلة:

- أهلًا أهلًا يا حبيبتي.. تعالي اجلسي على الكرسي الأخضر..

وكان طبعًا الكرسـي الأخضر هو الكرسي الوحيد المقابل للعريس.. وإلا فكيـف سـيتمكن مـن المعاينة.. وحاولت هـي الأخـرى أن تنظر إليه وهـي تهـم بالجلـوس، لعلهـا تلمح شـكله.. فخيّل لهـا أن جميـع من في الغرفـة ينظـرون إليها، فخفضـت بصرها في حياء.. ولكن شـعور الفضول تغلب عليها من جديد.. فعادت تحاول أن ترمقه مرة أخرى بطرف عينها..

فأحسـت أنه لمحهـا.. فغضت بصرها، ثـم أخذت ترمقه بسـرعة من حين لآخر حتى تتعرف على شكله..

وكان شـكل العريس مقبولًا نسبيًّا، عيناه عسليتان ضيقتان تحيط بهما بعض التجاعيد التي تنم عن خبرة في الحياة لا يستهان بها، ويتوسط وجهه شـارب أسـود منمق، يعلـوه أنف ضخـم إلى حدٍّ مـا، يتناسـب حجمه مع كبـر جبهته العريضة، التي زاد من عرضها تراجع شـعر رأسـه الخفيف إلى الخلف، وهو ما تناقض مع غزارة شعره الأبيض حول أذنيه الكبيرتين..

اسـترقت النظـر إلـى العريس مـرة أخرى، وهـي لا تجـرؤ على رفع رأسـها، فنزلت بعينيهـا لتتفحص هيئته، فوجدته عريـض المنكبين، ضخم الجثـة، يرتدي بدلة رمادية بها قلم رفيع أبيض متماشٍ مع القميص الأبيض المكـوي بعنايـة، ورباـط عنق نبيذيًّـا غامقًـا مقلمًا بالورب بخطـوط رفيعة سـوداء، وإلى جانبها خطوط أعرض بيضاء، وابتسـمت لنفسـها وقد خطر لها أن ذلك بالضبط ما كان يلبسه معظم العرسان الذين حضروا إلى منزلهم كي يتعرفوا بها، وكأنهم جميعًا قد اتفقوا على هذا الزي الموحد.

شـعرت بعينيه تتفحصها هي الأخرى فرفعت رأسـها لتتأكد، فالتقت عيناها بعينيه، ورأت أسـنانه المصطفة في ابتسامة كبيرة أربكتها، فخفضت بصرهـا، وشـعرت بالدمـاء تتدفق إلـى وجهها؛ لأنـه رآها وهـي تنظر إليه، ولكنها أدركت أنه هو الآخر يتفحصها فقل حرجها قليلًا.

ساد صمت طويل بدا لها وكأنه دهر، إلى أن بدأت خالتها فيفي الكلام في محاولة لإذابة الجليد، وقالت:

- يبدو أنكِ تتعبين جدًّا في عملك يا ريهام..

أجابت ريهام دون أن ترفع عينيها:

- فعلًا عمل البنك ليس سهلًا..

فسألتها والدة العريس بلهجة فيها استنكار خفيف:

- أتتأخرين هكذا كل يوم؟

فأجابتها والدتها بسرعة وهي تقدم لها طبقًا به فاكهة:

- لا طبعًا، اليوم كانت هناك مشكلة في البنك، وطبعًا يحتاجونها لتساعدهم..

فنظرت إليها ابنتها وهي تحاول أن تكظم غيظها من لهفتها على العريس، وقالت:

- بل في كثير من الأحيان نتأخر، وبالأخص في نهاية السنة المالية.

سألها العريس وقد أُعجب بصراحتها:

- أتحبين العمل في البنك؟

أجابته وهي تتخيل نفسها بين زملائها:

- هو أفضل من كثير من الوظائف، كما أن وسطه جيد جدًّا، وجميع الزملاء محترمون.

فتدخلت والدة العريس وسألتها بابتسامة مشجعة:

- وماذا لو طلب منك زوجك الاستقالة والتفرغ للمنزل؟

obeikandl.com

تذكرت كلام والدتها عن العريس، وبأنه يعيش في السعودية، ولكنه ينوي الاستقرار في مصر، ويريد فتاة ناضجة مثلها، وشرطه الوحيد أن تكون محجبة، وتساءلت في نفسها إن كان معنى ما تقوله والدته أن هذا هو شرطه الثاني، فردت عليها:

- الحياة أصبحت صعبة وأنا أرى أن عمل المرأة مهم وبالأخص إن لم يكن هناك أولاد..

فسألها العريس وهو يحاول أن يستنبط شخصيتها من إجاباتها:

- وإن وُجد الأولاد وكان الزوج مقتدرًا، فهل تستمرين في العمل؟

ردت عليه وقد بدأت تشعر أنها في تحقيق:

- أنا لا أعمل فقط من أجل المرتب، بل أيضًا من أجل تحقيق ذاتي، وبالنسبة للأولاد فهناك نظم تسمح للسيدة الحاضنة ببعض الإجازات والتسهيلات.

نظرت والدتها إلى العريس وهي تربت على كتفها بفخر:

- ريهام خريجة مدارس أجنبية، التحقت بعدها بتجارة القاهرة، وتخرجت بتقدير جيد جدًّا، ثم حصلت بعدها على شهادة الماجستير، وهم لا يستغنون عنها أبدًا في البنك..

تساءل العريس:

- إلى أي مدرسة ذهبتِ يا ريهام؟

ردت عليه وقد أضاءت وجهها ابتسامة عريضة لتذكرها أيام طفولتها بالمدرسة:

- كلية رمسيس.. RCG، حضرتك تعرفها؟

وبدا على العريس أنه سعيدٌ لأنه استطاع أن يجعلها تبتسم:

- أسمع أنها مدرسة جيدة جدًّا، أليست مدرسة للبنات فقط؟

ردت والدتها:

- طبعًا يا مدحت بك فنحن عائلة محافظة جدًّا..

أجابها العريس:

- أنا أيضًا أفضل مدارس البنات، بل إنني كنتُ أفكر في إدخال بناتي إلى مدرستك بالتحديد يا آنسة ريهام، فنحن على وشك العودة من السعودية، ولابد أن أقدم لهما في مدرسة..

فردت عليه ريهام والابتسامة لم تفارقها:

- إن مدرستي جيدة جدًّا، كما أنها أنشأت قسمًا جديدًا مختلطًا يقولون إنه مميز جدًّا.. وأنا شخصيًّا أصبحت أفضل المدارس المختلطة في هذا الزمن..

فعقد العريس حاجبيه وسألها محاولًا فهم وجهة نظرها:

- لِمَ؟

ردت عليه وكأنها تقرر حقيقة غائبة عن البعض:

obeikandl.com

- البنات ينشأن إلى جانب الأولاد كأنهن إخوة.. فسيستطعن التعامل معهم إن قابلهوهم في النادي أو فرقة رياضية بلا رهبة أو خوف..

وبدا على وجه العريس بعض القلق وقال:

- ولكنني لا أحب لبناتي أن يتعاملن مع أولاد..

قامت ومدت يدها لتأخذ طبقًا وضعت فيه ثلاث قطع من الجاتوه، متجاهلة نظرة والدتها المنبهة، وقالت:

- هن إن لم يتعاملن معهم الآن فبالتأكيد سيتعاملن معهم في المستقبل.. فلابد أن يتعلمن كيفية التعامل معهم.. ثم إن الأولاد أطفال مثلهن وليسوا وحوشًا نخاف عليهن منهم..

جلست وفي يدها الطبق ولم تحاول أن تعزم على العريس بحلويات هو الآخر، فقامت الأم بسرعة تدعو ضيوفها إلى تناول المزيد من الجاتوه، وعلقت على كلامها قائلة:

- الأستاذ مدحت عنده حق.. فالدنيا لم يعد بها أمان..

شكرها العريس على حسن ضيافتها وأخذ قطعة أخرى، ثم التفت إلى ريهام يسألها:

- أكنت تلعبين مع الأولاد في صغرك..؟

أجابته وقد تعجبت لسؤاله:

- لا أتذكر.. ولكن بالتأكيد كنت ألعب مع أقاربنا أو أصدقاء النادي..

سألها وقد بدا منزعجًا قليلًا:

- أمعنى هذا أنكِ توافقين أن يصير لابنتك أصدقاء من الأولاد؟

فردت عليه وقد احتدت قليلًا:

- ولِـمَ لا.. الأولاد مثـل البنـات، وفصلهـم في هذا الزمن مستحيل حتـى لو ذهبن إلى مدرسـة للفتيـات، إلا إذا منعتهن عـن أقاربهن والنادي والكمبيوتـر ثـم الجامعـة والعمل، ثـم ما الضرر أصـلًا فـي أن يكون لهن أصدقاء أولاد، ماداموا لا يفعلون أي شيء خطأ..

تدخلت خالتها فيفي محاولة إنقاذ الموقف وكانت عجوزًا مخضرمة، تفهم جيدًا ما وراء سؤال العريس، فأزاحت بأصابعها شعرها القصير الأنيق للوراء، ثم قالت:

- ليـس هنـاك مانـع مـن الحـرص يـا حبيبتـي.. خاصـة فـي السـن الصغيرة..

وأضافت وهي تحاول التأكيد على التزامها وتدينها:

- علـى فكـرة ريهام لا تتـرك فرضًـا.. وقـد أدت العمـرة مرتين مع والدها..

ثم أضافت مبتسمة:

- وعادت لنا محملة بسجاجيد الصلاة والبخور وماء زمزم..

قالت والدة العريس وكانت سـيدة بدينة مسـنة قليلًا، رأسـها ملفوف بطرحة بيضاء ناصعة أضفت على وجهها مزيجًا من الطيبة والبساطة:

- واللـه يا حبيبتي ذكرتنـي بمكة وجمالها، لقـد زرت مدحت هناك أربع مرات.

أضافـت أخت العريس وكانت نحيفة سـمراء ومحجبة هي الأخرى، وبدا على هيئتها أنها ربة منزل لا تخرج من البيت كثيرًا:

- وأنا أيضًا زرته مرتين، بلاد جميلة فعلًا..

فعلقت والدة ريهام:

- وهل هناك أجمل من رحاب الرسول (عليه الصلاة والسلام)؟

وحاولت الخالة العودة بالحديث للعروسين فسألت العريس:

- وحضرتك ماذا كنت تعمل هناك؟

رد عليها العريس بلهجة بدا فيها بعض الفخر..

- أنا كنت مهندسًـا في شـركة بترول السويد لمدة خمسة عشر عامًا، ولكنني أنهيت عقدي الأخير ولم أجدده، وقررت العودة من أجل البنات.

فسألته ريهام باهتمام:

- بناتك كم عمرهن؟

أجابها بابتسامة حنونة:

- واحدة في السابعة والثانية في التاسعة.

نظرت إليه ريهام وسألته بلا مقدمات:

- ولماذا لم تتركهما مع والدتهما؟

obeikandl.com

نـزل السـؤال كالصاعقة على كل مـن في الغرفة، شـعرت والدتها أن العريس حتمًا سيطير، فكيف تفعل ذلك؟ الأول تظهر له أنها لن تربي بناته، والآن تتجرأ وتسـأله عن زوجته السـابقة، وظروفهما معًا، كل ذلك في أول لقاء، واصطنعت السـعال وهي تحاول التفكير بسـرعة فيما تقول كي تزيل الإحراج، لكن العريس قام بهذه المهمة بدلًا منها ورد باختصار شديد:

- إنهـا ظـروف وأنـا أرى أنني قـادر علـى تربيتهمـا، وبالأخص من الناحية المادية.

فأجابته وقد رفعت حاجبيها ببعض الدهشة:

- ولكن الفتيات يحتجن إلى أمهاتهن في هذه السن..

فرد عليها مبتسمًا:

- ولذلك فكرت في الزواج من جديد.. لأجد لهما أمًّا بديلة..

سـكتت وقد ظهر الوجوم على وجهها، وقد سيطر عليها سؤال واحد يتـردد فـي ذهنها.. كيـف يتوقعون منهـا أن توافق على هذا الرجل القاسـي الذي حرم أمًّا من ابنتيها ليبحث لهما عن أم بديلة؟

وهنا تدخلت أخت العريس قائلة:

- أخي مثال للأب المثالي فهو يأخذهما إلى المدرسـة يوميًّا ويذاكر لهما، وهما متعلقتان به جدًّا..

سألتها ريهام بتحدٍّ:

- إذن فلماذا يحتاج إلى أم بديلة؟

وهنا قامت والدتها مرة أخرى محاولة تلطيف الجو:

- تفضلوا يا جماعة الجاتوه، إنكم لم تأكلوا، أرجوك يا أستاذ مدحت جرب الكيك فقد صنعته ريهام بنفسها قبل ذهابها للعمل.

ولـم يكن ذلـك حقيقيًا ولكن ريهـام آثرت الصمـت حتى لا تغضب أمها.

وتدخلـت ثريا ابنة خالتها، وكانت أصغر منها بثلاث سـنوات ولكنها كانت قد تزوجت منذ ست سنوات، ولديها بنت وولد، وكانت تشبه خالتها كثيرًا بوجهها الأبيض وتقاطيعها الصغيرة، فقالت:

- الكيك حلو جدًّا، لابد أن تخبريني بالوصفة يا ريهام، على فكرة يا مدحت، ريهام طباخة هائلة!

وأضافت والدتها مؤكدة مزايا ابنتها:

- حبيبتي منذ صغرها تعشق المطبخ وتحب مساعدتي..

فردت ريهام ساخرة من امتلاء جسدها:

- وتذوق كل ما فيه.. ألا تروني..؟!

تنحنحـت أمها مـرة أخرى وهي لا تـدري ماذا تقـول أو تفعل فابنتها بدلًا من أن تخفي عيوبها تحاول إظهارها للعريس!

انهمك الجميع في شرب الشاي وأكل الجاتوه، وهم يتبادلون أطراف الحديـث، ووالدتهـا تحاول إظهار صفاتهـا الجميلة، بينما هي تسـخر من نصف ما تقول، حتى قام العريس واقفًا وقامت معه والدته وأخته ليستأذنوا

بالانصـراف، ووالدتها وخالتها تحـاولان إثناءهم عن الذهاب، بدعوى أن الوقت مـازال مبكرًا، فلَما أصروا، ودعوا الجميع وخرجوا، بينما جلسـت والدتهـا بجوارهـا تلومها علـى تصرفاتها أمـام العريس، وخالتها تتشـاغل بإدخال الأطباق إلى المطبخ حاملة همَّ ما ستقوله لهم، لو تأكدت توقعاتها ولـم تعجب ريهام العريس، وتردد أنها عندما اقترحت مدحت عريسًـا، لم تكـن تعـرف أنه لا يريد سـيدة عاملة، بل كانت تحـاول أن تخدم أخته التي سألتها إن كانت تعرف عروسًا أكثر من مرة، وفي الوقت نفسه تعرف ريهام بعريـس ربمـا يكون مناسـبًا، وهي صامتـة لا تنبس ببنت شـفة، حتى دخل عليهم والدها قائلًا:

- هه أنستطيع الآن أكل الجاتوه الذي تركوه؟

فردت عليه زوجته:

- أهذا كل ما تفكر فيه؟ الجاتوه..؟

سألها مبتسمًا:

- وماذا تريدين مني غير ذلك؟

ردت عليه بغيظ:

- تنصح ابنتك بدلًا من تركها تسأل العريس عن بناته وزوجته..

فرد عليها الوالد وهو يحاول تخفيف تحاملها على ابنته:

- وماذا في ذلك، ألم يسألها هو عن عملها وتفاصيله؟

ردت هي بسخرية:

- بل سألني إن كنت أمانع في ترك العمل من أجل أولاده.

سألها والدها وهو يحاول كتم ضحكته حتى لا يُغضب زوجته:

- وماذا قلتِ له؟

فردت عليه باختصار:

- قلتُ له إنني لا أنوي ترك عملي..

فـأدار الوالد ظهره لزوجته واتجه إلى الڤراندا ليستنشـق بعض الهواء وهو يهمس لابنته:

- برافو عليكِ.. هل سيتحكم هكذا من أولها..؟

وهنـا رن جـرس هاتفهـا المحمـول، وكان المتحـدث هـو الأسـتاذ عبد الرحمن زميلها من قسم الحسابات في البنك، فأشرق وجهها بابتسامة جميلـة، وأدارت ظهرهـا لهم، وهمسـت فـي الهاتف تطلب منـه الانتظار لثـوان معدودات، وهرولت إلى غرفتهـا بعد أن تركت ما بيديها من أطباق، وأغلقـت الباب بإحكام، وبدأت تحدثه بعيدًا عن فضولهم، وجاءها صوته رخيمًا هادئًا يقول:

- أنـا أتكلـم لأطمئن عليـكِ، فقـد كان التعب والإرهـاق واضحين عليكِ جدًّا عندما تركتك في البنك.

ردت عليه وقد اتسعت ابتسامتها:

- الحمد الله، أنا الآن أفضل كثيرًا.

جاءها صوته:

- أوصلت إلى منزلك، واستقبلتِ ضيوفك؟

ردت عليه وقد اندهشت قليلًا لأنه تذكر ضيوفها:

- جئت بأسرع ما يمكنني، ومع ذلك والدتي غاضبة لأنني تأخرت..

سألها والفضول يكاد يفتك به عما حدث مع العريس، وكان قد سمعها ذلك الصباح بدون قصد، وهي تتحدث عن زيارته، وهو يعرف أن علاقتهما السطحية لا تسمح له أن يسألها عنه مباشرة:

- وكيف كانت الزيارة؟ أكانوا ظرفاء؟

اجتاحها شعور اختلطت فيه السعادة باهتمامه، برغبة قوية في تركه حائرًا، فتهربت من الإجابة، وردت عليه بخبث، وهي لا تريد أن تريحه بإجابة صريحة:

- نعم إلى حدٍّ ما..

ثم غيرت الموضوع وقد شعرت برغبة في إطالة الحديث معه، ولكن دون الدخول في تفاصيل زيارة العريس، فبالرغم من أنه كان زميلًا قديمًا في البنك، فكان اليوم هو أول يوم تتحدث فيه معه بأكثر من صباح الخير، ولكن شعورًا غريبًا بالفرحة لا تفهم سببه أخذ يداعبها، وشيئًا ما جعلها ترغب في إطالة الحديث معه، فقررت أن تحدثه عن أحداث اليوم الجسيمة بالبنك فسألته:

- كيف تظنهم سيتصرفون مع شاهيناز ومحسن؟

أجابها بصوته الرخيم:

- الشؤون القانونية حولتهما إلى مباحث الأموال العامة، وبعد ذلك غالبًا سيحولان للنيابة..

قامت ثم جلست إلى الكرسي الصغير المجاور للتسريحة، وأخذت تتأمل صورتها في المرآة الفضية، وقالت:

- الواحد فعلاً لا يمكنه التنبؤ بما يحدث غدًا، لا لنفسه ولا لمن حوله..

رد عليها بصوت ملأه الرجاء:

- إلا إذا كان متفقًا على موعد مثل موعدنا غدًا.

فابتسمت بسعادة لتذَكُّرِه موعدهما لتناول غداء الغد معًا، فقد اتفقا في الصباح على لقاءٍ غدًا ليناقشا معًا أحداث البنك، وقد أشعرها تأكيده للموعد باهتمامه، وعكس لها اشتياقه هو الآخر له، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تخرج فيها وحدها مع رجل غريب عنها، ولكن بعد موقفه معها في التحقيق، ودفاعه عنها أمام لجنة التحقيقات، تملكها شعور بأنه لم يعد شخصًا غريبًا على الإطلاق، فوافقت على لقائه في أحد المقاهي المجاورة للبنك، للحديث عن أحداث اليوم، خاصة أنها كانت تعرف أنه هو الآخر لم يطلب الخروج مع أي فتاة أخرى منذ أن توفيت خطيبته منذ ست سنوات، ردت عليه وهي تلعب في شعرها وقد اتسعت ابتسامتها:

- أمازلت تتذكر ميعادنا؟

أجابها:

- لماذا تسألين، أنسيته أنتِ؟

ردت وقد شعرت بالسعادة تدب في أوصالها:

- لا طبعًا..

أجابها بهدوء جعل القشعريرة تسري في جسدها:

- ولا أنا نسيته.

ردت عليه بدلال:

- إذن أراكَ غدًا.

سألها وقد تملكته رغبة قوية ألا يغلق الخط:

- ولكن مازلت أريد أن أعرف رأيك في الزوار..

ابتسمت في خبث متسائلة:

- ولِمَ؟

أجابها وهو يحاول أن يبدو غير مهتم:

- أبدًا، شعرت أن الموضوع مهم لوالدتك، أهم أقاربك..؟

ردت عليه وقد قررت أن تريحه قليلًا:

- أنتَ تعرف أنه كان عريسًا.. فلماذا لا تسألني مباشرةً؟

obeikandl.com

صمت لحظة ثم قال:

- حسنًا، أعرف أنه عريس، فما رأيك فيه؟

- هو ابن حلال وشكله مقبول وطيب، ولكن..

صمتت قليلًا فسألها:

- ولكن ماذا؟

أضافت بصوت متنهد:

- يريد جليسة لأطفاله لا زوجة يحترمها ويحبها.

سألها ورغبة ملحة في أن يفهمها تتملكه:

- وماذا تريدين أنتِ؟

ردت عليه وقد احمر وجهها:

- لا أعلم..

أضافت وهي لا تريد أن تخوض في هذا الموضوع:

- لابد أن أذهب الآن، أراك غدًا..

أغلقت السماعة بعد أن ودعها، وارتمت على سريرها، وأغمضت عينيها وعلى وجهها ابتسامتها العريضة، وقد سرى في نفسها شعور لذيذ بالتفاؤل وحب الحياة، أنسياها تمامًا العريس وكل ما يتعلق به، فقد كان عبدالرحمن ألطف مما توقعت كثيرًا، وأخذت تحاول أن تتذكر ملامح وجهه بدقة، لقد كان خمري البشرة مثلها ولكن شعره الأسود الممزوج

obeikandl.com

بالشعر الرمادي أضفى على وجهه دفئًا وحنانًا لم تلحظهما سوى هذا الصباح، أما عيناه فهي حتى الآن لم تستطع أن تتبين لونهما، ففي بعض الأحيان كانت تشعر أنهما رماديتان وأحيانًا أخرى بأنهما خضراوان، وكأنهما يتغيران مع ما يرتدي، ولكن أكثر ما أعجبها فيهما هو لمعانهما.. أما قوامه فكان طويلًا نسبيًا ربما تصل أعلى جبهتها لأسفل رقبته.. بالضبط كما تحب.. وما لبثت أن أفاقت من شرودها فقد دقت والدتها الباب بشدة، ودخلت إليها مهللة وهي تناديها بحماس:

- مبروك يا ريهام يا حبيبتي.. ألف مبروك.. والدة العريس كلمت خالتك فيفي، والعريس معجب بك وبشخصيتك جدًّا، ويريد أن يراكِ غدًا ليجلس معكِ مرة أخرى لمدة أطول ليتعرف بكِ أكثر، قبل أن نقرأ الفاتحة آخر الأسبوع إن شاء الله..

***

obeikandl.com

-3-

أخذ الهواء يداعب شعر نادية الأسود الطويل وهي تصعد سلم الطائرة الحديدي وإلى جوارها زوجها الحبيب رامي، وكانا قد تزوجا الخميس الماضي، بعد فترة خطوبة دامت لستة أشهر تقريبًا، أقاما بعدها فرحهما في فندق سميراميس، حيث قضيا يومين، توجها بعدهما للمطار للقيام برحلة شهر عسلهما في بكين.

وكانت السعادة تعصف بمشاعر نادية، فأخيرًا تزوجت رامي الذي ظلت تحبه لسنوات دون أن يشعر بها، فبعد أن كادت تيأس منه، وتخطب لأحد أبناء صديق والدها في ديسمبر الماضي، وأبلغته بما تفكر فيه، خاف أن تضيع منه وتتزوج من غيره، فسارع بخطبتها من والدها مديره في البنك، وبالرغم من تردد الأستاذ شريف في الموافقة على زواجها منه في أول الأمر، فقد أذعن في النهاية لرغبتها.

وكان السبب الأساسي في تردد الأستاذ شريف في القبول يرجع إلى شعوره بعدم الارتياح تجاهه لم يكن يعرف سببه، ولكنه تأكد وزاد عندما عرف أن رامي أخفى حقيقة عمل والده في مسوغات تعيينه، وعن جميع من معه في البنك، ففي رأي الأستاذ شريف أن من يتنصل من والده يستطيع أن يقدم على أي شيء، ولكن للأسف لم يكن في يده أي شيء يفعله؟ فابنته

تحبه ولا تريد غيره، فلم يترك له تمسكها به وإصرارها عليه خيارًا سوى الموافقة عليه رغمًا عنه، ومحاولة تناسي عيوبه، والتركيز على مؤهلاته ومزاياه الأخرى كشاب مجتهد طموح، ولكنه في قرارة نفسه لم يستطع أبدًا التغلب على شعوره الداخلي بأن رامي غير جدير بثقة ابنته ولا بحبها، فاشترط عليه أن يسكنا معه في ڤيلته الجديدة في ضاحية 6 أكتوبر في الشقة التي أعدها لها بالدور الأول، لتكون قريبة منه ومن والدتها، ومن أخيها سيف الذي يقطن وزوجته في الدور العلوي تحسبًا لأي مشكلة في المستقبل، وكان قد باع ڤيلته الصغيرة في جاردن سيتي، وبنى بدلًا منها قصرًا فخمًا على أرض مساحتها ألف متر بحديقة تتعدى ألفين وخمسمائة متر أخرى، حرص أن يُنشئ فيها حمام سباحة وصالة جيمانزيوم وملعب تنس كي يستمتعوا فيها جميعًا معًا.

ولم يعترض رامي على ذلك الشرط كثيرًا؛ إذ إنه مكنه من بيع شقته في المهندسين هو الآخر، مما أتاح له تدبير نفقات الزواج، وترك مبلغًا لا بأس به قرر توظيفه في مشروع صغير خاص إلى جانب عمله في البنك، صحيح أنه كان قد رُقي إلى منصب رئيس قسم مراكز العملاء، ليحل محل الأستاذ يوسف، على إثر مشكلة اختلاس في البنك حدثت منذ عام تقريبًا وتسببت في نقله إلى قسم الاعتمادات، وصحيح أن مرتبه تضاعف نتيجة لنقله، إلا أن طموحه كان أكبر كثيرًا، فحلمه الأكبر أن يصبح رجل أعمال مشهورًا كعملائه في البنك.

نظرت نادية لرامي بحب، وهي لا تصدق عينيها أن فتى أحلام معظم زميلاتها في الجامعة قد أصبح من نصيبها هي، فهاهو بشحمه ولحمه معها

لقضاء شهر عسلهما في مدينة بكين بالصين، فأي سعادة هذه؟ وبالرغم من أنها في البداية تعجبت قليلًا من فكرة السفر إلى الصين، وقضاء شهر العسل هناك، إلا أنه لم يخطر على بالها أبدًا أن تعارضه، فما أهمية المكان ماداما معًا، بل إن حتى فكرة تخطيطه لهذه الرحلة مسبقًا ليبدأ مشروعه، سواء أكانت معه أم لا، لم تزعجها.. فماذا إذا لم يقم بالرحلة خصيصًا من أجل شهر عسلهما؟ فما الضرر في ذلك؟ ليس هناك تعارض بين أن يقوم بعمله وقضائهما الوقت معًا.. كان يكفيها أنها ستكون بصحبته، ثم إنه حكى لها أنه ينوي شراء شحنة من الأثاث الصيني، ليبيعه في مصر، إذن سيكون سفرها معه فرصة لأن تساعده وتنتقي معه ما يريده، بل إنها تستطيع أن تساعده ماديًّا إن أراد، فقد ادخرت مبلغًا لا بأس به من عملها في السنوات الماضية، بالإضافة إلى المبلغ الذي أهداه لها والدها بمناسبة زواجها، ولن تجد أفضل من مساعدة زوجها لإقامة مشروعه مجالًا لإنفاقه.

التفتت إليه وهي تحتضنه بعينيها، مُحاولة تخيل ما سيفعلانه عندما يصلان، فبالرغم من كثرة سفرها مع والدها إلا أنها لم تذهب أبدًا إلى شرق آسيا، وخطر لها أن ذلك أيضًا سبب آخر لجمال هذا الاختيار، فقد كانت دائمًا تحلم بأن تذهب معه إلى مكان لم تزره من قبل، حتى تكون كل ذكرياتها فيه ملكه هو، فلماذا لا يكون ذلك المكان هو مدينة بكين؟

ابتسمت إلى المضيفة التايلاندية وهي تحييهما وتقودهما إلى مقاعدهما، فقد أهداها والدها، تذاكر الطائرة على الطيران التايلاندي بدرجة رجال الأعمال، ليستفيدا بقضاء يومين ترانزيت في مدينة بانكوك، قبل أن يتوجها إلى بكين كما كان رامي قد قرر، وكان قد حجز لهما في

بكيـن جناحًـا بفندق شـيراتون لمدة أسـبوعين عن طريق زميـل له في فرع البنـك هنـاك، وسـدد لهمـا إقامتهمـا بالكامـل، كهدية زواج حـرص على تقديمهـا لابنتـه حتى لا يصده زوجها الذي كان يأخذ مسـاعدته بشـيء من الحساسية.

وكان رامـي قـد قَبـل منه الإنفـاق على إقامـة الفرح في سـميراميس، بعد ضغط شـديد من نادية، ورفض اسـتمر شـهورًا عديدة، أخذ فيها الأمر بحساسـية شـديدة، فخـاف أن يجرحه بعرضه المشـاركة في نفقات شـهر العسـل أيضًا، مما جعلها تضطر إلى إقناعه بـأن ذلك الجناح محجوز لهما مجانًا لكثرة سفر والدها وتجميعه نقاطًا تتيح لهم تخفيضات، وأحيانًا إقامة مجانيـة، وكان رامـي يحـاول جاهدًا رد مسـاعدات والدهـا بالإصرار على شـراء هدايا غالية الثمن له ولوالدتها، بالإضافة إلى دعوته المسـتمرة لهما لتنـاول الغداء والعشـاء في العديد من المطاعم الأنيقـة، وكان ذلك يجعله مرتاحًـا إلـى أنه لا يسـتغل ابنته، ولكن بشـيء مـن القلق وعـدم الراحة في التعامل معه، لا يخفف منهما سـوى يقينه بأنه شاب طموح ومجتهد ولابد أنه سـيحقق أحلامه، فصحيح أنه لا يمتلك أموالًا كثيرة الآن، ولكنه متأكد مـن أنه سـيكون له مسـتقبل باهر، فلا ضـرر من مسـاعدته كي تَسْـعَد ابنته بالفـرح الذي حلمت به، وبقضاء شـهر العسـل الذي تتمنـاه مع من تحب، فهـو على يقين من أن رامي وعائلته لا يملكون أن يقيموا لابنته فرحًا كبيرًا، أو قضاء شـهر عسل بالخارج، فيكفيهم ما تكبدوه لشراء المطبخ والأجهزة في شـقتهما والتي أصر رامي أن يشتريها بأفضل الماركات وأحدث النظم، وهو في النهاية لا يريد غير سـعادة ابنته، فما قيمة الأموال إذا لم نسـعد بها من نحب!

نظرت إليه بوجهه الأسمر وشعره الناعم وغمازات خدوده العميقة، والفرحة تملأ عينيها، لقد كان فيه كل ما تتمناه في رجل، بوجهه الساحر، وقوامه المفتول، وصوته العميق، الشيء الوحيد الذي كان يقلقها هو أن يكون أكثر جاذبية بين الرجال عنها بين النساء، وكان ذلك الخاطر يؤرقها كلما رأت نظرات الاشتهاء في عيون النساء الأخريات وهن ينظرن إلى رامي، ولكنها كانت دائمًا تطمئن نفسها بأنه ترك كل الأخريات من أجلها.

غاصت بجسدها النحيل الرقيق في كرسي الطائرة الكبير، فأمسك رامي بيدها ونظر إليها بعينيه العسليتين اللتين لم تكن تَمَل من النظر إليهما، وسألها:

- أأنتِ سعيدة يا حبيبتي؟

أجابته بعينيها قبل لسانها:

- لا أظن أن أحدًا على وجه الأرض في مثل سعادتي.

قال وقد زادته ابتسامته سحرًا:

- أنا أيضًا سعيد جدًّا، فهذه أول مرة أسافر فيها إلى مكان بعيد كهذا.

سألته وهي تريد أن تعرف كل شيء عنه:

- أين سافرت قبل ذلك؟

تنحنح قليلًا ثم أجاب:

- لم أسافر سوى مرة واحدة إلى إسبانيا في رحلة مع فريق التجديف، وأنا في الصف الثاني الثانوي.

نظرت إليه بحنان وهي تناوله المجلة التي انزلقت منه إلى الأرض:

- أأعجبتك إسبانيا، أنا أحبها جدًّا، لقد ذهبت مرتين إلى مايوركا مع أسرتي.

شعرت بيده دافئة تضغط على يدها بحنان فأغمضت عينيها، وابتسمت وصوته يرن في أذنها:

- أعجبتني جدًّا، وتمنيت أن أعيش هناك يومًا ما..

رفعت يدها قليلًا وتشبثت بذراعه بقوة:

- نستطيع الذهاب إلى هناك الصيف القادم لو أردت، فأبي اشترى لنا ثلاثة أسابيع ((تايم شير))، نستطيع تبديلهم والذهاب إلى أي مكان تريده..

ربت على يدها، وقد تفاءل بالمستقبل، وشعر بالسعادة لاختياره لها عروسًا؛ فصحيح أنه لم يكن يحبها كما يحب أبطال السينما بطلاتها، ولكنه كان يعزها كصديقة غالية لا مانع لديه من قضاء الوقت معها، فقد كانت دائمًا إلى جواره تسانده سواء قبل تخرجه من الجامعة أو بعده، وعمومًا فهو لم يعرف الحب الذي يصفونه في الأفلام أبدًا، فلم يحبها ولا أي فتاة أخرى، بل إنه لم يكن يؤمن بالحب أصلًا، فبالنسبة إليه الحب هو رغبة مكبوتة، يستغلها الشعراء لكتابة دواوينهم، وصناع السينما لتسويق

أفلامهم، وهو عن نفسه لا يؤمن إلا بكل ما هو محسوس وملموس، ولكنه كان سعيدًا بها، فهي عروس ممتازة، مكتملة الصفات من جميع الجوانب، من جمال، وعلم، وأدب، وعائلة محترمة، غنية، بالضبط كما كان يتخيل، وهي بالإضافة إلى كل ذلك تقول إنها تحبه، وهو ما يحب أن يسمعه.

تنحنحت المضيفة وهي لا تريد أن تقطع عليهما صفاء حديثهما، ولكن تريد أن تعطيهما الفوط المبللة الساخنة كي يمسحا أيديهما، فنظر إليها وهو لا يدرك ما تريد، فابتسمت نادية ومدت يدها لتسحب الفوطة، وتمسح يديها ووجهها، فقلدها، وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة، فقد راوده ذلك الشعور الذي كان يكرهه والذي كان يهاجمه من وقت لآخر، بأن نشأتها كانت أرقى كثيرًا من نشأته، فبرغم أنه كان خريج مدرسة فرنسية أصر والده على دخوله فيها كي يتعلم لغة أجنبية تمكنه من العمل معه في الفندق، وبالرغم من تمكنه بعدها من الالتحاق بالجامعة الأمريكية بمصاريف زهيدة لتفوقه، فإنه لم يستطع الهروب أبدًا من حقيقة أسرته، فوالدته كانت سيدة منزل لم تذهب إلى أي مكان أبعد من السيدة زينب حيث كانت تسكن عائلتها، ووسط المدينة، حيث كان يحلو لها التنزه في ليالي الخميس، أما والده فقد كان يعمل جاهدًا ليعلم أبناءه أفضل تعليم، ورُقِّي سريعًا في فندقه، وقام بالعديد من السفريات لحضور دورات تدريبية تابعة للفندق في الخارج مثل والدها، ولكن المشكلة الوحيدة أنه حضرها جميعًا بصفته كبير طباخي الفندق الذي يعمل به، وليس كمدير بنك مثل والدها، فعندما يقارن والده بوالد نادية سليل إحدى أغنى وأكبر عائلات مصر، ووالدته بوالدتها سيدة المجتمع التي ترأس تحرير مجلة خاصة

أنشأها لها زوجها كي تملأ وقت فراغها، لا يسعه سوى أن يشعر بسعة الفرق بينهما، بالرغم من جميع محاولاته للقضاء عليه باجتهاده وتفوقه.

أراد رامي أن يُخفي حرجه، فتمتم للمضيفة بكلمات شكر فرنسية، فردت عليه هي الأخرى بالفرنسية، ومرت على باقي الركاب من حولهما، ثم عادت إليهما بصينية المشروبات تسأله أيهما يريد بالفرنسية، فاختار التفاح، فالتفتت إليها تسألها عما تريد هي الأخرى، فمثلت نادية أنها لا تفهمها، كي تتركه يُترجم ما قالته المضيفة، فقد كان يعرف أنها لا تتقن الفرنسية مثله، وكانت تريد أن تجعله يشعر أنه يعرف أكثر منها، فلما سألها بالعربية، عرفت المضيفة أنهما مصريان، فانتظرت حتى يخبرها بأنها تريد عصير البرتقال، ثم ابتسمت لهما وسألتهما بلغة عربية بلكنة لبنانية، إن كانا يريدان شيئًا آخر، نظر إليها رامي ولأول مرة لاحظ ملامحها العربية المختلفة عن ملامح باقي المضيفات الآسيوية، وسألها:

- أأنت عربية؟

فأجابته بابتسامة:

- نعم والدي لبناني وأمي من تايلاند..

سألتها نادية:

- إذن تتحدثين العربية بطلاقة..

فردت وهي تناولها كوب البرتقال:

- أحب أن أعتقد هيك، فقد علمني والدي بعض الكلام، ولكن ما أنا خبيرة، فأنا أفضل الحديث بالفرنسية كما كان يحدثني والداي معظم

الوقت، أو التايلاندية حيث عشت كل عمري.

ثم أضافت ضاحكة:

- ولكن ليبقَ ذلك سرًّا بيننا.. فقد اختاروني في الشركة على أساس أنني أتقن الثلاث لغات!

ردت عليها بعد أن شكرتها:

- وأكيد اختاروكِ لجمالك وخفة دمك أيضًا..

أجابتها بعربيتها المتكسرة:

- يعطيكِ العافية، شو طيبة.. أنتم ذاهبون معنا بانكوك ولا مكملين للصين؟

ردت وقد اتسعت ابتسامتها:

- يومان في بانكوك، ونكمل شهر عسلنا في بكين..

غمزت لهما المضيفة:

- شهر عسل أنتم عرسان جداد، ألفين مبروك..

أضافت وهي تنظر إلى رامي بفرح:

- تزوجنا منذ ثلاثة أيام..

مدت المضيفة يدها إلى التروللي واستخرجت طبقًا مليئًا بالشيكولاتة المغلفة بالسيلوفان الذهبي، وقدمت الطبق لهما الواحد تلو الآخر وهي تقول:

- إذن.. لابد أن نحتفل بكما على الطائرة..

تدخل رامي شاكرًا:

- شكرًا يا..

قرأ اسمها على الشارة الموجودة على صدر زيها البنفسجي، فأكمل جملته:

- يا رولا..

ردت المضيفة وهي تأخذ منه كوبه الفارغ:

- عفوًا خي..

ثم همست:

- سأتكلم مع الرئيسة وأعود لكم..

وأكملت رولا تقديم المشروبات لباقي الركاب واختفت بالداخل قليلًا، ثم عادت لهما وعلى وجهها ابتسامة كبيرة وهي تقول:

- هيا تعالا معي، هناك كرسيان فارغان بالدرجة الأولى، وقد وافق الكابتن على عمل upgrading بمناسبة زواجكما، هيا تعالا قبل أن تتحرك الطائرة.

تردد رامي قليلًا ولكن نادية شجعته قائلة:

- ليس في ذلك شيء، أبي كثيرًا ما ينقلونه إلى درجة أعلى من الدرجة التي حجزها، فأبي كثير السفر إلى نيويورك، ومعظم الأطقم على ذلك الخط يعرفونه جيدًا.

obeikandl.com

فأضافت المضيفة بابتسامة مطمأنة:

- بالتأكيد لا ضرر! إنها فرصة.. هيا تعالا.

ثم قادتهما عبر الستائر إلى الجزء الأمامي من الطائرة، فجلسا على المقاعد الوثيرة ودخلت المضيفة بأطباق المكسرات وكاسات الشمبانيا والبرتقال الطازج، والفيديو يشرح إجراءات الأمان ويؤكد على إغلاق المحمول، حتى أقلعت الطائرة، فأرجع رامي كرسي الطائرة إلى الوراء ووضع قدميه على الكرسي الصغير أمامه، وأخرج الشاشة الصغيرة الملحقة بالكرسي من مخدعها، وأخذ يقلب القنوات ليختار فيلمًا يشاهده، وهو لا يصدق أن هذه الفخامة في طائرة، وشعور جارف بالسعادة والرضا يملأ كل خلجة في نفسه، فأخيرًا وضع قدمه على أول طريق حياة الرفاهية، فهاهو ذا ذاهب إلى الصين ليبدأ مشروعه ويحقق حلمه في أن يصبح رجل أعمال.. أما نادية.. فكان كل ما تفكر فيه، منذ أن انتقلت إلى كرسي الدرجة الأولى، هو كيف ابتعد حبيبها عنها بهذا الكرسي الكريه؛ حيث أصبح بينهما ممر بعد أن كانا يجلسان معًا..!

***

-4-

نزلـت هالة من سـيارتها المـازدا الفضية بعـد أن ركنتهـا على جانب الطريـق الصحـراوي؛ لتتأكـد إن كان الإطـار فعـلاً فـرغ من الهـواء أم لا، وعلامـات الامتعاض تعكر وجهها الأبيض المسـتدير، فإن كان الإطار قد فرغ فعلًا فإنها ستكون ثاني مرة على التوالي خلال هذا الأسبوع، مع أنه لم يمر على شـرائه سـوى شهور قليلة، فمنذ أن توفي والدها وترك لها السيارة لم تكن قد اشـترت إطـارات جديدة لتحل محل أيٍّ مـن الإطارات، ولكن منـذ أربعة أشـهر أخبرها العامل بمحل تصليح الإطـارات أن أحد إطارات سـيارتها لم يعد يصلح للاسـتخدام، فبدلته بإطار مستعمل اشترته من عنده بعـد أن أكـد لها أنه في كفاءة الإطارات الجديـدة، ولكن هاهو يثبت أنه في رداءة إطارهـا القديـم، وكان معنـى فراغه المتكرر من الهواء أنها سـتضطر لشـراء إطار غير مسـتعمل في الغالب لن يقل ثمنه عن أربعمائة جنيه، وهي تكلفـة جديـدة لم تكن علـى بالها لو أضفناهـا لثمن البنزين سـتأكل راتب الشهر كله!

وكانت هالة عائدة بسـيارتها من عملها ككاشـير ومحاسبة في إحدى الكافيتريـات فـي طريق مصر الإسـكندرية الصحـراوي، فقد قبلـت القيام بالعمليـن معًا حتـى يتضاعف مرتبهـا، وكان ميعاد ورديتهـا التي بدأت في

السادسة بعد الظهر قد انتهى منذ ربع ساعة، فبدلت زي الكافيتريا بملابسها سريعًا؛ لتعود لمنزلها على الفور، وهي تتمنى في أعماق نفسها أن تكون والدتها قد استغرقت في النوم حتى لا تسمعها وهي تدخل البيت، فتلقي عليها محاضرتها اليومية عن التأخير وسُمعة البنات، وكيف أنها لن تجد من يتزوجها لو استمرت في هذا العمل..

كانت والدتها دائمة الاعتراض على تصرفاتها التي لا يعجبها شيء فيها، فهي معترضة على طريقة حياتها، وعلى ملابسها، وعلى عملها، وحتى على أصدقائها، وعندما تعبت هالة من كثرة اعتراضها على عملها طلبت منها أن تبحث لها عن عمل آخر، فلما لم تستطع، أصبحت تنام قبل مجيئها حتى لا تقابلها بالليل ويُحرَق دمها على حد تعبيرها، وتكتفي كل صباح بتأنيبها وبالدعاء لها بأن يتوب عليها ربنا من عودتها يوميًّا في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

صدق حدسها ووجدت إطار سيارتها فارغًا فعلًا، فوقفت على جانب الطريق المظلم وهي تكاد تنفجر في البكاء، وقشعريرة البرد تسري في جسدها، وشعور بالكره لهذه الحياة يملأ نفسها، فهاهي تقف في الظلام الكالح لا تعرف ماذا تفعل، فلم تقم بتغيير الإطار من قبل، وليس هناك أي مارة أو أي شخص قريب تستطيع أن تسأله مساعدتها، وكالعادة كان هاتفها المحمول بلا رصيد، وبالرغم من مرور سيارات كثيرة أمامها، فكانت لا تريد أن تظهر وتحاول إيقافها خوفًا من أن يقع حظها في شخص قليل الضمير أو سائق نقل مسطول فيقوم بأي عمل إجرامي، فقد كانت على دراية كاملة بأن فتاة مثلها تقف وحيدة في طريق مظلم كهذا في مثل هذا الوقت، ربما تثير في ضعاف النفوس أفكارًا مدمرة..

فكـرت أن تعـود إلى مقر عملها كـي تنادي أحد زملائها للمسـاعدة، ولكنهـا سـرعان ما تغاضـت عن هذه الفكـرة، فهي لا تعرف كـم تبعد عن عملها، ثم كيف تسير إلى هناك في هذا الليل المظلم وبهذا الكعب العالي، وفي النهاية آثرت أن تجلس داخل سـيارتها وتضع الإطار الاحتياطي على جانـب السـيارة، وتضـيء النور الخارجـي، على أمل أن يقف لهـا قائد أي سـيارة من تلقاء نفسـه ليسـاعدها.. ومـر الوقت ثقيلًا وهي تنفـخ في يديها بيـن الحين والآخر محاولةً تدفئتها ومحاولة إيجاد حل لهذه الورطة، وكما توقعـت لم تقف لهـا أي من تلك السـيارات الكثيرة، حتـى أصبحت على يقيـن مـن أنه لن تقف لها إحداهـا أبدًا، وتمنت لو تكون والدتها مسـتيقظة وأن تتصـل بها لتعرف سـبب تأخيرها، ولكن مر الوقت سـريعًا ولم يتصل بها أحد، فخمنت أنها قد نامت، وشـعرت بدموعها تسيل على خدها وهي تلعـن ضيق ذات اليـد الذي جعلها لا تغير الإطار بجديـد، بل الذي جعلها تعمل أصلًا في تلك الكافيتريا البعيدة.

نظرت إلى سـاعة يدها فوجدتها تجـاوزت الثانية بعد منتصف الليل، وهـي لم تزل تجلس في السـيارة، ولم تغير الإطـار الاحتياطي في الخارج ونور السـيارة مضاء وهي تجلس صامتة منتظرة، متشـاغلة بتأمل السيارات المـارة، محاولـة طمأنة نفسـها بأنه لا يمكن أن يحدث لها شـيء سـيِّئ في مثـل هذا الشـارع المزدحـم.. إلى أن خطر لهـا أن بطارية السـيارة قد تفرغ هي الأخرى، فنور السـيارة مضاء والموتـور غير دائر، فإن حدث ذلك فلن تسـتطيع التحرك بالسـيارة حتى لو نجحـت في تغيير الإطـار.. فقررت أن تطفئ أنوار السيارة وتبقى في الظلام.

مضى بعض الوقت قبل أن تيأس تمامًا من أن تقف لها سيارة، وتقرر أن تقبل الأمر الواقع وتنتظر حتى الصباح.. فأضاءت أنوار السيارة وخرجت إلى الجو الصقيعي مرة أخرى، ووضعت الإطار في مؤخرة السيارة، ثم دخلت، وأوصدت الباب، وأغلقت الأنوار كلها، وفتحت فتحة صغيرة في النافذة لتتنفس، وعادت بكرسيها للوراء قليلًا، وأخذت تتأمل السماء وهي تفكر فيما يمكن أن يحدث لها في هذا الشارع المظلم.. ووقعت عيناها على النجوم المتلألئة وقد بدت أكثر عددًا ولمعانًا في الظلام، وتذكرت أيام طفولتها وهي تتخيل تلك النجوم عيونًا تحدق فيها، ثم أخذت تتأمل الأشجار العالية السوداء على جانبي الطريق، وهي تحاول أن تطرد من تفكيرها الشعور بأنهم أشباح يحاولون الإطباق عليها، حتى غرقت في النوم.

كانت على وشك الاستيقاظ عندما سمعت جرسًا متكررًا بدا لها في الحلم وكأنه جرس باب منزلها مع والدتها، ففتحت الباب في الحلم، فإذا بالطارق والدها، يقف أمامها بملابس بيضاء، وقد فتح لها ذراعيه، بوجهه المشرق الحنون مبتسمًا بشوشًا كعهدها به، يحيط به نور لا تعرف مصدره، وقد بدا أكثر طولًا وعرضًا وكأن هامته تقترب من السماء، ونظر إليها بحب ثم أخذها في حضنه الدافئ، فأخذت تبكي على صدره، وهي لا تريد أن يتركها أبدًا، تبكي من الفقر، من الحاجة، من كل شيء في حياتها وهو يفهم كل ما تحس بلا كلمات، حتى مزق السكون صراخ حاد تحول إلى جرس عال رن في أذنيها، فأيقظها من النوم تمامًا.

حكَّت عينيها وهي لا تعلم أين هي، ونظرت حولها، باحثة عن سقف غرفة نومها ودولاب ملابسها البني الداكن المقابل لسريرها ولكنها لم تجدهما، بل وقعت عيناها على الأشجار المحيطة، فتذكرت ما حدث لها بالأمس، وشعرت بألم قاتل في رقبتها وظهرها، فنظرت إلى ساعتها فوجدت عقاربها تشير إلى السادسة والنصف، واندهشت لأنها نامت كل هذا الوقت وهي تجلس على كرسيها، وحاولت تحريك كتفها ورقبتها وطقطقتهما لعلها تريحهما من ذلك الألم، ولكنها لم تستطع، فقررت أن تخرج من السيارة، وتحرك جميع عضلات جسدها، فهي لم تعد خائفة بعد أن لمحت خيوط ضوء الشروق تشق ظلمة الليل، محاولة أن تزيح ستاره الأسود، لتطل الشمس على الدنيا بدفئها ونورها الرباني، ففتحت الباب ووقفت تستنشق الهواء المنعش، وقد بدت لها السماء رائعة بلونها الأزرق الداكن وهو يذوب في موجة هائلة من الشروق الأبيض تجتاح كل ما هو أمامها، وزقزقة العصافير من حولها تعزف سيمفونيتها الخالدة، لا يشوبها صوت زحام النهار ولا السيارات المسرعة، وتكرر صوت الجرس الذي أيقظها من نومها ولكن هذه المرة وجدته غناءً حانيا، فرفعت رأسها، فلمحت كروانًا يحلق فوق الأشجار، فتذكرت قول والدتها بأنه يسبح بحمد الله بصيحته هذه، فحمدت الله هي الأخرى على أن النهار قد جاء، ولم يحدث لها مكروه، ودندنة محمد منير في أذنيها وهو يردد «الشمس بترحل وبترجع.. الدنيا بتاخد وبتدي.. والليل لو طال بيعدي».

سمعت صوت سيارة قادمة من الأفق البعيد، فاقتربت من الشارع، ولكنها وجدتها سيارة نقل فتراجعت قليلًا، ثم ندمت على تراجعها، فكيف

يمكن أن يؤذيها سائق نقل أيًّا كان، في وضح النهار، ونظرت إلى ساعتها فوجدتها قد اقتربت من السابعة، فقررت أن تحاول إيقاف السيارة القادمة أيًّا كان نوعها، فوقفت على جانب الطريق وإلى جوارها الإطار الاحتياطي حتى يفهم من يمر أنها تريد تغييره، ومرت سيارتان مسرعتان لم تتوقفا، ثم أبطأت سيارة BMW سوداء فارهة، وتوقفت على مقربة منها، ونزل سائقها فاتجهت إليه وهي متفائلة بأن هذا الكابوس على وشك الانتهاء، فسألها إن كانت تحتاج لمساعدة، فردت عليه ووجهها متهلل:

- أرجوك ساعدني في تغيير الإطار فأنا أقف هنا منذ الأمس..

رد عليها على عجل:

- لحظة واحدة استأذن شريف بك.. إن كان لديه وقت..

وتركها واتجه إلى السيارة وفتح الباب ومال قليلًا حتى يسأل صاحب السيارة وهي تدعو الله أن يوافق، وعاد إليها السائق مبتسمًا، بعد أن حصل على الموافقة، واتجه إلى سيارتها وهو يقول:

- لا تؤاخذيني، فلابد أن أسأل شريف بك، قبل مساعدتك، فقد يتأخر عن عمله في البنك.. لكنني كنت متأكدًا من أنه سيوافق، فشريف بك طيب جدًّا..

فردت عليه وهي سعيدة أنها أخيرًا ستحل المشكلة:

- طبعًا طبعًا فهذا واجبك..

فتحت له مؤخرة السيارة ليستخرج العدة وأدارت له ظهرها، وأخرجت أصبع روج من حقيبتها، وزينت به شفتيها على عجل، ثم تركته

وتوجهت لشريف بك تشكره، وكان يجلس في المقعد الخلفي يتصفح بعض الأوراق، فرفع عينيه من فوق نظارة القراءة عندما شعر باقترابها وابتسم فحيته قائلة:

- صباح الخير يا افندم، أنا شاكرة جدًّا على مساعدة حضرتك، فأنا هنا منذ الأمس ولم أستطع تغيير الإطار.

رد عليها بتفهم وهو مستغرق في قراءة أوراقه:

- لا أبدًا.. لا شكر على واجب فأنتِ مثل ابنتي..

أضافت وقد اجتاحها شعور بالحرج:

- أنا آسفة جدًّا على تعطيلك هكذا..

رد عليها من فوق نظارته دون أن يرفع رأسه:

- لا تعطيل فلم يزل الوقت مبكرًا..

ابتعدت عن السيارة وتوجهت إلى السائق فوجدته قد رفع السيارة، وبدأ في انتزاع الإطار القديم، فقالت:

- شكرًا يا عم....

فأكمل السائق جملتها قائلًا:

- رضوان يا افندم..

انحنت والتقطت المسامير من الأرض ثم مدت يدها بها لعم رضوان:

- شكرًا يا عم رضوان، أنتَ لا تتصور كم أنا سعيدة لأن هذه المشكلة انتهت..

أشار لها عم رضوان أن تنتظر قليلًا ثم قال:

- لابد يا آنسة أن تتعلمي تغيير الإطار فلا أحد يضمن الظروف..

تمتمت قائلة:

- عندك حق يا عم رضوان، أعدك أنني سأتعلم.. فبعد ما حدث ليلة الأمس لابد أن أتعلم.. أنتم أنقذتموني اليوم..

أجابها باختصار:

- الشكر لشريف بك فهو الذي رآك وأمرني أن أقف..

نظرت إلى السيارة السوداء تتفحص صاحبها في فضول وقالت:

- الأستاذ شريف يبدو طيبًا جدًّا..

وضع الإطار الذي فكه جانبًا وقام واقفًا ليجيء بالإطار الآخر:

- فعلًا، فأنا أعمل لديه منذ خمسة عشر عامًا لم أر منه إلا كل خير..

سألته ولم تعد تستطيع إخفاء فضولها:

- يبدو عليه أنه يعمل في وظيفة مهمة جدًّا..

رد عليها بلهجة تعظيم:

- الأستاذ شريف مدير فرع بنك مانهاتن في المهندسين..

obeikandl.com

نظرت إلى السيارة بمزيد من الاهتمام، وكانت قد سمعت أن البنك يعطي مرتباته بالدولار الأمريكي وسألته:

- إنه بنك كبير وله فروع كثيرة، أليس كذلك؟

رد عليها وهو يريد أن يؤكد أهمية سيده:

- طبعًا، وهو مدير أكبر فرع..

خفضت رأسها قليلًا، وهي تفكر آه لو كان لها أب مثل شريف بك، لكانت حياتها اختلفت تمامًا، ثم خطر لها ماذا لو تسأله أن يتوسط لها في وظيفة في البنك أو عند أحد عملائه، ولكن من هي لتطلب منه مثل هذا الطلب؟ ألا يكفي أنه ساعدها في تغيير الإطار أصلًا؟ فكيف تفتح مثل هذا الموضوع؟ دقائق ويغير عم رضوان الإطار، وتذهب إلى حال سبيلها، ويذهب الأستاذ شريف إلى عمله بعد أن عطلته كل ذلك الوقت.. لا مجال لأن تطلب منه طلبًا كهذا، ولكن أليس من الممكن أن يكون القدر قد بعثه لها كي يساعدها؟ لِم لا تسأله وتترك له الاختيار؟ لا، لا، ماذا سيظن بها إن سألته؟ ومن هي ليخدمها مثل هذه الخدمة؟ بل لابد أن تركز مع عم رضوان وهي ممتنة لأنها أخيرًا ستستطيع العودة إلى منزلها كي ترتاح قليلًا، بعد تلك الليلة المرهقة، وتستعد لعملها في المساء.

أخذت تراقب ما يفعله عم رضوان في صمت، وهي ترمق الأستاذ شريف في سيارته الفارهة بتمنٍّ.. إنها لا تستطيع أن تغير القدر وتجعل مثل هذا الرجل أباها، ولكن هل يسمح لها القدر أن تتزوج مثله؟ ولكن من

المؤكد أن مثل هذا الرجل لديه أسـرة وزوجة وأولاد بل ربما يكون هؤلاء الأولاد في مثل سـنها.. ولكن ماذا في ذلك..؟ سـيكون على الأقل ناضجًا ويرعاها.. ولكن أتأخذه من زوجته وأولاده؟ وماذا في ذلك لقد اسـتمتعوا بحياتهم معه طوال عمرهم.. فلماذا لا تأخذ هي بعض الوقت منه.. ويكون لها سـيارة مثل سيارتهم ومنزل مثل منزلهم وحياة مثل حياتهم.. أذنبها أنها لـم يكـن لها أب مثله؟ أفاقت من شـرودها على صوت سـعال عم رضوان وهو يغير الإطار ويسـعل من البرد، فعادت إلى الجو البارد والشـارع وإلى سـيارتها وإلـى واقعها.. وتذكـرت والدتها التـي لابد ستسـتيقظ بعد قليل ولا تجدهـا، وإلـي جيرانهـا الذين لا تريـد أن يَروْها عائدة فـي الصباح من عملهـا.. وأخـذت تتأمل عـم رضوان وهـي تتمنى أن ينهي مهمته سـريعًا، ومُحاوِلةً أن تحفظ كل خطوة يقوم بها عن ظهر قلب، حتى لا تتعرض لهذا الموقـف من جديد، فهاهو يفك الإطار القديـم، ويأتي بالإطار الاحتياطي ويبدلـه، ثم ينزل بالسـيارة، ليركب الجديد.. ولكن للأسـف فوجئت وإياه بأن الإطار الجديد فارغ هو الآخر، فنظر إليها وهو جاثم على الأرض:

- للأسف الإطار الاحتياطي فارغ هو الآخر..

نظـرت إليـه بانزعاج شـديد، فكانت قد صدقـت أن المشـكلة أخيرًا ستحل وتعود لمنزلها، سألته:

- لماذا؟ أنا متأكدة، أني كنت قد ملأته قبل أن أعيده لمكانه في المرة السابقة..

رد عليها عم رضوان:

- أحيانًا يحدث هذا للإطارات القديمة، ويبدو أنك لم تغيري الإطارات منذ مدة طويلة..

سألته وقد أوشكت على البكاء:

- وما الحل؟

رد عليها وهو يدرك حجم المشكلة:

- ليس أمامك إلا أن تأخذي واحدًا منها إلى محل إطارات، ثم تعودي مرة أخرى لتركبيه في السيارة كي تستطيعي التحرك..

وضعت يدها على وجهها وهي لا تصدق ما يحدث، ولا تعرف كيف تتصرف بينما عم رضوان يعيد العدة والإطار الاحتياطي، إلى مؤخرة السيارة، نزل الأستاذ شريف من سيارته وكان يراقبهما من بعيد فسألهما عما حدث فأجابه عم رضوان بأن الإطار الاحتياطي هو الآخر فارغ، فكر الأستاذ شريف للحظات، ثم التفت إلى السائق قائلًا:

- هات الاثنين معنا في السيارة، وتعالي يا ابنتي معنا حتى تصلحيهما ويعود بك عم رضوان إلى هنا..

نظرت إليه بتردد وقد اختلطت عليها المشاعر، فهي تريد أن تركب معه السيارة للذهاب إلى محل الإطارات وحل المشكلة، وفي نفس الوقت يعتريها شعور بالخجل من أن تثقل عليه وهو - مهما كان - رجل غريب، كما أنها لا تعرفهما ألبتة فكيف تركب معهما سيارتهما، فقالت بصوت منخفض بان فيه ارتباكها، وعجزها عن التصرف:

- أنا لا أريد أن أعطل سيادتك أكثر من ذلك..

رد عليها الأستاذ شريف بلهجة مطمئنة وقد خمن ما يدور بذهنها:

- لا تعطيل ستوصلونني لعملي في البنك ثم يذهب معكِ عم رضوان لإصلاح الإطارين ويعود بك.

ثم مال عليها وأضاف هامسًا وهو يبتسم لها:

- بدلًا من أن يشرب الشاي ولا يفعل شيئًا طوال النهار..

ابتسمت وهي تشعر أنه يريد أن يزيل حرجها، ونظرت إليه وهي ممتنة تشكره فمد إليها يده، وقال:

- لا شكر على واجب..

ثم أضاف يعرِّفها بنفسه:

- شريف صبري..

ردت عليه وقد مدت يدها هي الأخرى:

- هالة سمير..

ركبت معه السيارة، وجلست على المقعد الجلدي الوثير، مستمتعة بتكييف السيارة الدافئ بعد ليلة طويلة من البرد القارس.. وهي تفكر تُرى كم دفع هذا الرجل في مثل هذه السيارة؟

***

obeikandi.com

-5-

دخـل الأسـتاذ شـريف صبري مكتبـه وهـو لا يسـتطيع أن يكف عن التفكيـر فـي هالة، هي تقريبًـا في عمر ابنتـه، لا بل أكبر قليـلًا، ولكن نظرة الحـزن والانكسـار في عينيهـا جعلته يشـعر أنها أكبـر كثيرًا، وأخـذ يتذكر ملامح وجهها الأبيض المسـتدير، إن عينيها عسـليتان مثل ابنته ولكن أنفها أكبر إلى حدٍّ ما، أما فمها فلا يسـتطيع أن ينسـى ابتسـامته بشـفاهها الوردية الرفيعـة، وهي تداري في خجل خَفِيٍّ أسـنانها الصغيـرة، ولكن لماذا بدت أسـنانها صفـراء هكذا؟ أتكون مدخنـة؟ ربما.. ففتيات هـذه الأيام لا مانع لديهـن من الكثيـر.. وفتاة مثلهـا تعمل في ورديـة ليلية، ومسـتقلة هكذا.. لابـد ألا يكـون لها رابط.. ولكن لا.. لقد بدت خجولـة.. هادئة.. كما أنها بـدت محرجـة جدًّا عندما ركبت معه السـيارة.. إنها ليسـت كتلك الفتيات المنفلتـات.. إنها مثل ابنته طيبة ورقيقة.. صحيح أنها لم تكن في جمالها.. فابنتـه أحلـى فتيات الدنيا طبعًـا.. ولكن هالة أيضًا جميلة.. جميلة بشـكل آخـر.. بـل إنها رائعة الجمـال.. جمال هادئ رقيق.. كلمـا نظرت إليه أكثر يجذبـك إليـه بشـدة أقوى.. تحـس فيه بنظـرة رجاء واسـتغاثة.. يعكسـان ضعف وقلة حيلة صاحبتهما.. فتشعر أنك لا تستطيع سوى أن تفعل كل ما في وسعك لتساعدها.

ابتسم الأستاذ شريف وهو يتذكر شكرها له على قبول توصيلها، وعينيها المبهورتين بالصالون الداخلي لسيارته الفارهة، ثم اتسعت ابتسامته حين تذكر ترددها في قبول علبة العصير التي قدمها لها من الثلاجة الصغيرة الموجودة في السيارة، وتذكر نظرة الارتياب في عينيها وهي تمد يدها لتأخذها، أحقًّا كانت تشك فيه؟ وفي أنه وضع لها منومًا أو شيئًا من هذا القبيل في العصير، لابد أنها تشاهد أفلامًا بوليسية كثيرة، ولكن ربما يكون لها بعض الحق في قلقها، فهو في النهاية بالنسبة لها رجل غريب، صحيح أنه يبدو غالبًا في سن والدها، ولكن لها حق فالدنيا لم يعد بها أمان.

أعاد رأسه للوراء وأسنده على الحائط خلف مكتبه، وعقد حاجبيه، وهو يتذكر نظرتها الحزينة عندما سألها عن أبيها، فأخبرته أنه توفي من اثني عشر عامًا على إثر حادث في طريق عودته من حلوان، حيث كان يعمل مدير حسابات في مصنع أسمنت طرة، وكيف انقلب به أوتوبيس العمل هو وزملاؤه، ونجا جميع من معه باستثنائه هو، وكيف صرف له المصنع مكافأة في ذلك الوقت، ولكن بعدها نسوه تمامًا، ولم يعد لها ووالدتها وأختها الصغيرة سوى رب يحميهم، ومعاش صغير بالكاد يكفي لتغطية مصاريفهم، وكيف اضطرت للعمل بشهادة الثانوية العامة إلى جانب انتسابها إلى كلية التجارة، إلى أن نجحت في الحصول على البكالوريوس منذ خمس سنوات، وتذكر ابتسامتها الفخورة وهي تخبره أنها أخيرًا أصبحت محاسبة مثل والدها، وكيف تأمل أن تتخرج أختها الصغرى مهندسة كما تمنى والدها، وكيف أصبحت تعمل ورديتين بدلًا من وردية

واحـدة، كي تغطـي مصاريف الدروس الخصوصية لتتفـوق أختها وتحقق أمل أبيها.

كانـت هالـة تتحـدث بطلاقـة وحمـاس، وكأنهـا كانـت صامتـة منذ سـنوات، وأخيـرًا وجدت من يسـتمع إليهـا، فروت له عـن والدتها وكيف لا يعجبهـا عملها، وعـن جيرانها وتعليقاتهم السـخيفة عليها، وعن أختها، كيـف كبرت، وأصبحت فـي الصف الثانـي الثانوي، وهو يسـمعها وعقله يعمل بسـرعة محاولًا التفكير في طريقة يسـاعدها بهـا، وبالأخص بعد أن طلبـت منـه في حياء، أن يحاول – إن لم يكن في ذلك إثقال عليه – أن يجد لها وظيفة أخرى بالقرب من منزلها في شبرا، حيث تسكن في شارع صغير بالقرب من موقف عبود، وهو يهز رأسـه مسـتمعًا لها بلا ملل، حتى وصلا إلى البنك، فنزل إلى عمله، وقد ملأه شـعور بأنه لا يريد أن يتركها، بل يريد أن يسـتمع أكثـر إلـى حكاياتها، فوضع يـده في جيب جاكـت البدلة الأنيق الـذي يرتديـه، وأخرج محفظته وأخـرج منها بطاقة، أعطاهـا لها، ثم طلب منهـا الاتصـال به في اليوم التالـي، حتى يكون قد أجـرى اتصالات ببعض معارفـه، ليـرى ما يمكـن أن يفعله لها، ثـم تركها مع عم رضـوان ليوصلها إلى منزلها لتنتظره هناك حتى ينتهي من إصلاح الإطارين، بعد أن مال عليه وأعطاه بعض النقود وهمس له بألا يحاسـبها على التصليح، ويأخذها إلى سيارتها بعد الانتهاء منه.

أخذ يفكر في سـبب سـيطرتها على تفكيـره، ورغبته في مسـاعدتها، أيكون لأنها تشبه ابنته كثيرًا، ويكون قد اشتاق لابنته خاصة بعد أن سافرت مع زوجها، أم يكون قد رثى لحالها بسبب ظروفها التي روتها له، أم أن تلك

النظرة الحزينة في عينيها قد أثرت عليه، ولكن ماذا إن كان قد رثى لها؟ إنها فتاة صغيرة في محنة وتحتاج إلى مساعدته، وقد يكون في يده مساعدتها، فلِم لا يحاول؟ على الأقل حتى تجد ابنته من يساعدها إن وقعت في شدة أو ضيق، نعم هذا هو سبب اهتمامه بها، إنه يريد أن يساعدها لكسب الثواب، ولا حرج في ذلك، سيحاول أن يجد لها وظيفة مناسبة ربما تغير مجرى حياتها.

أخذ يفكر في الوظيفة المناسبة لها، أيحدث أحد عملائه بشأنها؛ ليعينوها في إحدى شركاتهم؟ ولكنه كان يريد الاطمئنان عليها، فماذا إذا عينها أحدهم ثم فصلها بعد أن تنتهي مصلحته من البنك، ثم من أين له أن يعرف أنه سيعينها بمرتب يكفيها وأختها ووالدتها؟ إنه يشعر أنه مسؤول عنها، ويريد مساعدتها، فلماذا لا يحاول تعيينها في البنك؟ ولكن كيف وهي غالبًا لا تعرف أية لغة أجنبية؟ فصحيح أنها أخبرته أنها محاسبة ومعها بكالوريوس تجارة، ولديها خبرة لعدة سنوات في العمل ككاشير، ولكن معرفة لغة أجنبية ضرورة للتعيين في البنك، فلو قرر تعيينها في قسم السكرتارية مثلًا، لن تستطيع حتى أن تكتب خطابًا إن لم تكن ملمة بالإنجليزية، أما قسم الحسابات فجميع حساباته وتقاريره بالإنجليزية، والعلاقات العامة طبعًا تحتاج إلى لغات فالقسم يتعامل مع موظفي ومديري فروع البنك بالخارج باستمرار، بالإضافة إلى تعامله مع العملاء والكثير منهم أجانب، وهداه تفكيره إلى أن القسم الوحيد الذي يمكن أن يضعها فيه هو الخزينة، فهي لها خبرة في التعامل مع النقود، وضبط الخزينة ومفردات اللغة التي يحتاج القسم إلى التعامل بها محدودة جدًّا، ستستطيع

إتقانها سريعًا، ثم تقوي نفسها بأخذ دروس لغات، فهي مازالت صغيرة ويبدو عليها الاجتهاد، وعمومًا فهو يستطيع أن يعطيها الفرصة، ويضعها تحت الاختبار لفترة، فإن لم تصلح، لا يعينها.

وارتاح لهذا التفكير فاستدعى مدام مشيرة سكرتيرته، وطلب منها أن تأتي له بسجل تعيينات البنك في الفترة الأخيرة، فجاءت به مسرعة، فأخذ يتفحصه؛ ليطلع على مؤهلاتهم، وهي واقفة تنتظر، فقرر أن يسألها عن رأيها دون ذكر تفاصيل، فدعاها إلى الجلوس ثم سألها:

- ما أخبار البنك يا أستاذة مشيرة؟

ردت عليه وهي تعتدل في جلستها:

- الكل يتحدث عن فرح نادية يا أستاذ شريف، لقد كان فعلًا من أحلى الأفراح التي حضرتها..

ابتسم وهو يتذكر ابنته في ثوب زفافها الأبيض والزهور تحيط بها من كل جانب وصوت زغاريد الفرح ترج قاعة الفندق الكبيرة..

- حقًّا.. ألم تكن جميلة يا مشيرة..؟

أجابته مشيرة بنظرة حالمة وهي تتخيل ابنتها في ذات الموقف:

- كانت في جمال القمر يوم اكتماله..

تنهد الأستاذ شريف ثم قال:

- أتمنى أن يستحقها ويقدرها ذلك الـ «رامي» الذي اختارته..

نظرت إليه وهي تدرك شعوره الخفي بالتفريط في ابنته الوحيدة:

- إنها تحبه يا أستاذ شريف.. وهو شاب مجتهد وله مستقبل..

أطرق رأسه وقال:

- ولكنه متصنع.. وليس على طبيعته..

أجابته مشيرة وهي تريد أن تلفت نظره لما يتعمد تجاهله:

- ولكنها تحبه..

تنهد مرة أخرى وقال:

- كنت أتمنى لها عريسًا أفضل..

أجابته بالجملة التي كانت دومًا تكررها لنفسها:

- كل شيء نصيب..

ترك الأستاذ شريف سجل التعيينات الجديدة من يده ودار بكرسي مكتبه، لينظر إلى خارج الشباك الموجود خلفه:

- كم أفتقدها، لقد كانت تملأ علينا البيت فوالدتها دائمًا مشغولة في مجلتها ولقاءاتها واجتماعياتها، كنت أقضي معظم وقتي معها..

ردت عليه مشيرة وهي تمد يدها لتأخذ السجل:

- يومان وتعود يا أستاذ شريف.

دار بكرسيه ليواجهها مرة أخرى وأشار لها أن تترك السجل، وفتحه مرة أخرى على صفحة التعيينات الجديدة:

obeikandl.com

– عندك حق، وعمومًا فليس لي أن أعترض، يكفي أن رامي وافق أن يسكنا معنا..

ثم أضاف:

– لقد أنسيتني ما استدعيتك لأجله، لقد قصدتني إحدى زميلات نادية، لأجد لها وظيفة في البنك، وأنا أريد أن أخدمها، ففكرت في قسم الحسابات أو قسم الخزينة.. ألم يكن رامي قد طلب زيادة عدد موظفي القسم؟

ردت عليه وهي تنسق باقي الأوراق على المكتب:

– نعم.. ففور علمه بنشر البنك إعلانات طلب الموظفين في الجرائد الرسمية.. أبلغ شؤون العاملين باحتياج قسمه هو الآخر لموظفين جدد.. ونفس الشيء فعله الأستاذ عاصم..

فأجابها وعيناه تجريان على سطور السجل:

– يبدو أن المشكلة ليست في قسم الائتمان فقط كما كنت أظن.. وإنما في قسم الحسابات وقسم الخزينة أيضًا..

– عمومًا اطمئن سيادتك فقد تقدم لنا المئات حتى الآن..

قام واقفًا ليخلع سترته ويضعها على الشماعة القريبة:

– ولكن الاختبارات مازالت مستمرة أليس كذلك..؟

فردت مشيرة وهي تتابعه بعينيها:

– بلى..

جلس من جديد ثم قال:

- إذن استدعي لي الأستاذ عاصم من الحسابات..

همت بالوقوف وذكرته بأن الأستاذ عاصم في إجازة ذلك الأسبوع ثم أضافت بلهجة حزينة بعض الشيء:

- سيادتك نسيت أن زوجته دخلت المستشفى أمس الأول؟

خبط بيده على جبهته قائلًا:

- آه لقد ذكرتني بهذا الموضوع.. أخرجت من العناية المركزة؟

- نعم خرجت صباح اليوم.. لكن الطبيب قرر تركيب دعامات في القلب.. غالبًا سيتم تركيبها غدًا..

فرد عليها على الفور:

- إذن ابعثي باقة زهور باسمي، وباقة أخرى باسم موظفي البنك.. سأمر عليهم في المستشفى في طريق عودتي للبيت.. استدعي لي الأستاذ عبد الرحمن بدلًا منه.

خرجت مشيرة والأستاذ شريف يفكر إن كان من الأفضل أن يحاول تعيين الآنسة هالة في قسم الخزينة حيث زوج ابنته أم في قسم الحسابات.. ولم تمر دقائق وعادت مشيرة من جديد تنبئه أن الأستاذ عبد الرحمن في مأمورية في المركز الرئيسي وقد استدعت مدام مها بدلًا منه.

جاءت مدام مها وهي متحمسة جدًّا لأن مدير الفرع يطلبها شخصيًّا، فبالرغم من أنها من أقدم موظفي البنك، إلا أن معظم من في البنك يعاملونها بشيء من الاستخفاف فيما يتعلق بالعمل ولا يعتمد عليها كثيرًا.. الجميع يعلمون أن معظم تركيزها منصبٌّ على أعمالها الجانبية من التجارة في الكتالوجات وبيع الوجبات الجاهزة للزملاء، وبالرغم من أنها كانت صديقة شخصية لزوجة الأستاذ شريف، مدام سامية، وتحضر معها جميع مناسبات سيدات المجتمع من حفلات غداء وعشاء واجتماعات إنرويل وروتاري، لم تجمعها أي ظروف بالأستاذ شريف شخصيًّا، لا داخل البنك ولا خارجه.

دخلت مدام مها إلى مكتب الأستاذ شريف مهرولة، ولو أن بعض القلق قد ساورها أن تكون قد أخطأت أو أنه يريد أن يلومها على شيء ما، ولكنه سألها باختصار:

- ما أخبار القسم عندكم؟

ردت عليه وقد خافت أن يسألها عن تفاصيل العمل:

- كل شيء على ما يرام، هل أبعث لحضرتك الأستاذ عبد الرحمن عندما يعود؟

أجابها وهو لا يريد أن ينتظر مديرها:

- لا شكرًا، لقد أردت فقط أن أعرف إن كان الأستاذ عاصم والأستاذ عبدالرحمن قد اختبرا الموظفين الجدد مع شؤون العاملين.

ردت عليه وكأنها تروي له مسلسلًا تليفزيونيًّا:

- أنا لست في لجنة الاختبارات حضرتك، لكن سمعت الأستاذ عبد الرحمن يتحدث مع الأستاذ عاصم عن محاسب متقدم لنا من بنك آخر، وأظن أنهما اختاراه، وسمعتهما يقولان إنهما سيعرضان أوراقه على حضرتك.

أجابها وقد تذكر حقيقة مدى مساهمتها في عمل البنك:

- أشكرك يا مدام مها.. تستطيعين الانصراف الآن.. واطلبي من مدام مشيرة أن تستدعي لي الآنسة ريهام.

كانت ريهام تقوم بعمل الأستاذ رامي زوج ابنته، بصفتها نائبًا له، فكانت مسئولة عن الخزينة وعن قسم الملفات وخدمة العملاء مع مدام أماني، حتى موعد عودته من شهر العسل.

جاءت ريهام على الفور وهي تحمل علبتين ذهبيتين صغيرتين في يديها، فدخلت على الأستاذ شريف، وهي مبتسمة تقول:

- لقد كنت على وشك أن أمر على حضرتك يا افندم، كيف حال نادية..؟

فأجابها بابتسامة دافئة:

- مبسوطة الحمد لله.. ما أخبارك أنتِ؟

ردت عليه بابتسامة عريضة:

- لقد جئت أدعو حضرتك والعائلة إلى فرحنا أنا وعبد الرحمن في أول الشهر القادم.

مدت له يدها بإحدى العلب الذهبية، ملصقًا عليها وردة فضية رقيقة يتدلى منها شريط ذهبي حريري ومكتوب عليها بخط عربي أنيق:

«الأستاذ شريف صبري والعائلة»

فتحها وأخرج منها الدعوة وقرأ اسم العريس:

- مبروك يا ريهام.. صبرتِ ونُلتِ، الأستاذ عبدالرحمن شخص طيب ومحترم جدًّا، كما أنه جاد ومجتهد، وله مستقبل كبير في البنك..

أجابته وقلبها ينتفض من الفرحة:

- شكرًا يا أستاذ شريف.. عبد الرحمن من أجمل الشخصيات التي عرفتها.. وصدقني أنا لا أقول ذلك لأنه خطيبي.. فقد مر عليَّ سنة منذ أن تعرفت به، ومازلت كل يوم أكتشف فيه صفة جديدة جميلة..

ابتسم لها قائلًا:

- حب من أول نظرة يعني..

تورد وجهها وردت عليه في خجل:

- عبد الرحمن شخصية جميلة يا أستاذ شريف.. أرجوك لا تنس الموعد حضرتك، واكتبه في أجندتك، الفرح يوم واحد يناير إن شاء الله، في القاعة الرئيسية بنادي المدفعية في مصر الجديدة..

سألها في فضول وهو ينظر إلى التاريخ:

- لماذا اخترت أول يناير؟ ربما يكون البعض مسافرًا احتفالًا بالأعياد.

ردت وبريق الحب يلمع في عينيها:

- لنبدأ السنة الجديدة معًا..

أعاد الدعوة إلى علبتها الذهبية وقال:

- ربنا يتمم لكما على خير، أنتِ تستحقين كل خير، وهو كذلك..

ووضع العلبة الصغيرة جانبًا، وارتسم وجهه بنظرة جادة من جديد.. ثم التفت إليها متسائلًا:

- هل انتهيتِ من اختبارات المتقدمين للقسم عندك؟

أجابته بنفس اللهجة الجادة:

- تقريبًا فلجنتي مكونة من الأستاذ يوسف والأستاذة أماني، مع الأستاذ ماجد من شؤون العاملين، نجتمع ونجري الاختبارات يوميًا منذ أسبوع لتصفية المتقدمين حتى نعرضهم على حضرتك.

سألها وهو يتوقع إجابتها:

- وهل تقدم كثيرون؟

أجابته وهي تحاول أن تتذكر أعداد المتقدمين:

- لا تعد يا أستاذ شريف.. لكن معظمهم خريجون جدد إما من كلية التجارة أو من الأكاديميات العليا، وهناك اثنان من الجامعة الأمريكية..

obeikandl.com

- وما رأيك فيهم؟

أجابته بأن الحكم صعب فوظيفة الخزينة حساسة وبعد ما حدث من محسن وشاهيناز لابد من توخي الحذر، كما أن معظم المتقدمين خريجون جدد تنقصهم الخبرة.. فسألها عن عدد الموظفين الذين يحتاجون إليهم في القسم، فردت عليه بالرد الذي تمناه:

- القسم يحتاج للعديد من الموظفين.. فلم يبق فيه غيري أنا ونيرمين، ونيرمين حامل كما تعلم حضرتك، أما مدام مُنى فمنذ أن وضعت مولودتها وهي كثيرة الإجازات، كما أن ساعة الرضاعة التي تأخذها كل صباح تؤخرها عن العمل..

علق الأستاذ شريف:

- إذن من الأفضل أن ننقلها إلى قسم الملفات مع مدام أماني ولو مؤقتًا حتى تنتهي فترة الرضاعة.. وماذا عن الأستاذ عُمر، ألم ينتقل إليكم؟

وهنا خفضت رأسها وهي لا تدري ما تقول:

- الحقيقة يا أستاذ شريف لا أعرف ماذا أقول؛ فقد ثبت أن عُمر لا يصلح عندنا إطلاقًا، فهو كثير الأخطاء، وعادة لا يريد أن يبقى في البنك عند التأخير، ويرمي الحمل طوال الوقت على زملائه.

قال مستاءً:

- هذا بالضبط ما قاله الأستاذ عاصم عندما نقلته له في قسم الحسابات، ولكنني أردت أن أعطيه فرصة في قسم آخر، خاصة وأنا

مطمئن إلـى مراجعتكم وراءه، فهو في النهاية ابن أخي الوزير، وقد أوصى عليه جدًّا..

فـردت ريهـام علـى مديرها باقتـراح طالما فكرت فيـه ولكن لم تكن تملك الشجاعة الكافية لتطلبه من مدير البنك:

- إذن نعيـده إلـى قسـم ملفات العملاء مـع مدام أماني مـرة أخرى، فضغط العمل هناك أقل ولا مجال كبيرًا للأخطاء، ونأخد نيهال بدلًا منه..

نظر الأستاذ شريف إلى سجل المعينين الجدد أمامه ثم سألها:

- وماذا عن الموظفة الجديدة التي عيناها منذ شهرين؟ أليس اسمها رانيا؟ أأثبتت جدارتها؟

أكـدت ريهام لمديرهـا أن الموظفة الجديدة مجتهدة وتريد أن تتعلم، ونجحت فعلًا في أن تحل محل مدام مُنى عندما تغيب ولكن ذلك لا يعني إطلاقًـا أنهم لا يحتاجون موظفين جددًا في القسـم، وكان ذلك بالضبط ما أراد أن يصل إليه، فقال لها على الفور:

- لقد توقعت كل ذلك منذ أن طلب الأستاذ رامي الأستاذ عمر ليعمل معه في القسـم، عمومًا لديَّ محاسـبة معرفة أريد أن تختبريها، أنا لا أعرفها شـخصيًّا، ولكنها تبدو أمينة وجادة ومثابرة على العمل، اسمها هالة سمير، سأبعثها لكم كي تختبروها.. ولا تنسي أن تبلغيني رأيكم فيها..

وعدته ريهام بأن تقوم بذلك، وخرجت لتكتب اسمها على ورقة عند مدام مشيرة، وفي يدها دعوة الفرح الثانية كي تعطيها إياها، بينما جلس هو

يفكـر إن كان من الحكمة أن يسـعى لهالة في وظيفة فـي البنك الذي يعمل فيه، أم من الأفضل أن يحدث أحد عملائه عنها.

أفاق الأسـتاذ شـريف مـن شـروده، على صـوت رنين هاتـف البنك الموجـود علـى المائـدة الجانبيـة لمكتبـه، وكان خـط المركـز الرئيسـي المباشـر مـع مكتبه هو الذي يرن، فشـعر بانقباض في صـدره، والتفت إلى الهاتـف، وهـو لا يريـد أن يـرد، فمنذ مشـكلة الاختلاس الـذي حدث في فرعـه في ديسـمبر الماضي، ولم يأت له هذا الخط إلا بالأنباء السـيئة، فقد جـاءت قرارات مجلس الإدارة حينذاك بتغييرات لمعظم وظائف مسـئولي الأقسـام في البنك، حيث أوقف محسـن وشـاهيناز عن العمل وحولا إلى مباحـث الأموال العامة، ومن بعدها إلى النيابة، ونقل الأسـتاذ يوسـف من قسـم مراكز العملاء إلى قسم الاعتمادات المسـتندية، ورُقي الأستاذ رامي مكانه، متخطين ريهام الأقدم منه ومبقين لها في منصب نائب رئيس القسم الـذي حدثت فيه المشـكلة كما هي، بينمـا تأجلت ترقيته هو شـخصيًّا من مدير الفرع إلى نائب رئيس البنك في المركز الرئيسي إلى أجلٍ غير مسمى، وبقي هو والأستاذ عاصم مدير الحسابات في موقعيهما كما هما بلا تغيير، كما وافق المجلس على منح د.مديحة إجازة بدون مرتب لمدة سـتة أشـهر قابلة للتجديد لمرضها، وأصبح الأسـتاذ رشـاد يدير القسـم تحت إشراف مدام أماني إلى أن تصل مدام سيلفيا التي انتدبت من فرع البنك في دبي كي تحل مكانها للأشهر الستة القادمة.

وكان تأجيل ترقية الأسـتاذ شريف لمنصب نائب رئيس البنك صدمة لـه، فلـم يكن له ذنب على الإطلاق فيما حدث، بل إنه سـاعد على كشـف

الجنـاة في نفس يوم اكتشـاف عملية الاختلاس، ولكن مـع ذلك جاء قرار مجلـس الإدارة مجحفًـا، لـم يأخـذ في اعتبـاره سـنوات خبرتـه الطويلة، ولا سـاعات عملـه الكثيرة، فقط ذكروا له مشـكلة الاختلاس بلا تفاصيل، وألقوا عليه المسـئولية لأنها حدثت في فرعه، واعتبروه مسـئولًا عن جميع تصرفات من يقع تحت قيادته، وتركوه بشعور كريه من الإحباط لم يستطع التغلب عليه بالرغم من مرور سـنة كاملة على تلك المشـكلة، فأصبح يأتي إلـى البنـك كل يوم بلا حماس، وقد سـيطر عليه شـعور بأنـه مهما بذل من مجهود فلا أحد يقدر.

وكان المتحـدث علـى الهاتـف طاهر شـمندي نائب رئيـس مجلس إدارة البنـك، الـذي عين بدلًا منه في منصب النائـب، وكان هو الأجدر منه بالمنصب من جميع النواحي، سـواء من حيث سـنوات الخبرة أو المقدرة علـى العمـل، ومع ذلـك اختاروه هـو، وكان طاهر على درايـة تامة بذلك، ومع ذلك كان سعيدًا بمنصبه فخورًا به، بل لم يكن يترك فرصة يحدثه فيها بصفتـه نائب رئيس البنك إلا ويسـتغلها، فيبلغه عـن مواعيد الاجتماعات، أو قـرارات مجلـس الإدارة، أو يعطيه التعليمات ملفوفـة ببضع مجاملات مزيفـة، يسـأل فيها عن صحتـه وأخبار العائلـة، بالرغم مـن أن الطبيعي أن يطلب من قسـم السـكرتارية الملحق بمكتبه، إبلاغ مدام مشـيرة سـكرتيرة الأسـتاذ شريف بنصف تلك الأخبار، مثل مواعيد الاجتماعات على سبيل المثـال. كان يتلذذ بأن يخبره هو بأخبـار الإدارة العليا بصفته أحد أفرادها، ويتعمد أن يعطيه نصف المعلومات فقط، حتى يشـعره أنه يعرف أكثر منه، خاصـة بعد أن تأكد له أن الأسـتاذ شـريف كان وراء عدم نقلـه للقاهرة منذ

خمس سنوات، بعد أن رفض تعيينه في فرعه كرئيس لقسم مراكز العملاء، بالرغم من ترشيح مجلس الإدارة له، بحجة أن سنوات خبرته غير كافية وأنه فضل آنذاك ترقية الأستاذ يوسف نائب رئيس القسم للمنصب، ويا لسخرية القدر فلم يكن يعلم وقتها الأستاذ شريف أن الأستاذ يوسف الذي فضله عليه، سيمر عليه اختلاسات محسن وشاهيناز، ويتسبب في عدم ترقيته لمنصب نائب رئيس البنك، ليعين هو بدلًا منه ويصبح رئيسه المباشر.

رد عليه وهو يحاول أن يخفي شعور الكره الذي يكنه له:

- أهلًا، أهلًا طاهر بك، كيف حالك؟

- بخير، ألف مبروك لابنتك، لقد كان فرحًا جميلًا..

- شكرًا، عقبال أولادك..

- لا يا عم أنا أولادي مازالوا صغارًا..

وأضاف ضاحكًا:

- أنتَ الذي أصبحت عجوزًا وزوجت أولادك..

رد عليه مغتاظًا لأنه يذكره بأنه أصغر منه:

- الشباب شباب القلب يا طاهر بك..

رد عليه الأستاذ طاهر وقد تغيرت لهجته:

- عمومًا لك حق، فالدنيا لا قواعد لها.

وأضاف بصوت منخفض:

– لقـد توفيـت د. مديحة أمس الأول في باريـس، ووصلوا من هناك بالأمس.

قال الأستاذ شريف منزعجًا:

– معقولة، كيف عرفت، وماذا حدث؟

تنهد الأستاذ طاهر وأجابه:

– لا نعـرف تفاصيـل حتـى الآن، ولكـن زوجهـا أبلغ مكتـب رئيس مجلـس الإدارة أن الجنـازة سـتكون في السـاعة الثانية عشـرة من مسـجد مصطفى محمود..

شـعر الأسـتاذ شـريف بدوار شـديد، فقد كانت د. مديحة زميلته في البنك منذ خمس وعشـرين سـنة، عينت بعده بسـبع سنوات فتتلمذت على يديـه، وكانـت مثالًا للنشـاط والاجتهاد، حتى أصبحت أصغر مدير لقسـم الائتمان في البنك كله، بل كانت مرشـحة لتحل محله كمدير فرع، إن كان قـد رُقـي إلى منصـب نائب رئيـس البنك، صحيـح أنها مرضت في السـنة الأخيـرة وكثرت إجازاتها، وتكرر سـفرها للعلاج، ولكنه أبدًا لم يتخيل أن الأمر سـينتهي هكذا، لقد كان دائمًا يشـعر أنها ستشـفى، خاصة أن د.أمين زوجها وصديقه الحميم، قد طمأنه أكثر من مرة على سـير العلاج، وعندما حدثتـه عـن رغبتها في الاسـتقالة، رفض الفكـرة تمامًا، وأقنعهـا بأن تأخذ إجازات مرضية، حتى تشـفى وتعود لحالتها الطبيعية، وتعود للبنك، ولكن لـم يخطـر له أبدًا أن هذا اليوم ربما لا يجيء، وأن الأمر سـينتهي بمثل هذه السرعة..

فكـر فـي أن يتصل بصديقـه د.أمين، ليسـأله عما حـدث، ولكنه كان يشعر بمرارة شديدة في حلقه، فكيف يحدثه ويعزيه، وهو نفسه يحتاج إلى من يواسيه على فقدان أخت فاضلة وصديقة عزيزة مثل د.مديحة، لقد شعر فعلًا أن الحياة قصيرة، ولابد أن يأخذ منها كل ما يستطيع.

***

obeikandl.com

-6-

خرجت مدام مشيرة سكرتيرة الأستاذ شريف من جنازة د.مديحة وقد تملكها شعور موحش بالوحدة وعدم الأمان، فعادت إلى البنك صامتة شاردة لا تريد أن تقابل أو تحدث أحدًا، فها هي د. مديحة تتوفى، ولم تكن تكبرها إلا بعدة شهور، فما معنى هذه الحياة؟ ولماذا نخلق فيها إن كنا سنموت؟ فما معنى أن نولد فيها كي نضيع وقتنا في عبث لا معنى له حتى تأتي نهايتنا ونتلاشى كما تلاشى من قبلنا؟ وماذا يحدث بعد الموت؟ أتكون تلك النهاية بحق؟ مجرد تراب في حفرة تحت الأرض؟ بل غذاء لدود كريه يعيش منتظرًا التهام فريسته؟ وما قيمة كل ما أنجزته د.مديحة في حياتها من اجتهاد ومذاكرة وسهر ليال؟ كل شيء انتهى ولم يعد باقيًا منها سوى عدة أسطر سوداء في جريدة سترمى في اليوم التالي؛ لتصدر غيرها بأسماء جديدة ماتت هي الأخرى لتلحق بها، ولا سلوى سوى خلود روحها وبقاء ذكراها..

وكانت مدام مشيرة قد انتهت من عملها في الساعة الرابعة في ذلك اليوم، فقد تأخرت قليلًا لتكتب للأستاذ شريف بعض الأوراق العاجلة قبل انصرافها، ولكن شعور الاكتئاب الذي ملأ نفسها جعلها لا ترغب في العودة لمنزلها.. ولا إلى روتينها المعتاد بتحضير الغداء، وترتيب البيت

وكيّ الملابس.. فبعد ما حدث اليوم تملكها شعور بأنه لا قيمة لأي شيء نفعله في حياتنا اليومية.

كان أكثر ما يضايق مشيرة هو إحساسها بالتقصير تجاه مديحة فهي لم تقل لها أبدًا إنها تحبها أو تعتز بصداقتها.. فماذا لو كان عمرها قد طال قليلًا كي تزورها أكثر، أو لتقول لها كم تقدر شخصيتها أو مشوار حياتها، تقول لها إنها لن تنساها، صحيح أنها زارتها كثيرًا في أول مرضها ولكن انشغالها بالعمل والأولاد أنساها زيارتها مؤخرًا، فهي حتى لم تزرها قبل سفرها الأخير، بل منذ ما لا يقل عن ثلاثة أسابيع، إنها تكاد تسمع صوتها في مخيلتها، نبرة صوتها ببحته الخفيفة ترن في أذنيها وهي تسألها عن أولادها وتؤكد لها ولكل من يزورها أنها مستجيبة تمامًا للعلاج، وأن صحتها في تحسن مستمر، وصدقتها مشيرة كما صدقها الآخرون، ولم يتخيل أي منهم أن تكون هذه هي النهاية، وأنها كانت تقول ذلك فقط حتى لا يحملوا همها.. وشعرت مشيرة أنها تريد أن تراها.. أن تسمع صوتها.. تشكو لها مشاكلها.. تستمع إلى وجيعتها، كما كانت تفعل بالماضي.. ولكن أين هي الآن.. وأخذت الدموع الساخنة تسيل على خديها وهي تلوم نفسها ألف مرة على عدم زيارتها.. ولكن ماذا تقول لقد كانت تظن أنها لو لم تذهب لزيارتها لانشغالها في أحد الأسابيع، فسيكون هناك دائمًا أسبوع قادم تزورها فيه.. ونسيت أن القدر في بعض الأحيان لا يمهلنا أسبوعًا آخر.

تملك مشيرة شعور بالرغبة في السير بلا هدف، بلا قيود ولا قواعد، فأخذت تتجول في شوارع المهندسين سيرًا على الأقدام، تشاهد نوافذ المحلات ولا تراها، بلا نية لشراء شيء، تتأمل الناس من حولها على أمل أن

يؤنسوا وحدتها، وتجد في وجوههم سلوى لقلبها الذي يعتصره الألم على فراق صديقتها، وكانت ابنتها الكبرى قد اتصلت بها لتخبرها أنها ستخرج مع أصدقائها في الجامعة للغداء والسينما، بينما ابنها الأصغر أخبرها في الصباح أنه سيذهب مع أحد أصدقائه لمنزله كي يصحبه إلى صالة البولنج فيما بعد، فقد كان اليوم هو الخميس، يوم الخروج العالمي كما يسميه ابنها كريم، ولم تكن تريد العودة لمنزلها مادام الأولاد غير موجودين، فلابد أن زوجها سيكون هناك، وكانت قد لجأت منذ وقت طويل إلى تفاديه حتى لا يختلفا، واليوم وهي تشعر بكل هذا الألم لم تكن مستعدة لمقابلته صدفة في الصالة أو المطبخ، فبالرغم من أنهما كانا قد تزوجا بعد قصة حب طويلة، إلا أنه لم يكن يشاركها في أي شيء أبدًا، لا فرح ولا حزن.. كما أن مشاكلهما كانت قد كثرت جدًّا في الآونة الأخيرة.. إلى حد جعل الحياة في غاية الصعوبة، فقررا أن يعيشا منفصلين.. كلٌّ منهما في حاله.. على أن يبقيا تحت سقف واحد من أجل المظاهر والأولاد، واستمرت حياتهما هكذا سنوات، حياة بلا حوار.

نظرت مدام مشيرة إلى الملابس الملونة في نوافذ المحلات بلا اهتمام، فكانت قد فقدت الاهتمام بالملابس منذ زمن بعيد، ولم تعد تشتري ملابس إلا للخروج للعمل، فهي لا تذهب إلى أيِّ مكان آخر، ولا يراها سوى زملائها فلماذا تشتري ملابس، وشعرت بألم في قدميها فقررت أن تجلس على قهوة صغيرة قابلتها في شارع جزيرة العرب، فقد كانت شمس الشتاء دافئة ولم يكن لديها أي حافز للعودة، والجلوس وحيدة في غرفة المعيشة أمام التليفزيون.

أخذت تتأمل السيارات المارة، وهي تفكر في عدد من يمتلكون سيارات في مصر، فلو حصرناهم لظننَّا أننا أغنى دول العالم، وأخذت تتأمل المارة وهم يثرثرون في مرح وتتمنى لو كانت لديها حكايات مثلهم ترويها لأصدقائها، ولكن أين هم هؤلاء الأصدقاء؟ الكل مشغول في حياته، فريهام مشغولة بإعداد بيتها الجديد، ومها بحياتها الاجتماعية الحافلة، وبالمجلات التي تظهر فيها، وها هي د.مديحة قد توفيت، أما أماني زميلتها الأرملة التي كانت دائمًا تصحبها، فقد تغيرت تمامًا في الفترة الأخيرة ولم يعد عندها وقت لها ألبتة.. حتى إن مشيرة خمنت أنها قد أعادت علاقتها مع خطيبها.. فبعد أن ظلت أماني شهورًا حزينة ومنطوية بعد اكتشاف زوجة حسين المحامي خطيبها السابق علاقتهما واختيار الأستاذ حسين لبيته وأولاده، وفسخ خطبته لها بعد أن خيرته زوجته بين أن يتركها أو تترك له هي البيت والأولاد.. عادت لتنشغل من جديد..

وكانت أماني قد تبدلت تمامًا في الآونة الأخيرة.. فبعد انهزام واكتئاب دام حوالي ثلاثة أشهر بدأت في استعادة رونقها القديم .. فبدأت تهتم بنفسها من جديد.. وبدأت السعادة تدب في أوصالها مرة أخرى.. ولكنها هذه المرة لم تخبر أحدًا بأي تفاصيل.. ولم تضغط عليها مشيرة لتعرف أكثر.. وخمنت أنها غالبًا تخاف ألا يتم الزواج هذه المرة أيضًا وتنتظر حتى يتم الموضوع، وكانت مشيرة على يقين من أنها باتت تريد أن تتزوج أكثر من أي شيء في الدنيا، بعد سنوات الحرمان الطويلة.

وبدأت مشيرة تشرب الشاي بحركة آلية، تاركة السندويتش الصغير الذي طلبته بغير أن تمسه. لم تكن تشعر بأيِّ رغبة في الطعام، وأخذت

تقتل الوقت بتأمل المارة، وتخمين سن كل منهم، وهي تتساءل كيف ستكون نهايته، وكانت قد اكتشفت أن السن تظهر على الوجه جليةً واضحة، فالرجل عندما يكبر، تكبر أذناه وأنفه معه، فتستطيع أن تعرف سنه من حجم أذنيه، أما المرأة فرقبتها وجلد وجهها، يعكسان سنها مهما حاولت إخفاءه بحَقْنِ البوتكس، الذي حدثتها عنه أماني وأغرتها بتجربته، وتنهدت وهي ترى شابًّا وفتاة جامعيين في المائدة المجاورة لها وهما يهمسان ويضحكان بصوت منخفض، كم يذكرانها بقصة حبها مع وحيد عندما كانا في الجامعة، ولكن أين هي الآن من ذلك؟ فهما لم يعودا يطيقان الجلوس معًا لدقائق وليس لساعات، هي لا تعلم كيف تحولا كل هذا التحول؟ ولا متى؟ ولا لماذا.. أتكون مشاكل الحياة هي السبب.. أم أنها مشاكل الأولاد.. أم أنهما ببساطة ملّا الحياة معًا.. وتذكرت قول إحدى صديقاتها بأن الحب مثل النار إن لم تغذِّه خبا.. أيكون حبهما قد خبا هو الآخر؟ مات؟ ولكن لماذا يموت الحب؟ أهي السبب؟ أهو؟ أهما الاثنان معًا؟ أم أن هذا ما يحدث عندما يتوقف الحوار؟

ورن هاتفها المحمول ووجدت الطالب زميلها يوسف من البنك فردت عليه مبتسمة، فكان زميلها وصديقها الوحيد الذي تجده دائمًا إلى جوارها، مهما اشتدت الأزمات، وجاءها صوته الرزين واحة راحة بعد يوم عصيب:

- ما أخبارك يا مشيرة؟ لقد اختفيتِ بعد الجنازة..

- لقد عدت إلى البنك بعدها، كان لديَّ مهام كثيرة أراد الأستاذ شريف أن ينهيها قبل عطلة نهاية الأسبوع..

- لقد قلقت عليك، كيف حالكِ الآن..؟

- مازلت أتنفس كما يقولون..

- ما حدث كان صدمة لنا جميعًا..

- لقد كانت تحدثني قبل سفرها وكانت قلقة جدًّا هذه المرة، حتى إنها أوصتني أن أسأل عن أولادها إن تأخرت..

- وأين هم الآن؟

- لقد تركتهم عند والدتها، فقد كانت متوقعة أن يطول سفرها هذه المرة..

- الله يرحمها، نحن لا نملك لها سوى الدعاء..

ثم غير الموضوع قائلًا:

- وأين أنتِ الآن؟ أمازلت في البنك؟

- بل تركته وأجلس على مقهى بالمهندسين..

- أأماني معك؟

- لا.. أماني استأذنت مبكرًا اليوم، فهي مدعوة على الغداء عند عمتها في منطقة أحمد عرابي في طريق الإسماعيلية، وتريد أن تمر على شقة ابنها في مدينة الرحاب قبلها.. صحيح.. لقد ذكرتني، لابد أن أغلق الهاتف معك كي أتصل بها لأطمئن عليها.. لقد كانت منهارة تمامًا.. لقد كانت أقربنا إلى مديحة..

obeikandl.com

وصمتت قليلًا ثم قالت بصعوبة وقد اغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى وهي لا تصدق لقب مديحة صديقتها الجديد:

- المرحومة مديحة..

رد عليها يوسف وهو يريد أن يغير الموضوع ويرفع من روحها المعنوية:

- هل اشترت أماني الشقة التي حدثتنا عنها؟

- يبدو أنها اشترت شقتين لولديْها الاثنين كي يتزوجا فيهما، ولكن إحداهما بها مشكلة مع مقاول التشطيبات..

- والله برافو عليها أنها استطاعت أن تدبر لهما السكن، حتى لا تفاجأ بهما يريدان الزواج..

- فعلًا ولكنها أصبحت مشغولة جدًّا بهذا الموضوع.. أعتقد أنها أخذت مها معها اليوم كي تستشيرها في التشطيبات..

فسألها في لهجة تختلط فيها نبرة اهتمام ببعض الشفقة:

- إذن أنتِ الوحيدة التي تجلسين دون أنيس؟

- نعم..

فرد بلهجة دعابة:

- أتريدين أن أجيء لأسليك؟

- تعالَ أنتَ وسناء زوجتك..

obeikandl.com

وكان يوسف في بعض الأحيان يتحدث بشكل لا يعجبها، فكانت تصده على الفور، وتذكره بزوجته في لحظتها حتى لا يتمادى ولو على سبيل الدعابة.. ثم أضافت مبتسمة:

- وهات أولادك الثلاثة معك.. لقد افتقدتهم جدًّا، كيف حالهم..؟

كانت زوجة يوسف قد وضعت ثلاثة توائم في بطن واحدة، منذ ما يقرب من شهرين، جاؤوها بعد فترة علاج طويلة وعدم إنجاب لمدة تقرب من خمسة عشر عامًا، وتذكر يوسف أولاده فابتسم هو الآخر وقال:

- لقد بدأت كِنزي تبتسم، أما حسن وحسين فلا يزالان يعيشان وكأنهما في بطن سناء..

- ربنا يخليهم لك، ولكن كيف تجد سناء وقتًا لتراعيهم جميعًا، لابد أنها لا تجد وقتًا لتنام..

- سناء سعيدة بتعبهم، ولا تصدق نفسها، ولكنني عينت ممرضة لتساعدها، كما أن والدتها انتقلت لتعيش معنا على الدوام..

- يعني البيت أصبح مليئًا بعد أن كنت تشكو من خلوه.

فضحك قائلًا:

- لن أشكو أبدًا من أي شيء بعد الآن..

وسألها بعد ذلك عن أولادها فأجابته:

- لقد كبر أولادي، وكبرت معهم مشاكلهم، فلم تعد المشاكل طعامًا ونومًا ومذاكرةً وما إلى ذلك، أصبحت مشاكل خروج ومواعيد وأصدقاء وأسرار.

وأضافت ضاحكة:

- غدًا ترى كل ذلك.. لا تتعجل.

ثـم قررت أن تكتفـي بالمكالمة عند هذا الحد فلا معنى لإطالتها أكثر من ذلك، فقالت:

- لقـد ذكرتني لابـد أن أغلق معك الهاتف الآن كـي أحدث كريم.. أراكَ يوم الأحد في البنك..

وأغلقت الهاتف، وطلبت الحساب، وأخذت تتأمل المارة من جديد، فإذا بها تلمح زوجها وحيد في سـيارته على الجانب الآخر من الطريق وقد جلست بجواره سـيدة لم تستطع أن تتبين ملامحها ولكنها لمحت نظارتها السـوداء الكبيـرة، ورأسـها مائـل على كتفه، فجرت بسـرعة لتعبـر الطريق لتتأكد أنه هو فعلًا زوجها، وتتعرف على السـيدة التي معه، ولكن سـيارات الشارع المتزاحمة أعاقتها، وأخيرًا نجحت في عبور الشارع بصعوبة، ولكن بعد أن بعدت السـيارة كثيرًا، فلم تلمح سـوى جزء صغير من رأس الرجل من الخلف، وكانت تشـبه كثيـرًا رأس زوجها بالإضافة إلى أرقام السـيارة التي أكدت لها أن صاحب الرأس هو فعلًا وحيد زوجها، فحاولت الهرولة لتقترب من السيارة، ولكن السيارة مضت في طريقها مبتعدة.. فوقفت على الرصيف في منتصف الطريق مذهولة، متسـمرة.. لا تستطيع تفسير ما رأت بينما النادل يناديها من بعيد كي تدفع الحساب.

***

-7-

كانـت نادية مسـتغرقة في النوم تمامًا عندما أعلنـت المضيفة ضرورة ربط الأحزمة اسـتعدادًا للهبـوط من جديد، فنظرت إلى سـاعتها فوجدتها تجاوزت السادسـة صباحًا بتوقيت القاهرة. أدارت رأسـها فلم تجد رامي، فخمنـت أنـه ذهب ليغتسـل، فأسـندت رأسـها على جسـم الطائـرة البارد ونظـرت من النافـذة المجـاورة لها، فوجـدت الطائرة لا تـزال تحلق فوق السـحاب.. وكان شـكل السـحاب من أعلى من أحب المشاهد إلى قلبها، فهو يشـيع في نفسها سكينة وهدوءًا، لا يوفّرهما أي مشهد آخر، وابتسمت وهي تتذكر كيف كانت تتخيل تلك السـحب في طفولتها أرضًا جليدية بين السماء والأرض يعيش فيها كل أبطال القصص والأساطير يلهون ويلعبون ويرقصون ولا تغرب عنهم الشمس أبدًا، وكيف حاول والدها عبثًا أن يقنعها أن تلك الأرض لا توجد إلا في الأحلام، حتى كبرت وأخيرًا صدقته.. ولم يعد هناك سوى الأرض بناسها بلا أساطير ولا أبطال..

أخـذت الطائـرة تغوص في السـحب البيضاء هابطـة، ونادية يراودها قلق خفي على رامي، فقد مرت خمس دقائق كاملة وهي تنظر إلى السـتائر المغلقـة بيـن آونة وأخرى، ولكنه لا يظهر حتى عاد أخيرًا، ومن ورائه رولا ببطاقات الدخول، فابتسمت مطمئنة، وبدأت في ملء البيانات حتى توقفت

عند خانة اسم الفندق الذي سيقيمان فيه، فالتفتت إلى رامي متسائلة عما تكتب، فوجدته حائرًا هو الآخر، كان قد حجز فندقًا على الإنترنت، ولكن ورقة الحجز كانت في حقيبة السفر، فاقترحت نادية على رامي أن تسأل رولا عن اسم فندق، يضعان اسمه في كارت الوصول، فلما وافق نادتها وسألتها، فاقترحت عليهما رولا فندق ((وستين))، فأفراد طاقم مصر للطيران دائمًا ينزلون في ذلك الفندق، فشكرتها وأكملت البيانات، ثم نظرت مجددًا من الشباك لتملأ عينيها بمساحات الخضرة الهائلة التي بدأت في الظهور أمامها، وامتدت لآلاف الأفدنة، تتخللها بحيرات مياه صغيرة متلألئة في ضوء الشمس الذهبي، حتى هبطت الطائرة تمامًا.

خرج رامي ونادية بملابسهما الصوفية من باب الطائرة، ليقابلهما جو تايلاند الساخن المفعم بالرطوبة، واستقلا حافلة المطار.. لم يندهش رامي كثيرًا من حرارة الجو، فبالرغم من أنهما كانا قادمين من شتاء ديسمبر البارد في مصر، إلا أنه كان قد اطلع على كل ما يتعلق بتايلاند وبكين على شبكة الإنترنت، فوضع هو ونادية ملابس صيفية خفيفة في حقيبتهما إلى جانب الملابس الثقيلة التي سيستخدمانها في بكين.

اجتاز رامي ونادية الجوازات وشعرا بتكييف المطار البارد وقد ملأ المكان، وكانت حقيبة نادية ثاني حقيبة تظهر على السير، فأنزلها رامي من عليه، وما إن رأتها نادية حتى أخذتها في أحد الأركان مسرعة وأخرجت منها تي شيرت ورديًا قصير الأكمام لترتديه، فقد آثرت ألا تنتظر حتى يعودا للفندق حتى تتجنب حرارة الجو في الخارج والتي باتت تتوقعها،

وتوجهت إلى الحمام للتخلص من ملابسها الصوفية وتبدلها بها، بينما وقف رامي ينتظر حقيبته.

غابت نادية ما يقرب من عشر دقائق في الحمام القريب، ولما عادت وجدت رامي لايزال منتظرًا.. خلع البالطو الأسود الأنيق، والكرافات البيير كاردان، وفتح أزرار قميصه وشمر أكمامه وبدا على وجهه الإرهاق والقلق وعيناه محدقتان في حزام توصيل الحقائب.. ولكن بلا أثر للحقيبة.. ومر الوقت.. وتلاشى الركاب من حولهما، وهما لا يزالان ينتظران.. بلا نتيجة.. وتوقف الحزام عن الحركة تمامًا، معلنًا انتهاء ظهور حقائب جديدة.. وهما حائران لا يستطيعان تفسير ما حدث.. فلما سألا ضابط الأمن عما يفعلان، أشار عليهما بعمل محضر في قسم الحقائب المفقودة، وازداد قلق رامي.. فماذا لو لم يجد الحقيبة؟ لقد كانت بها ملابس بألوف الجنيهات.. فهو لم يكن يتنازل أبدًا عن لبس الماركات الشهيرة.. ثم إن اسم الفندق وورقة الحجز كانتا في الحقيبة.. فماذا يفعلان إن لم يجداهما؟

وسارا وراء رجل الأمن متوجهين لقسم المفقودات، وبدأت إجراءات المحضر ورامي قلق جدًّا، يتمنى أن يكون ما حدث سوء تفاهم، أو أن يكون شخص ما أخذ الحقيبة على سبيل الخطأ وردَّها بعد اكتشافه ذلك.. ثم خطر له احتمال أن تكون حقيبته قد ظهرت بعد تركهما السير، فطلب من نادية أن يعودا إليه ويدققا في البحث على أمل أن يجداها، ورأتهما رولا وهما خارجان من قسم المفقودات، وكانت تقف على مقربة مع إحدى زميلاتها المضيفات، فتركتها، وجاءت تسألهما:

- ماذا حدث؟ هل أضعتما شيئًا؟

ردت نادية بخيبة أمل:

- حقيبة رامي لم تصل..

- معقول.. يا للحظ.. عمومًا لا تقلقا أكيد تحضر غدًا..

قال وقد طمأنه قليلًا تأكيدها بأنه سيجد الحقيبة:

- المشكلة أن حجز الفندق أيضًا فيها..

سألتهما بتعاطف:

- ألا تتذكران اسمه على الإطلاق؟

فلما رد رامي بالنفي سألتهما إن كانت إقامتهما مدفوعة مقدمًا، فرد رامي بالنفي، فسألتهما إن كانا قد أعطياه رقم بطاقة الائتمان، فرد عليها رامي بالنفي مرة أخرى، فقالت:

- إذن لا مشكلة، يمكن أن تذهبا إلى أيِّ فندق، فندق وستين الذي اقترحته عليكما في وسط المدينة، وقريب من كل شيء، فما رأيكما في الذهاب إليه؟

انتاب رامي شعور بالقلق من فندق لا يعرف سعره فقال:

- يجب أن نعرف سعره أولًا..

ردت عليه رولا:

- لا تقلق سآتي لكما بتخفيض، فالفندق قريب من بيتي ولي أكثر من صديقة تعمل به..

ارتاح قليلًا وبالأخص عندما أضافت:

- بل إنني يمكن أن أوصلكما في طريقي..

ردت نادية وكانت تتمنى أن يوافق زوجها، حتى تستريح في الغرفة قليلًا بعد ليلة مرهقة في الطائرة:

- أنا أرى أنه اقتراح جيد، فما رأيك؟

شعر رامي فعلاً أنه أفضل حل أيًّا كانت تكلفته، فهما لا يعرفان المدينة وقد سهلت رولا المهمة لهما باقتراحها توصيلهما، خاصة أنه لا يعلم المسافة التي يبعدها المطار عن المدينة، فوافق، فاستأذنتهما رولا في أن تبلغ صديقتها بأنها ستصحبهما، وتوجهت إلى زميلتها وكانت ترتدي تايير بنفسجيًّا وقميصًا ورديًّا مثلها، ونادية تتأملها وتفكر كم هن أنيقات تلك المضيفات بزيهن الموحد، ورامي لا يستطيع أن يكف عن التفكير في حقيبته الضائعة.

اعتذرت رولا إلى صديقتها التايلندية عن الذهاب للمحلات كما كانتا متفقتين، وأخبرتها بما حدث لرامي ونادية وكيف تريد مساعدتهما، فسألتها زميلتها:

- أليسا هما العريسين اللذين كانا على الطائرة؟

أجابت رولا:

- نعم لقد تعرفت بهما على الطائرة..

وأضافت فرحة:

- إنهما عرب مثلي.. إنهما مصريان..

ردت صديقتها:

- إذن عندك حق أن تعتذري لي.. فأنا أعرف كم تحبين المصريين..

ضحكت رولا وقالت:

- أنا وكل اللبنانيين..

قالت صديقتها:

- العروس تبدو رقيقة جدًّا..

ردت عليها رولا بعيون شاردة:

- والعريس أيضًا يبدو أنيقًا وجذابًا جدًّا.. يا لها من محظوظة به..

ثم التفتت إلى صديقتها مودعة وقالت:

- اذهبي أنتِ في أوتوبيس الشركة، وسأتصل بكِ في المساء فربما لا أستطيع الذهاب معكِ وأصدقائنا للعشاء..

- لماذا غيرتِ رأيك، ألم نتفق؟

أجابت وقد لمعت عيناها:

- ربما أخرج مع نادية ورامي صديقَيَّ من مصر، أراكِ فيما بعد..

وابتعدت عنها متجهة إلى نادية ورامي..

***

obeikandl.com

-8-

وقفت ريهام في صالة مصر للطيران الجديدة مع والدها ووالدتها وهي تعد الدقائق على وصول الطائرة القادمة من كندا وعلى متنها أخوها الأصغر هشام، فأخيرًا عاد هشام ليزورهم بعد أربع سنوات من الفراق، وبعد أن كاد والداه ييأسان من عدوله عن قرار الهجرة، فها هو عائد بعد أن حصل على الماجستير و"لجرين كارد" الكندي، ليحضر فرحها على عبد الرحمن، وربما يستطيعون إقناعه بالبقاء وعدم السفر مجددًا..

ومرت الدقائق بطيئة والمضيفة الأرضية تعلن بصوتها العالي الذي يرن في صالة المطار الواسعة، عن وصول طائرات أخرى بعضها قادم من أوروبا والبعض الآخر من دول عربية أخرى، وكلما جاءت طائرة وخرجت مجموعة من الركاب وقف والداها بلهفة للبحث عن هشام فيما بينهم، لعل المضيفة تكون أخطأت في المعلومات التي أعلنتها، وعندما لا يجدانه.. يعودان إلى أماكنهما وقد أصابهما الإحباط.. وأخيرًا يئس والد ريهام وجلس على كرسي الكافتريا القريب، بينما فضلت والدتها الانتظار وراء السياج عند باب خروج المسافرين.

واتجهت ريهام إلى والدتها بعد أن رأت عينيها وقد اغرورقتا بالدموع عندما لم تجد هشام في الفوج الأخير القادم من البرازيل، وقالت لها وقد أشفقت عليها من الإحباط المتكرر:

- ماما لم يعلنوا بعد عن وصول الطائرة، فاجلسي معي ومع بابا وسنقوم فور أن يعلنوا عن قدوم الطائرة.

- لقد تأخر جدًّا يا ريهام، أنا قلقة، أيكون قد حدث للطائرة شيء..

- لم يتأخر يا أمي، الطائرة ميعادها السابعة مساءً، ومازالت الساعة السادسة والنصف..

- بل الساعة السادسة والنصف وخمس دقائق..

فردت عليها ريهام وقد ندمت على أنها وافقت أن تأتي بوالديها مبكرًا هكذا، ولم تجنبهما آلام الانتظار:

- نعم وباق من الزمن على الأقل عشرون دقيقة حتى تصل الطائرة.. وبعدها ما لا يقل عن نصف ساعة أخرى حتى يخرج لنا بعد الجوازات.. تعالي نجلس مع بابا في الكافتريا..

- لا..أفضل الانتظار هنا..

- ماما أنتِ تقفين منذ السادسة صباحًا في المطبخ تعدين له الطعام.. إن استمرَرْتِ هكذا ستمرضين ولن تستطيعي قضاء الوقت معه..

وأخيرًا استسلمت والدتها لرأيها واتجهت معها إلى الكافتريا، فعلق والدها:

- ريهام عندها حق يا جولفيدان، الطائرة ميعادها بعد ثلث ساعة، نجلس فيها ونقوم له عندما يصل.

نظرت إليه ريهام ممتنة لاقتناعه، ثم سألتهما عما يريدان شربه واتجهت للكاونتر، تطلب لهما شايًا وعصير برتقال، فإذا بصوت تعرفه يأتي من ورائها ويقول:

- مساء الخير يا آنسة ريهام..

التفتت وراءها لتجد الدكتور هاني وقد وقف مبتسمًا، بقوامه الفاره وعيونه الخضراء، وقد مد يده ليحييها، فنظرت إليه ودق قلبها بعنف، وسقط كوب الشاي من يدها، فتراجعت للوراء.. وقد احمر وجهها خجلًا.. وأخذ عامل الكافتريا ينظف الكاونتر وهو يقول:

- حصل خير، سآتِي لكِ بغيره حالًا.

وفي ثانية واحدة تذكرت كل ما جرى بينهما، لقد مرت سنة تقريبًا على يوم أن جاءها في البنك، وحدثها وحدثته.. وحكى لها عن مشاكله.. وأعطته ألفي جنيه من حسابها الشخصي كي تساعده.. ولولا ما حدث في البنك من اختلاس.. كانت ستخرج معه وتدعوه على الغداء كما طلب منها.. وربما كان كل شيء اختلف.. ولكن حدث الاختلاس وتعطلت في البنك ولم تقابله وأنكر أنه أخذ منها مالًا لموظفي البنك.. واختفى بعدها ولم يظهر ثانية.. ولم يرد لها المبلغ.. وحتى في أثناء التحقيق حين أخبره عبد الرحمن - الذي لم تكن قد ارتبطت به آنذاك- أن عهدة إحدى الموظفات ينقصها ألفا جنيه، أخذهما عميل على سبيل الخطأ، ما كان منه إلا أن أنكر أنه أخذ أي أموال زائدة على حقه، ولم يأت إلى البنك مجددًا حتى ذلك اليوم.

وشـعرت بيده تمتد لتصافح يدهـا وهي صامتة لا تعرف كيف تتعامل معـه، ونظر إلى عينيها مباشـرة نظرته العميقة التي يشـعر المرء أنها تغوص في كيانه، ثم نظر إلى يدها والدبلة الذهبية في إصبعها، وقال:

- مبروك يا ريهام.. أخُطبت؟

فأفاقت ريهام من شرودها وردت عليه بسرعة:

- أيوة، وفرحي بعد ثلاثة أسابيع..

- خبر جميل.. ولكن ألن تدعيني؟

قالت برنة لوم في صوتها:

- حضرتك اختفيت تمامًا، بعد يوم البنك..

- واللـه مشـاغل يا ريهـام، ولكنك ذكرْتِنـي بضـرورة ذهابي للبنك للاطلاع على حساباتي..

ردت عليـه باختصار وهـي تفكر إن كان من اللياقـة أن تطلب الألفي جنيه اللذيْن أعطتهما له على سبيل القرض.

- سننتظرك بالبنك.. وسأعد لك دعوة لحضور الفرح.

- شكرًا يا ريهام.

استدارت مسرعة، وقد أخذت الشاي والعصير، واتجهت إلى والديها وهـي تكاد تتعثر، فوجـدت عبد الرحمن يقف معهما وقـد أخذ يتأملها من بعيد..

obeikandi.com

ابتسمت له وسألته:

- أهلًا يا عبد الرحمن، متى جئت؟

نظر إليها نظرة ذات مغزى وقال:

- منذ أن كنت تثرثرين عند الكافتريا..

فنظرت إليه بقلق وقالت:

- أنا كنت أحضر الشاي وعصير برتقال..

- ويبدو أن العصير أعجبك جدًّا فوقفت تشربينه هناك..

- لقد سكبت الشاي وكنت أنتظر غيره..

- وطبعًا الجو هناك كان أحلى من هنا كثيرًا فانتظرت هناك..

أجابته ريهام وهي تفهم ما يرمي إليه:

- إنه أحد عملاء البنك يا عبد الرحمن، وأنت تعرف ذلك..

- وأعرف أيضًا أنه نصب عليكِ وأخذ منكِ ألفي جنيه بلا مبرر، فلماذا تتكلمين معه؟

نظرت إليه ومسحة حزن في عينيها لأنه يعرف تلك القصة المخزية:

- ليس في السلام شيء، ثم إنه هو الذي سلم علي، أكنت تريد أن أدير له ظهري؟

- لقد كنت تثرثرين معه، ماذا كان يقول لكِ؟

obeikandl.com

- كان يسألني عن أخبار البنك.. هل في ذلك مشكلة؟

قاطعهما والد ريهام قائلًا:

- ماذا جرى يا أولاد؟ لم يحدث شيء لكل هذا..

- قل له ذلك يا بابا هو الذي يخلق موضوعًا بلا موضوع.

قالت والدتها:

- مادام خطيبك لا يريدك أن تتحدثي مع هذا الشخص، فلا تتحدثي معه..

فالتفت إليها عبد الرحمن قائلًا:

- عليكِ نور يا ست الكل..

قالت ريهام:

- أنتم تتكلمون وكأنني كنت على موعد معه.. إنها مصادفة.. هو سلم علي، فسلمت عليه وانتهى الموضوع..

وقاطعها صوت إذاعة المطار يعلن عن وصول الطائرة القادمة من كندا، فانتفض والدا ريهام واقفين واتجها إلى السياج الحديدي وقلوبهما تطير فرحًا، ومن ورائهما ريهام وعبد الرحمن..

وأخيرًا ظهر هشام وأمامه حقيبتا سفر على العربة الحديدية وهو يدفعها ويتلفت بعينيه باحثًا عن والديه، حتى وجدهما فجرى إليهما يحاول أن يطفئ ظمأه لحنانهما بالأحضان والقبلات، ووالدته لا تريد أن

obeikandl.com

تترك حضنه، أو تتوقف عن البكاء، وهي لا تصدق أنه بين يديها ووالده يحتضنهما معًا وهو يربت على ظهره مغمض العينين، وكأنه ارتاح بعد مشوار طويل، وأخيرًا لمح هشام ريهام إلى جوارهما، فعانقها هي الأخرى بشوق وحنان وهو يسألها ضاحكًا عن عريسها، فاستدارت للخلف وعيناها تتلألآن بسعادة وفخر، وقدمت له عبد الرحمن متجاهلة نظرة الغضب في عينيه وقالت:

- خطيبي وزميلي في البنك عبد الرحمن.

فمد هشام له يده بنظرة ودودة دافئة ووجهه تعلوه ابتسامة عريضة وقال:

- لقد تشرفت جدًّا بمعرفتك، فريهام حكت لي الكثير جدًّا عنك.

فابتسم عبد الرحمن هو الآخر، وقال:

- وحكت لي عنك أنتَ أيضًا.

وخرجوا جميعًا من المطار وهم يستمعون إلى هشام يروي لهم عن كندا، وعن أيامه هناك، وريهام تحكي له عن البنك وترتيبات الفرح، ووالده يسأله عن عمله ودراسته، بينما والدة هشام لا تصدق عينيها أن ابنها الحبيب قد عاد إليها، وعبد الرحمن صامت لا ينبس ببنت شفة.

***

-9-

استغلت مشيرة استغراق زوجها وحيد في النوم، وأمسكت بهاتفه المحمول، تقلب الأسماء المسجلة عليه، فمنذ أن رأته مع تلك المرأة في سيارته ولم يعد لها شاغل سوى أن تكتشف من هي.. لم يكن الباعث حبًّا أو غيرة، فهي متأكدة أن حبهما قد انتهى منذ سنوات.. ولكن كرامتها كامرأة كانت ترفض أن يرافق زوجها غيرها، بينما تقبع هي في بيتها لا تدري ما يفعل.. وفكرت يوم رأته معها أن تواجهه وتسأله من هي؟!. ولماذا كانت معه؟!. ولماذا وضعت رأسها على كتفه؟!. ولكنها آثرت الصمت، فكان سؤالها في حد ذاته جرحًا لكرامتها، ثم إنه بالتأكيد كان سينكر أنه كان مع أخرى، فمن الممكن أن يقول لها إنها أخطأت.. وإن مَن رأته شخص آخر، بل ربما يتهمها بالتجسس عليه، أو يجعلها مخطئة بأي طريقة أخرى كما كان يفعل دائمًا، وحتى إن اعترف فماذا يكون رد فعلها هي؟ فإذا قال لها إنه فعلًا على علاقة بأخرى فماذا تفعل؟ إنها لم تفكر بعد.. أتغضب وتحول البيت جحيمًا أكثر مما هو؟ أم تقبل وتصمت فيتمادى هو في أفعاله؟ أتعيش بلا كرامة.. أم تطالبه بالطلاق ولا تعرف مصير أولادها؟ ثم ماذا لو واجهته وأنكر؟ ألن يجعله ذلك يأخذ حذره ولا تعرف الحقيقة أبدًا؟ لا بل الأفضل أن تبحث عن الحقيقة بنفسها، ثم تفكر بعد معرفتها فيما تفعل..

أخذت مشيرة تنظر في المكالمات الصادرة والواردة في هاتف زوجها والفضول يكاد يفتك بها، وهي لا تعرف عمَّ تبحث، فكل ما على الهاتف أرقام لا معنى لها، وأسماء لرجال و نساء.. زملاء من عمله السابق، وأقارب، وآخرين لا تعرفهم، وأخذت تحاول أن تجد رقمًا كَثُر تكراره أو كان حديثه معه لفترة طويلة، فلم تجد، وتقلب زوجها في السرير، فوضعت الهاتف مسرعة على الكوميدينو، وانحنت وهي تتلفت، وكأنها تجمع الجرائد الملقاة على الأرض، بعد أن قرأها زوجها بالأمس، واستدار زوجها من جديد، ثم علا شخيره فاطمأنت إلى أنه نائم، فأخذت الهاتف مرة أخرى وهي تنقل الأرقام المكررة من على هاتفه على ورقة صغيرة بيدها، وكانت تعلم أنه لا يفارق هاتفه أبدًا.. فحتى عند الذهاب للحمام يأخذه معه، فكانت هذه هي فرصتها الوحيدة لمعرفة أسراره.. وقررت أن تفتح رسائله لعلها تجد فيها شيئًا مهمًّا، وللمرة الثانية لم تجد شيئًا، ولكنها كانت على يقين من أنه ليس بالغباء بأن يترك رسالة على هاتفه لا يريد أن تراها، ولكنها مع ذلك أخذت تقلب الرسائل، فوجدت بعض المعايدات وإعلانات عن محلات تعلن عن تخفيضات، ورقم أطلق عليه زوجها هولاكو وأخرى تحييه كل صباح، بصباح الفل، وثالثة يرسل لها أرقام كروت شحن تليفون، فقررت أن تنقلها جميعًا، وما أن بدأت تنقل رقم هولاكو حتى فوجئت أنه لهاتفها فتوقفت وقد اصفر وجهها، واشتعل الغيظ بداخلها، فجزت على أسنانها وتنهدت بصوت عالٍ حتى كادت توقظه.. ووضعت يدها على فمها ودعكت وجهها ورقبتها وشعور بالاختناق يطبق على صدرها.. ثم تذكرت مهمتها فنظرت إلى الهاتف من جديد وأكملت نقل باقي الأرقام، فلَما لم يستيقظ خطر لها أن تفحص الصور الموجودة على المحمول،

فوجدت صورًا كثيرة لرجال ونساء لا تعرفهم يبتسمون، واندهشت كثيرًا عندما وجدت فيهم ممثلة تونسية مغمورة كانت جارتهم لفترة ثم انتقلت لسكن آخر، وتملكها شعور بالحنق، والغضب من مقدار بعدها عن حياة زوجها، فهي لا تعرف أيًّا من هؤلاء الناس، حتى تلك الممثلة لا تعرفها شخصيًّا.. مع أنه من الواضح أنهم جميعًا مهمون في حياة زوجها وإلا فلماذا احتفظ بصورهم على هاتفه، أتكون كل تلك النساء عشيقاته.. أم منهن صداقات بريئة..؟ إن الفرق بين الصداقة واللابراءة شعرة.. فهل تخطاها؟ وإن كنَّ مجرد صديقات فلِمَ لم يعرفها بهن، ويعرفهن بها؟ على الأقل حتى تكون لهما حياة اجتماعية معًا.. ولكن منذ متى وهي تقابل أيًّا من أصدقائه؟ إنهما يعيشان في عزلة ليس فقط أحدهما عن الآخر وإنما أيضًا عن كل الناس.. فمنذ أن اختفى أصدقاء الجامعة ومضى كلٌّ منهم في حياته، انفصلت حياتهما الاجتماعية معًا تمامًا.. فحتى إن ذهبا إلى مكان واحد، ذهب كلٌّ منهما على حدة، وكأنهما غريبان لا علاقة بينهما.. لماذا ابتعدا هكذا؟ لقد كان زوجها في وقت ما أقرب الناس إليها.. ألأنهما لم يكونا أبدًا أصدقاء؟ ألأنهما كفا عن الحديث؟ ألأنهما اكتفيا بالصمت اللانهائي وكلٌّ غارق في دنياه؟ لقد وقع كلٌّ منهما في حب الآخر فور تعارفهما.. وبالرغم من اختلاف شخصيَّتَيْهما، ارتبطا على الفور.. ظانين أن اختلافهما يدعم ويجدد علاقتهما.. ولكن هاهو الحب قد انتهى ولم يبق منه إلا الخلافات.. مولدة المزيد من المشاكل مع إشراقة كل صباح.. وهاهما الآن وقد وصلا لأن يسميها على هاتفه هولاكو.. ألا يشعر بنفسه أنه هو الهولاكو وليس هي.. وأخذت تقلب الصور متأملة النساء وقد اغرورقت عيناها بالدموع على حالها.. بل على حالهما معًا.. حتى توقفت

عنـد صورة غريبة، أشـعلت فضولها أضعافًا، وكانت الصـورة ليد زوجها وكانت تعرفها جيدًا بعظامها البارزة وشعرها الكثيف عند الأصابع، وكانت تمسـك بها يـد رقيقة صغيرة الحجم تزينها دبلة المـاس لامعة، ويظهر عند معصمها طرف دانتيل فسـتان أبيض يبدو أنه فسـتان سهرة.. أو ربما فستان فـرح! وصعقتها فكرة عصفـت بأفكارها، أيكون زوجهـا متزوجًا بأخرى؟ النـذل.. أتكون هـذه اليد لزوجتـه؟ وهذه الدبلـة خاتم زواجهمـا؟ أيكون قـد تزوج من الممثلة التونسـية ولذلك انتقلت من عمارتهـم؟ أم أنه تزوج بأخرى من هؤلاء النساء.. إن يد المرأة لا يميزها شيء والدبلة تقليدية رأت مثلهـا كثيـرًا.. إنها حقًّا لـم تعد تعرف عنه شـيئًا.. لم تعد حتى تسـتطيع أن تعرف إن كان متزوجًا بأخرى..

إنهما لم يتحدثا معًا منذ سـنوات.. يعيشـان كالأغراب تحت سـقف واحـد.. يحاول كلٌّ منهما أن يتعايش مع وجـود الطرف الآخر.. ولكن أن يصـل الأمر إلـى بيت آخر وربما أطفال آخرين.. لـم يخطر ذلك على بالها أبدًا.. كل ما تعرفه عنه الآن أنه منذ أن أغلق مكتب المقاولات وهو يقضي وقته في الصباح أمام شاشـة البورصة، والدردشة على الإنترنت، وأمسياته فـي الخروج مع أصدقائه الذيـن لا تعرفهم، ولم تكن تمانع في ذلك كثيرًا، فقـد كانا لا يتحدثان إلا ليتجـادلا ويتعاركا على أمور البيت اليومية.. فكان خروجه بالنسبة إليها رحمة لا يعرفها إلا من عاشر عصبيته وغضبه السريع.. ولكن أن يكون متزوجًا فهذا ما لم تكن تتوقعه أبدًا.. فحتى لو كانا لا يطيق أحدهما الآخر.. فكرامتها لا ولن تسمح لها بأن تقبل هذا الوضع!

نظرت إليه وهو نائم وشعور بالغيظ والاشمئزاز يملأ نفسها، إنها فعلًا لا تطيقه، ولا تطيق تصرفاته، ولكن ماذا يكون مصيرها ومصير أولادها إن كان فعلًا متزوجًا، وحتى إن لم يكن الأمر كذلك فما كل هؤلاء العشيقات؟ لابد أن تعرف الحقيقة، لابد أن تفهم وضعها ووضع أولادها.. بل ربما يكون لهم إخوة لا يعرفونهم.. صحيح أن حياتها معه قد انتهت منذ زمن بعيد ولم يبق منها سوى المظاهر من أجل الأولاد.. ولكن زواجه من أخرى معناه أنه حتى تلك المظاهر لم يعد قادرًا على الحفاظ عليها.. لقد كانت تظن أنه غير قادر على جرحها أكثر مما يجرحها دائمًا.. ولكن هاهو يجرحها جرحًا جديدًا.. ووضعت الهاتف على الكوميدينو من جديد، وأسرعت على أطراف أصابعها تأتي بهاتفها، وبسرعة البرق نقلت صورة اليد ذات الدبلة الماسية إلى هاتفها عن طريق البلوتوث، ثم قلبت الهاتف ونقلت صور النساء الأخريات الموجودة عليه وهي تفكر يا ترى أي منهن زوجته أو حتى عشيقته؟ وهل هي واحدة أم أكثر؟!.

وتقلب زوجها مرة أخرى وبدا على وشك الاستيقاظ، فأعادت الهاتف إلى مكانه وخرجت من الغرفة لتوقظ كريم ابنها ليذهب إلى المدرسة، وابنتها نوران لتلحق محاضرتها الأولى، وذهنها تعصف به الأفكار والشكوك، وارتدت أول ما قابلها في دولاب ملابسها في غرفة ابنها حيث كانت تضع معظم مقتنياتها منذ سنوات تفاديًا للاحتكاك والمشاكل، وتوجهت إلى المطبخ لتعد لهما الإفطار وعقلها يعمل سريعًا.

جلست مع أولادها حول مائدة المطبخ الصغيرة، وهي تشعر أن شيئًا ما قد انكسر بداخلها للأبد.. وعلقت نوران على ملابسها قائلة:

- ماما هذه البلوزة لا تناسب التايير..

ردت عليها وهي تنظر إلى ملابسها، ولم تكن قد ركزت فيما ارتدت:

- عندك حق.. لقد ارتديت ملابسي بسرعة ولم ألحظ الألوان..

ووضع كريم المربى على الخبز، فسقط بعض منها على المفرش، فسخرت منه نوران، فما كان منه إلا أن رماها بباقي الخبز، فصاحت فيه:

- اكبَر بقى يا كريم.. أترين يا ماما ما يفعل..؟

- أنا كبير يا نوران.. أتحبين أن أضربك حتى أريك..

وقام واقفًا وهو يهددها بقبضة يده، وهى مستمرة في سخريتها منه كعادتها، فبالرغم من أنه كان يصغرها بعدة سنوات فكانا لا يكفان عن العناد، صحيح أنه لم يكن يضربها أبدًا كما هددها، ولكنهما كانا لا يكفان عن المناقرة إلا إذا تدخلت مشيرة، وبالأخص حين تتهمه نوران بأنه مازال صغيرًا، وعلا صوتهما، ومشيرة صامتة شاردة لا تتدخل، ذهنها غائب تمامًا يفكر فيما اكتشفته، حتى قامت نوران بعد أن يئست منها، متذمرة غاضبة لتضع طبقها الفارغ في الحوض، بينما كريم يكمل طعامه، حتى انتهى منه، ونزل ليلحق بأوتوبيس المدرسة، فقامت مشيرة صامتة تزيل الطعام من على المائدة وتغسل الأطباق بحركة آلية، فربتت ابنتها على كتفها في حنان، وسألتها وقد بدأت تقلق عليها:

- ماذا بك يا ماما، لماذا لا تتكلمين؟

وكانت نوران معتادة على والدتها نشيطة متحركة، طوال الوقت تعطيهم توجيهات بما يفعلون، وما لا يفعلون، وهي تقوم بمائة مهمة في وقت واحد.. وردت عليها مشيرة دون أن تنظر إليها:

- لدي مشاكل في البنك..

- أهناك جديد؟

قالت باختصار وقد خافت أن تستشف من وجهها ما يعتمل في نفسها:

- لا أبدًا نفس المشاكل القديمة.

مالت عليها وابتسمت ثم قالت وهي تهمس لها في أذنها:

- عمومًا يا ماما، لديَّ خبر سيفرحك، طارق الذي حدثتك عنه يريد أن يقابل بابا..

انتبهت مشيرة لأول مرة لما تقول فطلبت منها إعادة ما قالت، فأعادته نوران وأضافت:

- والده جاء من قطر إجازة، ويريدون أن يتعرفوا بكما قبل سفره.

تهلل وجهها فهاهي ابنتها الحبيبة يأتيها عرسان يطرقون بابها ويتمنون رضاءها، ولكنها تراجعت عن الابتسام بشيء من الشفقة عليها من دخول تجربة الزواج مبكرًا وقالت:

- ولماذا العجلة؟ أنتِ لاتزالين صغيرة ومازلت في السنة الأولى في الكلية..

- لست صغيرة يا ماما، عمري تسعة عشر عامًا.. وهو معيد في الكلية، والجميع يعرفه، ويريد أن يجعل وضعنا رسميًّا..

- إن سنين الجامعة أجمل سنين العمر، فلا تفسديها بزواج مبكر..

- ومن قال إننا سنتزوج الآن، أنتم تتعرفون على عائلته، ثم ربما نقرأ فاتحة، وبعدها ممكن نتخطب في الصيف..

فابتسمت واحتضنت ابنتها بحنان وقد لمعت عيناها بدموع الفرحة ثم قالت:

- والله كبرت يا نوران..

ثم أضافت بلهجة في نبرة تحذير خفيفة:

- ولكن عِديني يا حبيبتي ألا تطلبي الزواج حتى تنتهي من دراستك..

- لا تخافي يا ماما لن نتزوج، إلا بعد أن أنتهي من الدراسة..

نظرت إليها والدتها بحب وقالت:

- حسنًا يا حبيبتي.. فلنبدأ بالتعرف به هو وحده بشكل غير رسمي أولًا.. ثم نبدأ في التفكير في موضوع التعرف بعائلته بعدها.. فليس هناك عجلة وأمامكما الحياة كلها..

قبَّلت نوران أمها مرة أخرى على جبهتها والفرحة تملأ عينيها وقالت:

obeikandl.com

- شكرًا يا أجمل ماما في الدنيا.. صدقيني يا ماما ستحبينه جدًّا عندما تتعرفين به.. وستكونين أنتِ المتعجلة لا أنا.. فهو شخصية رائعة.. ذكي وناجح وطموح وجذاب..

أضافت وقد أشرق وجهها بابتسامتها الكبيرة التي تظهر غمازتي خديها:

- وبالإضافة لكل ذلك يحبني..

ردت عليها مشيرة ببسمة دافئة ملؤُها الحنان وقلبها قد امتلأ فرحة بسعادة ابنتها:

- أنا متأكدة من حسن اختيارك يا ابنتي.. وأنا معجبة به لأنه لم يكتف بمعرفتك وحدك بل أراد أن يجعل الأمور رسمية.. ولكنني خائفة عليك، ولا أطلب منك سوى التمهل في قرارك يا حبيبتي.. حتى لا تندمي في المستقبل..

ردت عليها وسعادة الحب تملأ عينيها:

- لا تخافي يا ماما..

ثم قبلتها على جبينها مرة أخرى وسألتها:

- أستحدثين بابا عندما يستيقظ؟

كانت مشيرة قد نسيته تمامًا وهي تستمع إلى نوران، فانقبض صدرها من جديد، وردت عليها بصوت منخفض وهي تشعر أن ذلك آخر ما تريد أن تحدثه فيه:

- حسنًا سأحدثه بعد عودتي من البنك..

قبلتها مرة أخرى وهي متفائلة، مسـرورة، لا تسعها الدنيا من الفرحة، بينما مشيرة تتبعها بعينيها وهي تفكر في سخرية القدر الذي جعلها تكتشف اليوم بالذات أن زوجها قد يكون متزوجًا بأخرى إن لم يكن أكثر.

***

obeikandl.com

-10-

ركبت نادية ورامي سيارة رولا الصغيرة، فجلست نادية في المقعد الأمامي إلى جوارها، بينما جلس رامي في المقعد الخلفي، ووضعا حقيبتهما الوحيدة في حقيبة السيارة، بينما رامي لا يزال حزينًا على فقدانه حقيبته، وبدأوا في اختراق شوارع بانكوك ونادية تتحدث مع رولا عن تايلاند، وهي تريد أن تعرف كل شيء عن أول مكان تذهب إليه مع رامي وتلتفت إليه من وقت لآخر لتطمئن عليه، خاصة أنه كان صامتًا شاردًا، ورولا أيضًا ترمقه في المرآة من حين لآخر لترى إن كان لا يزال حزينًا.

وكان أول ما سألت عنه نادية هو سر البحيرات التي رأتها من الطائرة خاصة أنها تتركز حول المطار، فأجابتها رولا بأن المدينة كلها مبنية على مستنقعات ردمت حتى يستطيع أهل البلد البناء، وأنها لو كانت زارت المدينة من عشر سنوات لفوجئت بهذه المستنقعات في كل مكان، ولكن الآن أصبحت المدينة تضاهي أكبر مدن أوروبا بمبانيها العالية وشوارعها المنظمة، والتي ستريها لها بعد قليل، وأخذت نادية تستمع إليها بدهشة وهي تصف التناقض بين وضع البلاد من عشر سنوات وحالتها الآن، وهي تتساءل كيف يستطيع شعب أن يتقدم كل هذا التقدم في هذه الفترة القصيرة، بينما بلاد أخرى تقف مكانها لسنوات ولا تتحرك.

وكانـوا قـد وصلوا بالقـرب من الفندق في شـارع ((سـوكوم فيت)) وكان مـن أكثـر شـوارع المدينـة ازدحامًـا في هـذا الوقت من اليـوم، ومع ذلك كان المرور يسـير فيه سـريعًا لا يتوقف، فأشارت لها رولا إلى كوبري صغيـر من فوقهما وأخبرتها أنه المترو الطائر والذي ينتقل به أهل البلد من مـكان لآخر، وبني من حوالي خمس سـنوات، ثم أرتهـا كيف لا يأخذ من الرصيف الأوسـط في الشارع سوى سـنتيمترات معدودات وينقل الآلاف كل يـوم، وما أن خفضـت نادية نظرها بعـد أن رأت المترو حتى صرخت، فقد فوجئت برولا تنحرف بالسيارة لتسير في الاتجاه العكسي، فقلق رامي وسألها مندهشًا عما تفعل فأجابتهما رولا ضاحكة:

- لا تخافـا إننـي أسـير في الاتجـاه الصحيـح، ففي أوقـات الذروة يتحول السـير في هذه الجهة من الشـارع إلى اتجاهيـن لامتصاص الزحام من الاتجاه الآخر، والاستفادة بخفة المرور على هذا الاتجاه..

وتلفتت نادية يمينًا ويسـارًا لترى اتجاهي الشارع وهي معجبة بحسن التنظيم والاسـتفادة من الأرض، فبالرغـم من أن هذا البلد لم يكن في غنى الكثيـر من البـلاد التي زارتها، ولكـن دقة النظام تعكس مدى تقدم شـعبه، وانحرفت رولا مرة أخرى بسـيارتها نحو مدخل الفندق فنزلا من السـيارة، وأصـرت رولا على أن تدعوهما على العشـاء لتحتفـل بهما، فاقترحت أن تمر عليهما في السادسة لتريهما البلد ثم يتعشوا معًا.

صدقـت رولا فـي وعدهـا لهمـا بالتوصية عليهمـا في الفنـدق، فقد اسـتقبلتهما إحدى صديقاتها بابتسـامة عريضة، ومعها زهرة بيضاء جميلة،

أعطتها لنادية، ومن ورائها فتاة أخرى تشبهها كثيرًا تقدم لهما عصير البرتقال الطازج على صينية مغطاة بالزهور، ثم قادتهما إلى الكاونتر، حيث منحتهما تخفيضًا مقداره 35٪ من ثمن الغرفة، بالإضافة إلى كوبون لاستخدام النادي الصحي والماساج، وبالرغم من أن الغرفة بعد التخفيض كانت أغلى قليلًا من الغرفة التي كان رامي قد حجزها عن طريق الإنترنت، إلا أنه لم يندم على موافقته على الحجز في هذا الفندق، فبعد أن استقبلوهما بهذه الفخامة، وجعلوا كل من كان واقفًا يتساءل من هما، لم يكن مهمًّا لو دفع أكثر قليلًا.

دخلت نادية إلى الغرفة والسعادة تغمرها، فأخيرًا ستنفرد بحبيبها من جديد، فجلست على السرير وهي تتأمله بابتسامة، بينما أخرج هو آلة حاسبة وورقة وقلمًا وأخذ يحسب حساباته، فقامت ووضعت ذراعيها حول رقبته وهي تحتضنه في حنان، وتداعب شعر رأسه بذقنها وقد امتلأ أنفها برائحته التي تعشقها، وقالت وقد أغمضت عينيها:

- وحشتني يا حبيبي..

فالتفت إليها مبتسمًا:

- وأنتِ أيضًا يا حبيبتي.

ثم غَير الموضوع وقام واقفًا وهو يبعد يديها برفق:

- على فكرة يا حبيبتي لابد أن ننزل الآن كي نغير عملة، وأشتري ملابس حتى تجيء الحقيبة غدًا..

- تستطيع أن تبقى بملابسك هذه حتى المساء..

ثم أضافت وهي تبتسم في دلال:

- وربما لا تحتاج ملابس أخرى عندما نعود إلى الغرفة..

ثم تنحنحت قائلة:

- أقصد تستطيع أن تلبس تي شيرت من عندي.. فلدي اثنان واسعان جدًّا ألبسهما لأنام..

هو باختصار:

- لا أظن أن مقاسك يقترب حتى من مقاسي، ولا تنسي أننا بتنا في الطائرة، وألبس هذه الملابس منذ الأمس، انظري لما حدث للقميص والبنطلون، إنهما بالتأكيد يحتاجان إلى الكي، كما أننا سنخرج في المساء، وأحتاج إلى ملابس نظيفة.

أجابته بابتسامة تفَهُّم.. فقد كانت تعلم كم يهتم حبيبها بأناقته، فهو دائمًا يلبس ملابسه بعناية فائقة تجعلك تشعر أنه قد خرج لتوه من صورة في كتالوج..

- ممكن نبعث هذه الملابس إلى التنظيف ونرتاح في الغرفة حتى يأتوا بها..

فنظر إلى آلته الحاسبة، وقائمة التنظيف على المائدة:

- بل الشراء أفضل فالتنظيف في هذا الفندق غالٍ جدًّا، والأفضل أن أشتري شيئًا وأحتفظ به بدلًا من دفع أموال في الهواء.

ثم أضاف وهو يريد أن يضع قواعد تنظم حياتهما معًا:

- ما يحتاج إلى تنظيف سنأخذه معنا إلى مصر..

قامت نادية وقد يئست من أن تبقيه معها.. وهي تقول:

- حسنًا فلنذهب إلى السوق.. ثم نعد..

خرج رامي ونادية من الفندق إلى الشارع فشعرا بنقلة كبيرة بين تكييف الهواء المنعش في الفندق وأشعة الشمس الساخنة والرطوبة العالية في الخارج، فقد كان الجو حارًّا وكأنهما في الصيف وليسا في شهر ديسمبر، تلفتت نادية حولها تتفحص الشارع المزدحم بالسيارات، وهي تحاول أن تقرر أيَّ الاتجاهات تسلكه، ولم تصدق عينيها.. فقد فوجئت بفيل ضخم يمسك لجامه رجل أسمر ضئيل يسير على الجانب المقابل للطريق، فالتفتت ضاحكة لرامي وهي تشير للفيل فابتسم هو الآخر، فقبلته على خده وطلبت منه أن يعبرا الشارع للاقتراب من الفيل، فلما رأت من ورائه طفلًا صغيرًا يحاول أن يبيع للمارة طعامًا كي يطعموا الفيل ويلتقطوا الصور معه، رجت رامي أن تعود للغرفة لجلب الكاميرا، وتردد رامي في قبول فكرتها، ولكنه أمام إلحاحها، وافق على أن تذهب هي لتأتي بالكاميرا، بينما ينتظرها هو حتى لا يصعد إلى الغرفة مرة أخرى.

أخذ رامي يتأمل أنواع السيارات في الشارع وملابس المارة محاولًا استنتاج مستوى المعيشة في البلد، فشعر أن معظمهم متوسطو الحال، إن لم يكن أقل، ولكنهم كانوا جميعًا مهتمين جدًّا بنظافتهم وحسن هندامهم، كما أن معظمهم ضئيلو الجسم قصيرو القامة مثل زوجته، وربما كان ذلك هو

السبب في أنهم جميعًا بدوا صغار السن، هو لا يعلم، ولكنهم بالتأكيد بدوا جميعًا نشيطين متحركين، بالرغم من ارتفاع الحرارة، فلما لاحظ العربات الخشبية الصغيرة المنتشرة وعليها تلال من الفاكهة المقطعة المثلجة بدلًا من الآيس كريم، رجح أن سبب نشاطهم هو طعامهم الصحي.

جاءت نادية بالكاميرا ووجهها مشرق بابتسامة كبيرة، فكانت على وشك أن تلتقط أول صورة مع حبيبها في شهر عسلهما، وجرَّته من يده بحماس ليعبرا الشارع إلى حيث وقف الفيل، فوجدا مجموعة من السياح قد سبقوهما إليه، فانتظرا دورهما ووقفا إلى جانب الفيل، وتشبثت نادية بذراع زوجها الحبيب، ومالت برأسها على كتفه وابتسمت، ثم طلبت من أحد المارة أن يلتقط لهما الصورة، ففعل وأعاد لهما الكاميرا، فأخذت نادية تتأمل الصورة على شاشة الكاميرا الديجتال بفرح، وهي تؤكد لرامي أنها ستكبرها عندما يعودان إلى مصر، وتضعها على حائط غرفة المعيشة، ورامي لا يفهم سر سعادتها الزائدة بتلك اللقطة.

وصلا إلى مركز ((سنترال وورلد)) التجاري بعد رحلة قصيرة في المترو المعلق، وأخذا يتجولان في المركز ورامي مبهور بحجم المركز التجاري وكثرة محلاته بينما نادية سعيدة فقط بصحبته، وهي سعادة كادت تقترب من حجم سعادة رامي بالاطلاع على كل موديلات الماركات الجديدة التي نزلت إلى السوق، وسرعان ما وجد رامي ملابس تناسبه، وتجعله يبدو أكثر جاذبية كما أكدت له نادية، فاشتراها، ولكنه لم يوافقها على العودة للفندق كما أرادت، فقد كان الوقت لا يزال مبكرًا على ميعادهما كما أنه لا يفهم لماذا تريد أن تحبس نفسها في غرفة بدلًا من التجول بين

تلـك المحلات الباهـرة، خاصة أن وجودهما بينها فرصة ربما لا تتكرر في المستقبل القريب.

مر الوقت عليهما سريعًا، حتى جاءت الساعة الخامسة فعادا إلى الفندق للاسـتعداد للخـروج من جديد، فدخـل رامي إلى الحمام ليسـتحم ويبدل ثيابـه بينمـا نادية تحاول بصعوبة انتقاء ما سـترتديه، وأخيـرًا انتقت بنطلون جينز أسـود وبلوزة بسـيطة منقوشـة بزهـور رقيقة معظمها أزرق سـماوي ووردي فاتح وحذاء أسود بلا كعب، وقررت ألا تضع أي ماكياج، فقد كان الجو حارًّا بالخارج، وكانت بصفة عامة لا تميل إلى وضع المساحيق على وجهها، فكانت دائمًا تشـعر أنها قناع مزيـف يصلح للتزين للأغراب عنها، وكانـت تريـد أن يعرفها رامي كما هي بلا رتوش ولا مسـاحيق، فجلسـت علـى طرف السـرير تقلب مجلة وجدتهـا على مائدة الغرفـة، منتظرة رامي حتى يخرج من الحمام لتدخل هي الأخرى، كي تغتسـل وتبدل ملابسـها، فكانت لاتزال تشعر بالخجل منه ولا تريد ارتداءها أمامه.

خـرج رامي مـن الحمام يلبـس روب الفنـدق ويدعك شـعره الناعم بفوطة بيضاء صغيرة والتفت إليها قائلًا:

- هيا يا نادية أسرعي.. سنتأخر على ميعادنا..

فتح رامي ثلاجة الغرفة الصغيرة، وسحب علبة بيرة وأخذ منها رشفة، ثم وضعها على المنضدة، فابتسمت له نادية وقالت:

- ثوان وأكون جاهزة..

قامت واقفة تلتقط ملابسها ثم أدارت له ظهرها لتدخل الحمام، فقال لها:

- نادية حبيبتي.. لا تنسي أن تأخذي هذا الروب معنا إنه جميل جدًّا..

التفتت إليه مندهشة مما يقول:

- إنه روب الفندق ولا نستطيع أخذه..

حدق فيها وقال:

- إن ما سندفعه هنا يفوق كثيرًا ثمن الروب..

ردت عليه بابتسامة:

- إنك تريده للذكرى أليس كذلك..؟ عمومًا لقد بدأوا نظامًا جديدًا في جميع الفنادق نستطيع أن نأخذه وندفع ثمنه إن أردت..

أجابها باختصار:

- لا، لا داعي فسنجد أفضل منه في السوق بالتأكيد..

بدأ يرتدي ملابسه بسرعة وهو حانق لسذاجتها بينما أكملت هي طريقها للحمام والابتسامة لا تفارق وجهها لأنه يريد أن يحتفظ بالروب كذكرى لشهر عسلهما.

جاءت رولا في ميعادها بالضبط، وخرجت من سيارتها الصغيرة لتحييهما، وقد ارتدت فستانًا أحمر ضيقًا أظهر جميع مفاتنها جلية واضحة، وحذاء ذا كعب عال جعلها تبدو أكثر طولًا، فاقتربت من طول رامي، وجعل

obeikandl.com

نادية تبدو وكأنها طفلة صغيرة إلى جانبها، نظر إليها رامي وهي تميل إلى زوجته لتقبلها، وهو لا يعرف إن كان ينظر إلى صدرها المكتنز الذي بدا ثائرًا يريد أن يخرج من فستانها الضيق، أم ساقيها العاجيتين الطويلتين اللتين ظهرتا حتى أعلى من ركبتها قليلًا، أم إلى مؤخرتها المستديرة والتي بدت وكأنها تصيح: احذر فأنت تنظر إلى أنثى بكل معنى الكلمة، والتفتت رولا إليه تحييه، فوقعت عيناه على وجهها الأبيض وقد زينته بماكياج خفيف بعناية فائقة، عكست رقي ذوقها، وأناقتها المتميزة، فمد يده ليسلم عليها.. بينما انتاب نادية شعور شديد بالخوف.

***

obeikandl.com

-11-

جلست ريهام على مكتب الأستاذ رامي تتابع موظفي الشباك بعينين منتبهتين، فقد اتصلت مدام مُنى بالبنك في الصباح لتطلب إجازة عارضة في ذلك اليوم بعد أن وصلت حرارة ابنتها إلى أربعين درجة بالأمس، فلم يبق من موظفي الشباك غير نيرمين الحامل، ونيهال التي انتقلت إلى قسمها من أسبوع، ورانيا التي عينت الشهر الماضي، وهالة التي لم يمض على تعيينها سوى أيام، أي أن جميعهن باستثناء نيرمين لم يكن لديهن خبرة كبيرة في العمل في الكاونتر، وكان معظم موظفي البنك قد تهربوا مؤخرًا من العمل في ذلك القسم خوفًا من المسئولية، فالعمل في نقود وضبط خزينة كل يوم، لم يكن عملًا سهلًا أبدًا.

اتجهت ريهام إلى هالة أحدث موظفة في البنك، وكان قد تم تعيينها للعمل على الكاونتر، ثاني يوم اختبارها كمتدربة تحت الاختبار، لاحتياج البنك لخبرتها، وبناءً على توصية من الأستاذ شريف مدير الفرع، وكانت تبذل مجهودًا غير عادي لإثبات جدارتها، فتجيء مبكرة للبنك وتتركه بعد المواعيد الرسمية، كما اشتركت فور اختيارها في دورة للإنجليزية في المساء، كي تقوي لغتها الضعيفة، وطلبت من زملائها أن يأتوا لها بلائحة البنك كي تدرس كل نظمه وقوانينه، أما ملابسها فبالرغم من أنها لم تكن

تغيرها كثيرًا إلا أن التايرين والبدلة التي كانت تبدلها اتسمت جميعًا بالأناقة الفائقة والذوق الرفيع، وكانت بصفة عامة متماشية مع جو البنك.

التفتت ريهام نحو رانيا ونيهال لتطمئن على أدائهما هما الأخريين، فوجدت عميلة عند رانيا تحدثها بحدة، فاتجهت إليها على الفور، وحلت المشكلة، ثم اتجهت إلى نيهال وكانت قد عرفتها بأخيها هشام وهو لايزال في كندا عن طريق الإنترنت على أمل أن يتفقا ويتزوجا، فسألتها عن أخبار العمل، وإن كانت تواجه أيّ مشكلة فأجابتها نيهال بأن كل شيء على ما يرام، وعادت تعد النقود قبل تسليمها للعميل الواقف أمامها، وفكرت ريهام أن تسألها عن رأيها في أخيها، ولكنها تراجعت في آخر لحظة، فكانت قد قررت ألا تتدخل، حتى لا تخلق حساسيات إن لم يتم الموضوع، وتتركهما ليدرس كل منهما طباع الآخر في فترة تواجد أخيها في مصر، وإن كان هناك نصيب فحتمًا سيتم الأمر، خاصة أن أخاها كان قد حدثها عن فتاة أخرى تدعى سوزان، ابنة أحد أساتذته في كندا وأخبرها أنها تعجبه هي الأخرى، فخافت أن يرسو اختياره عليها في النهاية.

عادت ريهام لمكتبها من جديد، وهي تراقب الشباك، حتى اقترب عميل آخر من شباك نيهال، فإذا به د.هاني سراج، ودق قلبها بعنف وهي تتذكر موقفه معها في العام الماضي وكيف حاول التقرب منها ومغازلتها، وكيف أمسك يدها، في نفس هذا المكان، وكيف شعرت آنذاك أنها تريد أن تفعل أي شيء للتقرب منه، فأعطته ألفي جنيه من حسابها، ثم كيف اختفى بعدها حتى قابلته في المطار عندما كانت تنتظر أخاها، ونظرت إليه مجددًا وهو يقترب من نيهال، وقد تملكها شعور جارف بالرغبة في إبعاده عنها،

وبالرغـم من أنها كانت متأكدة أنها لم تعـد منجذبة إليه كما كانت في العام الماضي، كانت مندهشة للمشاعر المختلطة التي أخذت تعتمل في نفسها، بلا أسـباب مفهومة، فقد كانت تشعر بارتعاش في أطرافها، وبغيرة لا تفهم سـرها، وبرغبـة مؤكـدة للتحدث معـه، إنها متأكـدة من كرهها لـه، وحبها لخطيبهـا، ولكن كانت هناك قوى تدفعها للاتجاه نحو نيهال والوقوف إلى جانبها، أيكون السـبب أنها تغـار عليها وليس منها.. فهي مرشـحة للزواج مـن أخيهـا.. وبالتأكيد هـي لا تريد أن يأخذها هذا الوغـد منه.. ولكن لا.. ليس ذلك هو السبب.. إنها تريد أن تحدثه وتفهم منه لماذا اختفى.. وتركها هكذا بلا أسـباب.. فكلما تذكرت موقفه معها شعرت بالألم يوجع قلبها.. لـم يكن المبلـغ الذي أخذه هو مـا يؤرقها.. فكان يمكـن أن تعطيه أضعافًا لـو طلب منها ذلك آنـذاك.. ولكن فكرة اختفائه هكـذا.. وعدم اتصاله بها بعدها.. لقد تركها ذلك بشعور موجع بأنه لم يكن يريد سوى أن يستغلها.. كـم من مـرة فكرت أن تتصـل به.. على الأقل كـي تفهم ما فعلـه.. ولكنها تراجعـت.. فمـاذا تقول وهـي لا تعلـم إن كان يريدها كما قـال آنذاك.. أم أنـه كان يقول كلامًـا لا يعنيه ليحصـل منها على ما يسـتطيع ويختفي.. كم من مرة حاولت أن تجد له مبررًا.. ولكن مع مرور الوقت اسـتنفدت جميع المبـررات.. وظهر عبد الرحمن بأخلاقه ورجولته في حياتها فعصف بآخر ذكـرى له في مخيلتهـا.. وظنت أنها لم تعد متأثرة بـه على الإطلاق إلى أن رأتـه في المطار، فلماذا أثر عليها هكذا؟ وما معنى هذا الإحسـاس، أتكون تحبه ولا تحب عبد الرحمن؟ لا بل هي متأكدة من حبها لعبد الرحمن ومن أن هاني لا يصلح لها ولا تصلح له؟ ثم من هو أصلًا حتى تحبه أو لا تحبه.. إنها حتى لا تعرفه؟ فما هذا الاضطراب الذي تشعر به؟ وما تفسيره؟

كانت نيهال قد فتحت حسابه على الشاشة أمامها، وهي تستلم منه مبلغًا للإيداع، فاقتربت منهما ريهام وحيته، فنظر إليها وحياها وقد أدرك أنها أصبحت المشرفة على المكان، وقال:

- ما أخبار حضرتك؟

نظر إلى نيهال وهي تعد النقود وقال:

- يبدو أنكم عينتم مجموعة جديدة.

ردت عليه ريهام بنبرة شابها بعض اللوم:

- فعلًا، فحضرتك لم تأت إلى البنك منذ فترة طويلة جدًّا..

- إنها مشاغل، فقد توالى أكثر من ظرف، عطلني..

نظرت إلى يده في فضول وهي تحاول أن تستطلع إن كان قد تزوج، فلمحها وابتسم قائلًا:

- لقد تَزوَّجَت مطلقتي، وانتقلت ابنتاي ليعيشا معي، ولا تتصورين كم يشغلونني..

ولم يكن قد خطر لها ذلك المبرر لاختفائه، ردت وقد نسيت تمامًا من حولها:

- وكيف تراعيهما وحدك لابد أن ذلك صعب جدًّا عليك..

- لا أبدًا فقد كبرتا، ولا تحتاجان إلى مساعدة في المذاكرة، أو الملبس، أما الطعام، فأمي تسكن في شقة فوق شقتي، ونحن نعتمد عليها اعتمادًا كليًّا في شأنه.. بل الحقيقة في كل أمور المنزل!

ابتسمت وقالت:

- ربنا يخليها لكم..

وقاطعتها نيهال قائلة:

- النقود مضبوطة يا ريهام، ولكن لا يوجد سوى حساب بالمصري، وآخر بالدولار، بينما النقود بالاسترليني أأحوله بالدولار وأدخله إلى الحساب، أم أفتح حسابًا جديدًا؟

فنظر إليها د. هاني وابتسم لرقتها وجمالها الهادئ، وقال:

- أظن أن الأفضل أن تفتحي حسابًا آخر بالإسترليني..

ثم أضاف وهو ينظر في عينيها نظرة كلها رغبة:

- فيبدو أنني سأتعامل مع بنككم كثيرًا..

استشاطت ريهام غيظًا لمغازلته نيهال، واستدارت لتعود لمكتبها، فتدارك د.هاني الموقف وناداها قائلًا:

- آنسة ريهام، ألم تذكري أنك على وشك الزواج عندما قابلتك في المطار..؟

تذكرت ريهام زواجها وفرحها ودعوات الفرح فردت عليه وهي تريد أن تؤكد له أنها لا تفكر فيه على الإطلاق:

- صحيح لقد نسيت أن أدعو حضرتك للفرح..

اتجهت لمكتبها وأتت بدعوة ذهبية، وابتسمت متسائلة:

- ما أسماء البنات؟

- إنجي وياسمين..

فكتبت بخط مزخرف جميل أسماء د.هاني وابنتيه، وناولته الدعوة بابتسامة كبيرة، وهي تؤكد عليه الحضور، واستدارت لتعود لمكتبها فإذا بعبد الرحمن خطيبها يقف وراءها.

***

obeikandl.com

-12-

كان اليـوم هو خامس يوم لنادية ورامي فـي بانكوك، ومازالا ينتظران الحقيبـة ويتصـلان بقسـم المفقودات فـي المطـار يوميًّا ليخبرهمـا بنتيجة بحثـه عنهـا في المطارات المختلفة، وكان رامي قد قرر أن هذا هو آخر يوم ينتظران فيه الحقيبة، فإن لم تظهر، فسيسافران إلى بكين غدًا، ويتركان عنوان فندقهمـا للمطار؛ كي يبعث لهما الحقيبة لـو ظهرت، ووعدتهما رولا التي كانت قد تفرغت لصحبتهما طوال الأربعة أيام الماضية أن تتابع الموضوع بنفسـها في حالة سـفرهما حتـى تتأكد أن الحقيبـة لا تتوه بيـن المطارات، وكانـت رولا قد مرت عليهما في السـابعة والنصف مـن صباح ذلك اليوم بالضبـط، كمـا كانا قد اتفقا بعد عشـاء اليوم السـابق، حتـى تصحبهما إلى السـوق الطافي بسـيارتها، وهو مكان لابد لكل من يزور بانكوك أن يذهب إليه كما أكدت لهما، ولأن الطريق كان طويلًا بعض الشيء، والسوق تنتهي زيارته في الساعة الحادية عشرة، فكان لابد أن يذهبوا إليه في الصباح الباكر ثم يقضوا اليوم معًا.

كانـت نادية على وشـك الجلـوس في المقعد الأمامـي إلى جوار رولا عندمـا خرجـت رولا مـن السـيارة، وطلبـت مـن رامـي أن يقـود هو السـيارة ، بينمـا تجلـس هي إلـى جانبه وفي يدهـا الخريطة كـي تدله على

الطريق، فالخريطة باللغة التايلندية ولن يستطيع أي منهما قراءتها، فلما لم تمانع نادية، جلست رولا ببنطلونها الجينز الضيق وتيشرت أصفر قصير بحمالات رفيعة إلى جانب رامي وهو في مقعد السائق، بينما جلست نادية في الخلف، وبدأوا في طريقهم، والحديث في غالبه بين رولا ورامي عن الطريق والمساحات الخضراء الواسعة من حولهم، بينما نادية صامتة.

شعر رامي بصمت نادية فحاول أن يجتذبها لحديثهما فسألها عن رأيها في الجو، فابتسمت لأنها شعرت أنه يريد أن يشركها في حديثهما، وشعرت أن غيرتها من رولا لا محل لها، فسألتها عن التمثال الذهبي الضخم الذي كانوا قد اجتازوه لتوِّهم، فأجابتها رولا وقد استدارت لتواجهها:

- إنه تمثال بوذا ومن خلفه أحد أكبر المعابد في المنطقة..

سألتها في فضول:

- أحقًّا يعبدون تماثيل؟

- لا، بل بوذا أمير وفيلسوف هندي مات منذ سنوات، وترك لهم كتابًا كبيرًا فيه تعاليم كثيرة تحفز البشر على عمل الخير والبعد عن الشر والأذى، مثله مثل كل الأديان..

- ولكن أيعبدونه؟

- لا، ولكنهم يقدسونه، فهو رمز لتعاليمه، وهناك وجوه كثيرة له، تنعكس في تصويرهم له، فمثلًا أحيانًا ينحتونه رفيعًا هزيلًا، زاهدًا، يعطي طعامه للفقراء، وأحيانًا أخرى يرسمونه سمينًا ضاحكًا، يحفزهم على

الاستمتاع بمباهج الحياة، وأحيانًا أخرى له أذرع كثيرة للعمل والعطاء وهكذا..

- المبنى جميل جدًّا..

- فعلًا، فالتايلانديون يتفننون في بناء المعابد، على فكرة سآخذكم اليوم بعد السوق العائم لأجمل معبد فيها، معبد ((بوذا الإميرالد)) وفيه أجمل تمثال لبوذا مصنوع من حجر الإميرالد الخالص..

فتدخل رامي قائلًا وهو حائر بين رغبته في أن ينتهز الفرصة، ويرى كل شيء في البلد مع مرشدة سياحية دقيقة مثلها.. ومن خوفه أن يثقل عليها:

- نحن لا نريد أن نتعبك..

فاعتدلت رولا في جلستها لتواجهه مرة أخرى، وقالت:

- لا تعب على الإطلاق، فلديَّ أسبوع إجازة، وأنا كتير مبسوطة لأني أقضيها معكما..

وقررت نادية أن تجذبها للحديث معها مرة أخرى حتى تترك رامي وتحدثها هي بدلًا منه، كي يركز في القيادة.. طبعًا.. كما قالت لنفسها، فسألتها:

- وماذا عن نماذج البيوت الخشبية الصغيرة، التي نراها أمام كل منزل، إنها تبدو كبيوت العرائس أهي نماذج لمعابد؟

فالتفتت إليها رولا من جديد كما أرادت، وردت:

- لا، إنها بيوت صغيرة للأرواح..

- أية أرواح؟

- البوذيون يؤمنون أن الأرض ملك للأرواح، ونحن ضيوف عليهم.. وهم يبنون للأرواح أصحاب الأرض الحقيقيين تلك البيوت كي يعيشوا فيها..

ضحكت نادية متسائلة:

- بيوت عفاريت يعني؟؟

ردت عليها رولا مبتسمة:

- لا تستهزئي بمعتقداتهم، هناك معتقدات كثيرة سخيفة، لو فكرتِ فيها بالمنطق..

ردت نادية:

- ولكن الأمر لا يصل أبدًا إلى عفاريت نبني لها بيوتًا!

- إنهم يعتقدون أن الأرواح تعيش بيننا، ولا نراها فيقدمون لها قرابين وطعامًا في تلك البيوت الصغيرة، حتى تترك لهم الأرض يعيشون فيها ولا تؤذيهم.

- وهل يضعون تلك البيوت في جميع بيوتهم..؟

- يضعونها أمام أو فوق كل مبنى أو قطعة أرض يستغلونها.

سألها رامي:

obeikandl.com

- من يبيع تلك البيوت؟ لابد أنه يكسب كثيرًا..

فردت عليه رولا وهي معجبة بعقله التجاري، وكيف يحول كل شيء إلى فرصة ومكسب وخسارة..

- هناك العديد من صانعي هذه البيوت، هاهو واحد وأشارت إلى ساحة كبيرة بها مئات النماذج لهذه البيوت الصغيرة بأشكال وألوان مختلفة.

قالت نادية وهي تدير رأسها حتى تتحقق منها قبل اختفائها وراء الأشجار:

- أكيد هم الذين ابتدعوا تلك المعتقدات كي يبيعوا تلك البيوت..

ردت عليها رولا:

- إنها معتقدات متوارثة عبر الأجيال، ولا يشكك فيها أحد..

وكانا قد اقتربا من مقصدهما، فنظرت رولا إلى الخريطة، ثم طلبت من رامي أن ينحرف بسيارته لليمين، ثم يتوقف عند مرفأ صغير للمراكب.. فنزلوا من السيارة، وتوجهت إلى موظف على المرفأ تسأله، وعادت لهم قائلة:

- لن أستطيع أن أركب معكما المركب، فلابد أن آخذ السيارة إلى الجهة الأخرى، فاركبوا المركب، وسأقابلكم في المكان الذي ستنزلون فيه..

فرحت نادية بهذا الترتيب فأخيرًا ستقضي بعض الوقت وحدها مع رامي، وسألتها:

obeikandl.com

- وكم تستغرق رحلة المركب؟

- حوالي نصف ساعة، أنا ممكن آخذكم معي في السيارة، ولكنني أود أن تركبوا المركب فهو في حد ذاته تجربة فريدة..

تركتهما رولا يقفان في الصف، ونادية تتأبط ذراع رامي بإحدى ذراعيها وتلوح لها بالأخرى. وكانت أمامهما في الصف عائلة هندية، وابتسمت نادية وهي ترى الأم تحاول طمأنة ابنتها حتى لا تخاف من ركوب المركب، والتفتت لرامي وهمست له بصوت يملؤه الحنان:

- متى تكون لنا ابنة جميلة مثل هذه؟

رد عليها على الفور وهو يريد أن يحسم هذا الموضوع حتى لا تفتحه مرة أخرى:

- نادية لقد اتفقنا أن نؤجل هذا الموضوع قليلًا حتى تستقر ظروفي..

أجابته بصوت يختلط فيه الرجاء بالخوف من أن تغضبه:

- أنا أعرف يا حبيبي ولكنني أتمنى أن تراجع نفسك.. فنحن لا ينقصنا شيء.. البيت موجود.. والغرف كثيرة.. وظروفنا الحمد لله جيدة.. فلِم الانتظار؟

- الانتظار حتى أصبح رجل أعمال غنيًّا يفتخر به ابنه..

- ولكنك يا حبيبي مدير كبير في البنك..

- ليس هذا كافيًا..

فقالت بصوت مختنق:

- ولكنه لن يفهم شيئًا عن وظيفتك.. فالطفل لا يريد شيئًا من والده سوى حبه..

- وأيضًا مساندته له.. أنا أريد أن يسير ابني بين زملائه في المدرسة وهو يعرف أن والده أفضل وأغنى واحد بين آبائهم..

- صدقني يا حبيبي لا يشكل ذلك أهمية مطلقًا لأي طفل في العالم..

- بل أنتِ لا تعرفين شيئًا..

ثم أضاف وقد نفد صبره:

- لو سمحتِ يا نادية، أغلقي هذا الموضوع..

- لكن يا رامي طموحاتك هذه لن تتحقق إلا بعد فترة.. وأنا فعلًا مشتاقة لأن يكون لي طفل منك يا حبيبي..

- نادية لم يمر على زواجنا أسبوع وأنتِ تتحدثين عن الأطفال وتفتحين مواضيع للخلاف، ألا تستطيعين أن تقنَعي بما لدينا، وتعيشي سعيدة؟

- إن سعادتي ستكبر عندما يكون لي طفل، ثم من قال إنني سأحمل فور أن ننوي، فكل شيء بإرادة الله..

- إذن ماذا تريدين؟

- أريد فقط ألا نمنع الحمل ونترك الأمور لطبيعتها..

obeikandl.com

رد عليها رامي وهو يريد أن يغلق الموضوع كعادته:

- نادية هذا ليس مكانًا لمناقشة هذا الأمر..

وكان دورهما لركوب المركب، فوقفا في مقدمة الطابور، فقررت نادية أن تقفل الموضوع مؤقتًا حتى لا يغضب، وأمسكت بيده وابتسمت قائلة:

- كيفما تشاء يا حبيبي.. ولكنني فقط أريد أن تفكر في الموضوع بهدوء، فالطفل لا يذهب إلى المدرسة إلا بعد خمس سنوات تستطيع فيها أن تحقق كل طموحاتك قبل دخوله..

فلم يرد عليها وسحب يده من يدها وأدار وجهه وهو ينفخ الهواء من فمه لأنها لا تفهمه، وتصر على فتح هذا الموضوع، ولم تمر سوى ثوان معدودات حتى وصل القارب الصغير، فنزل إليه دون الالتفات لها، وكان المركب طويلًا رفيعًا، مثل مراكب سباقات التجديف، فكل شخص يجلس وحده في مقعده، فرفض سائق المركب أن تجلس نادية بجوار رامي فقنعت بالجلوس وراءه، وأدار السائق الموتور، وتحرك المركب بسرعة فائقة، والهواء المنعش يتخلل شعرها الناعم، ورذاذ الماء يداعب وجنتيها، وهي متحمسة سعيدة بالمغامرة، وسعيدة أكثر لأنها قالت لرامي كل ما كانت تفكر فيه بشأن موضوع الإنجاب، فقد كانت متأكدة أنه سيفكر في الموضوع حتى لو لم يعترف لها بذلك، وأخذت تتأمل المنازل الخشبية الصغيرة على ضفتي النهر، حتى وصلا إلى المرفأ بالجهة الأخرى، فوجدا رولا تنتظرهما.

نـزل رامـي مـن المركـب أولًا ثم سـاعد نادية ولكنهـا كادت تتعثر، فرفعهـا بيديه القويتيـن، وحملها بالقرب من صـدره، وهي تضحك وتقبله على خده، ورولا تنظر إليهما وفي عينيها سحابة رمادية، اختفت حين التفتا إليها، ليسيرا معها نحو السوق.

وكان السـوق مقسـمًا إلـى جزءيـن أولهمـا عنـد المرفأ حيـث نزلا، وكان عبارة عن سـاحة خشـبية واسـعة يملؤها باعة، كلٌّ أمامه مائدة خشبية مرصـوص عليهـا بضائعه مـن المنتجـات التايلاندية المختلفـة، من ثياب حريريـة، وتماثيل خشـبية، ومراوح ورقيـة، وآنية منزليـة، والكثير جدًّا من البضائع المقلدة لماركات عالمية وثانيهما أبعد قليلًا وأكبر كثيرًا..

ساروا بين البائعين، نادية تختار بعض التذكارات والكروت، ورامي يتحـدث مع رولا عن سـبب عدم اتخاذ الشـركات العالميـة أي موقف من تلك البضائع المقلدة، خاصة أنه لا يرتدي سوى الماركات الأصلية، حتى انتهيا من السـاحة، وسـارا في ممر طويل تحاول كل البائعات فيه اجتذابهم للشـراء، بالإغراء بالتخفيضات وبمزايا المنتجات، بل وأحيانًا بأن تشـدهم بيدها لتلفت نظرهم، ونادية تسـرع حتى لا تتعثر في الزحام أو تسـرق منها حقيبتها.

وقفـت نادية عند إحدى البائعات التي تبيع جلابيب فضفاضة حريرية ونادت رامي مقترحة أن يشترياها كهدية لوالدته، فتجهم وجهه وقال بلهجة بها حساسية شديدة:

- والدتي لا تلبس جلابيب يا نادية..

فامتقع وجهها وهي لا تدري لماذا غضب ، وقالت:

- إن هـذه الجلابيـب من أشـهر مـا يصنعـه التايلانديـون ووالدتك مقاسها كبير إلى حد ما، فممكن أن تكون مقاسها.

فتدخلت رولا قائلة:

- أنا شخصيًّا لا أرتاح إلا في مثل هذه الجلابيب..

ابتسم رامي بعد أن جاء الكلام من رولا وقال:

- حسنًا إن كنتما أنتما الاثنتان تريانها جميلة سأشتريها.

سألته رولا:

- هل لديك إخوة أيضًا، نشتري لهم هدايا؟

- لا.

تعجبت نادية من كذبه، فلماذا يكذب وينكر أن له إخوة، لقد لاحظت أكثـر مـن مرة أنـه دائـم التهرب مـن الحديث عن أسـرته، ولكنهـا لم تكن تتخيل أنه سـينكر وجودهم أصلًا، وبدأ شـعور غريب بعدم الأمان يتسـلل إلى نفسها.

كان لابـد مـن عبور كوبري خشـبي صغير فـوق النهر للوصول إلى الجـزء الثاني والأكبـر من السـوق العائم، فوقفـوا عليه، وأخـذوا يتأملون المراكب الكثيـرة من تحتهم، وعلى متنها الباعـة بقبعاتهم الكبيرة، يبيعون بضائعهـم مـن فاكهة، وطعـام مطبـوخ، وتـذكارات، والناس يقفـون على ضفتي النهر ليشـتروا منهم، ومن البائعين المنتشـرين على الضفتين، وكان

منظـر المراكب ببضائعهـا الملونة رائعًا، فأصرت نادية أن يلتقطا ما يقرب من عشـرين صورة بخلفية المراكب من جميع الجهات، وهي تشـكر رولا على أنها جاءت بهما إلى هذا المكان المختلف.

نزلـوا مـن أعلـى الكوبـري إلى ضفـة النهـر، واشـترت لهم رولا من أحد المراكب موزًا مقليًّا مغطى بالسـكر، وجلسـوا فـي إحدى الموائد يشـربون جـوز الهند الطبيعـي بعد أن فتحت لهـم البائعة الثمار بالسـكين، ووضعـت لهـم فيها مصاصـات ليشـربوا، وكان وجه نادية مشـرقًا جميلًا، وهـي تخبر رولا ورامي كم تختلف هذه البلاد عن أي بلاد زارتها من قبل، ومـرت أمامها الأم الهندية وابنتها، فقامت نادية واشـترت لهما جوز الهند، وهي تخبرهما أن رحلتها القادمة مع رامي ستكون حتمًا إلى الهند.

عادت نادية إلى رولا ورامي بابتسامة راضية لتستكمل حوارها مع رولا عن أهل البلد، فسألتها:

- مـا المبانـي الخشـبية الموجـودة علـى ضفتـي النهـر، أهي ورش للمنتجات الموجودة في السوق؟

- بعضها ورش ولكن معظمها منازل أهالي البلد.

سألها رامي متعجبًا:

- لكنها مبنية بطريقة غريبة مرتفعة عن الأرض.

- نعم فهي مبنية على أعمدة خشـبية لحمايتها من فيضان النهر وقت الأمطار..

سألتها نادية متعجبة هي الأخرى:

- لكـن عندما نظـرت إلى داخـل بعض منهـا، لم أجد سـوى صالة واسعة خاوية بلا أثاث..

فأضاف رامي ساخرًا:

- فعلًا لا صالون مذهب ولا غرفة سفرة خشبية ولا بلاكار..

- معظـم البيـوت في ريـف تايلاند مكونـة من غرفة واحـدة متعددة الأغراض.. فهم في الليل يفترشون المراتب وينامون، وفي النهار يضعونها في جانب الغرفة وتتحول الغرفة إلى غرفة معيشـة، يجلسـون فيها ويأكلون ويمارسـون كل نواحي الحياة، ولو كنت قد أطلتِ النظر لوجدت تليفزيونًا وثلاجة وكاسيت وكل ما تتطلبه حياتهم.

ضحكت نادية وسألتها:

- وماذا عن المطبخ والحمام؟

- عادة يطبخون طعامهم في خـارج تلك البيوت.. أما الحمامات.. فلا تخافي معظم البيوت بها حمامات.

سألها رامي في فضول:

- والعائلـة كلها تعيش فـي غرفة واحدة أم وأب وأولاد، ألا يسـبب ذلك مشاكل..؟

نظرت إليه رولا بعينين جريئتين وقد فهمت مقصده:

- هـم عمليون جدًّا هنا، وعمومًـا فالبيوت الحديثة لـم تعد بها هذه المشكلة فغرف النوم منفصلة..

رد هو بلهجة الفاهم للأمور:

- إنهم يعيشون مثل الأحياء العشوائية عندنا..

ثم أضاف:

- ولكن البيوت هنا شكلها أنظف وأجمل كثيرًا..

علقت نادية:

- ليـس المهم شـكل البيـوت وإنما طريقة المعيشـة فيهـا، فكم من بيوت تبدو رائعة من الخارج، ولكنها مليئة بالمشاكل من الداخل..

قاطعتها رولا:

- أنـا مـع رامي يا نادية الشـكل مهم جـدًّا أيضًا، فهو يعكـس الحياة اليومية وطريقة التفكير والأولويات..

- أنـا لا أعتـرض يا رولا، ولكننـي ضد أن ننبهر بكل مـا هو أجنبي، فبيـوت مصر العشـوائية قد تكون مبنيـة من صفيح أو طـوب أحمر، ولكن داخلهـا ناس يحب بعضهم بعضًا ويخاف بعضهـم على بعض أكثر من أي مكان في العالم..

ثـم جاء النـادل من جديد يسـألهم عمـا يريدون شـربه، فطلبت رولا مشـروب بينا كولادا بينما اكتفت نادية ببعـض الماء، وهمس رامي في أذن النادل يسـأله عـن كينونة البينا كـولادا ومكوناته، فلم يكن قد سـمع بذلك

obeikandl.com

المشـروب من قبـل، فلما أخبـره النـادل بمكوناته، طلب هـو الآخر نفس المشروب، وكأنه يشربه طوال عمره.. ثم استطرد يقول:

- صدقيني لدينا مشكلات اجتماعية، مثل كل الدول الأجنبية، ولكن في مصر كل شيء في السر وغير معلن..

- لا، بـل الغرب هو الـذي يحفز الكتاب والسـينمائيين للمبالغة في مشاكل فردية وسلبيات غير حقيقية حتى يشوه صورتنا يا رامي..

تدخلت رولا وقد شـعرت أن نادية قد أخـذت الموضوع بجدية أكثر من اللازم وقالت:

- لو جعلوك يا رامي مسـئولًا عن المباني العشـوائية في مصر، فشو تعمل..؟

رد مبتسمًا:

- أول شـيء أفعلـه هـو هـدم المبانـي الصفيـح التي تتحـدث عنها نادية..

- ولكن أين تذهب بسكانها..؟

رد بلهجة جادة:

- أنقلهم إلى المسـاكن الشـاغرة في مدينة السـادات أو بحيرة ناصر أو أيٍّ مـن تلـك المناطـق ذات المسـاكن الشـاغرة التي لا يسـكنها سـوى الأشباح..

- وماذا إن لم يرغبوا في الانتقال..؟

وجاء النادل بالمشروبات سريعًا فأخذ رامي من كوبه رشفة وهو يقول:

– إن البينا كولادا في هذا المطعم متقنة جدًّا..لقد كان دومًا مشروبي المفضل.. ألا تريدين أن تجربي هذا المشروب يا نادية..

– أنا أعرف البينا كولادا جيدًا يا رامي.. ولكنني لم أنتهِ من جوز الهند بعد..

فالتفت رامي إلى رولا من جديد يجيبها عن سؤالها:

– أنقلهم بالقوة الجبرية..

– وماذا بعد ذلك..؟

– أجبر أي صاحب عمارة أو منزل صغير، أن يدهن مبناه من الخارج كما يفعل من الداخل، حتى يستطيع الحصول على ترخيص وتقنين وضعه..

نظرت إليه رولا بإعجاب وقالت:

– يسلم تُمك يا رامي، إنها فكرة رائعة، بل يمكن أن تجبرهم على أن يدهنوها كلها لونًا واحدًا.. أبيض مثلًا.. مثل كازبلانكا البيضاء..

ردت نادية:

– وماذا إذا لم يفعلوا؟

– نعطيهم مهلة، فإن لم يصححوا أوضاعهم تُزال فعلًا العديد من البيوت، فلو فعلنا ذلك سيجري كل صاحب بيت لدهان بيته وتجميله..

ردت نادية:

- ولكـن هناك مشـاكل أكبـر كثيرًا مـن الشـكل الخارجـي للمباني العشـوائية.. فهنـاك أحيـاء كاملة منهـا وصعب جـدًّا أن تـزال، أو أن تجبر أصحابها على فعل شيء لا يرغبون فيه.

- مـا يحـدث يا ناديـة أن هـذه المباني تصبح أمـرًا واقعًـا بعد حين، فلا تجـد الحكومة حلًّا سـوى أن ترفض تقنين أوضاعهـا، وتتغاضى عنها، كأنها غير موجودة، أو كأنها لا تراها..

سألته رولا وهي منبهرة بأسلوب تفكيره:

- وما الحل في رأيك؟

- أن نقنـن أوضـاع مـا لا يضرنـا منها، ونجبـر أصحابهـا أن يلتزموا بقواعد تسري على الجميع، ونزيل الباقي، فإن وضعنا نظمًا عملية وقوانين عادلة يتقبلها الناس، ثم أجبرناهم على اتباعها، لا تكون القاعدة هي كسـر القاعدة.

ردت نادية وهي تريد أن تؤيد ما يقول كما تفعل رولا:

- أي أن يكون العدل هو أساس الملك..

رد عليها بلهجة تقرير الحقائق:

- بل أن نأمر بالمستطاع حتى نطاع..

وضعت يدها على يده وقالت وقد أضاءت ابتسـامتها الحلوة وجهها البشوش:

obeikandi.com

يا حبيبي لابد أن يختاروك وزير إسكان كي تصلح لهم كل شيء.

ضحك رامي ورد عليها مبتسمًا:

- بل يتركونني أنا أبيع لهم الدهانات..!

تدخلت رولا وقد ساورها شعور خفي بالغيرة من تدليل نادية لزوجها:

- يبدو أن الحديث عن الإصلاحات الممكنة لا ينتهي.. ولابد أن أقطعه عليكما كي نذهب إلى المعبد ثم إلى الغداء.. فهناك مطعم تايلاندي في شارع ((بات بونج)) سيعجبكم جدًّا.

رد رامي وقد حمسه الحديث لزيارة مكان جديد:

- إذن هيا بنا..

مر الوقت قصيرًا وهم يتجولون في المعبد، وما حوله من قصور ونادية معجبة جدًّا بإتقان البناء وزخرفة الحوائط المكسوة بالفسيفساء والخزف، تحاول أن تلتقط صورًا مع رامي في كل ركن، بينما رامي يحاول تخيل تكاليف وساعات العمل التي تتطلبها زخرفة تلك الحوائط بمياه الذهب والفسيفساء الملونة بهذا الشكل المتقن، ورولا تشرح لهم المزيد عن عادات الشعب التايلاندي.

اقتربت الساعة من الخامسة فقرروا أن يتوجهوا إلى المطعم الذي اختارته لهم رولا، وكان في شارع ضيق، افترش الباعة الجائلون جزيرته الوسطى ببضائعهم في شكل صفين بينهما ممر، وكان معظمها يشبه إلى

حد كبير البضائع التي رأوها في السوق العائم، ولكن كان العجيب الذي رأوه في ذلك الشارع هو المقاهي الصغيرة والحانات على جانبيه، والتي امتلأت بفتيات بمايوهات ساخنة قطعتين، يقدمن الرقصات والطعام للسائحين..

شعرت نادية بالحرج وهم يمرون في الشارع وتحاول فتيات شبه عاريات أن يجتذبوهم بشتى الطرق، للدخول واختيار حانتهم لتناول الطعام فيها، بينما رامي ينظر مشدوهًا، ورولا تمر مبتسمة، وكأنها لا تراهن.. فنظرت إليها نادية وقالت:

- ما هذا الشارع يا رولا؟ إنه مليء بالفتيات العاريات..

ردت عليها ضاحكة:

- لسن عاريات، فهن يلبسن مايوهات..

رد رامي وهو سعيد بما يرى:

- اعتبري نفسك على الشاطئ يا نادية..

هزت نادية رأسها باستنكار وقالت:

- ولكن حركاتهن ورقصاتهن داخل الحانات..

فضحكت رولا وردت عليها:

- أنا مع رامي يا نادية في أن تعتبري نفسك على الشاطئ، فلماذا تتقبلين رؤية الفتيات بالمايوه في البحر وليس هنا.. وعمومًا لا تقلقي..

فهن يسمحن للناس بالمشاهدة فقط بلا لمس.. كما أن الناس تحب أن تشاهدهن هكذا..

وغمزت بعينها في اتجاه رامي.

- ويتركن أجسادهن هكذا مشاعًا بلا خجل؟

- أنتِ فقط غير معتادة على الفتيات بلا ملابس مقفلة، ففي مصر معظم السيدات محجبات أليس كذلك؟

- وحتى إن لم يكنَّ محجبات، فهن لا يخلعن ملابسهن بهذه الطريقة..

- يخلعنها فقط في غرف النوم..

ثم تساءلت ضاحكة في سخرية:

- أم لا يخلعنها فيها أيضًا؟

تدخل رامي ضاحكًا هو الآخر:

- ولا في غرف النوم صدقيني..

فاحمر وجه نادية وقد اغتاظت من جرأة رولا وتمشي رامي معها..

- بعد إذنكم أنا لا أريد أن آكل هنا، وأريد أن أعود للفندق..

نظر إليها رامي وقد شعر بالحنق لسذاجتها، ومثاليتها الزائدة، ولكن بلا رغبة في الدخول في جدال أمام رولا، وقال:

obeikandl.com

- حسـنًا يا رولا خذينا إلى الفندق، فقد تعبنا من التنقل طوال اليوم، ربما يكون من الأفضل أن نعود إلى الفندق الآن..

نظرت إليهما بخيبة أمل، وقالت:

- كيفمـا تريدان.. لكن المطعـم الذي كنت سـآخذكما إليه في آخر الشارع، وليس به فتيات، بل مطعم عادي..

ردت عليها نادية وقد شعرت أنها لم تعد تطيقها:

- بل أريد أن أعود للفندق، فأنا متعبة..

- كيفما تريدين يا قلبي.. سأوصلكما الآن وأمر عليكما غدًا صباحًا، كي آخذكما للمطار..

رد رامي ممتنًا لها:

- شكرًا يا رولا.. لا نريد أن نتعبك أكثر من ذلك..

- تعبكم راحة خي..

تركتهما في الفنـدق ورامي حانق من إصرار نادية على العودة مبكرًا، فمـن يدري متـى يجيئان إلى هذا البلـد مرة أخرى، فالتفـت إليها وهما في طريقهما للغرفة وسألها بنبرة حادة:

- أنا لا أفهم لماذا أصررتِ على العودة للفندق؟

- لم تعجبني طريقة كلامها ولا الشارع ولا أي شيء..

obeikandl.com

- الست لم تقل أي شيء يهينك، ثم إنها تفرغت لنا كل الأيام الماضية تأخذنا من مكان إلى مكان متبرعة بتوصيلنا مجانًا.. فالواجب أن نشكرها لا أن نهينها..

- أنا لم أهنها..

- إذن ما معنى تصرفك وإصرارك على العودة للفندق، بعد أن كنا سنتغدى معها؟

- ولماذا نتغدى معها ولا نأكل وحدنا، أليس هذا شهر عسلنا نحن؟

رد عليها بحزم، وقد استشعر غيرتها:

- كان أقل واجب أن ندعوها على الغداء، بعد تضييعها وقتها معنا بالأيام الماضية ووعدها بمتابعة موضوع الحقيبة الضائعة..

- لقد دعوتها ثلاث مرات على الغداء وأربع مرات على العشاء في الأيام الماضية، أليس ذلك كافيًا؟

- وماذا إن دعوناها مرة أخرى، أليس ذلك أوفر من أن نأخذ تاكسي للمطار مثلًا.. ثم إنها مضيفة.. وأستطيع أن أستفيد بسفرها الدائم إلى الصين في عملية الاستيراد..

ردت عليه وقد بدأت تفهم وجهة نظره خاصة أنها كانت تعرف أنه لا يترك فرصة يستطيع الاستفادة منها إلا ويقتنصها:

- المشكلة أنها أصبحت معنا أربعًا وعشرين ساعة يوميًّا..

obeikandl.com

- كتر خيرها تساعدنا..

نظرت إليه نادية ببعض اللوم وهي تتمتم:

- لكن..

رد عليها بحزم:

- لا محل لـ "لكن".. هذه علاقات عامة.. وكل رجل أعمال لابد أن يكون له علاقات عامة..

ثم التفت إليها مبتسمًا وقد شعر أنه احتد قليلًا.. وقال:

- ومع ذلك فإننا سنسافر غدًا ونتركها.. ونصبح وحدنا..

ابتسمت وقد أحست أن عنده بعض الحق.. وأنهما على أية حال سيكونان وحدهما مرة أخرى من اليوم التالي كما يقول، فقامت إليه تقبل جبهته:

- حقك عليّ.. ولكنني أغاير عليك.. أليس هذا من حقي؟

- غيري عليّ عندما يكون هناك سبب للغيرة.. أما الآن فلا سبب..

- خلاص بقى..

قبلته مرة أخرى على رأسه وبعينيها ابتسامة رجاء، فالتفت إليها وأحاطها بذراعيه، فشعرت بنفسه الدافئ على رقبتها، احتضنته بقوة أكبر، وهي تريد أن تغوص في جسده، فبدأ يفك أزرار بلوزتها المزركشة، ويزيحها من على كتفها، ففكت هي أزرار قميصه، والتصقت صدورهما في حضن دافئ طويل، أغمضت عينيها في نشوة، ورائحته التي تعشقها

تملأ أنفها، وهي تفكر كم تحبه، وأحست بيديه تجريان على ظهرها، وكأن أصابعه تعزف عليه أنشودة حب حانية، وشعرت بيديه تمتد إلى نهديها، وهو يقودها إلى السرير القريب، وقبلاته تزداد على رقبتها، وهو يتمتم بكلمات حب لا تتبينها، حتى اخترق أذنها صوته العميق يناديها.. باسم رولا..!

***

obeikandl.com

-13-

رفعت مشيرة سماعة تليفون كابينة المياتل في أحد الشوارع الجانبية في تردد وهي تمسك في يدها قائمة الأرقام التي سجلتها من على هاتف زوجها المحمول، وكانت قد قررت أن تتصل بمن فيها جميعًا، من هاتف غير هاتفها حتى لا يتعرف عليها أحد .. في محاولة للوصول إلى صاحبة صورة اليد ذات الدبلة الماسية، وضغطت على أرقام رقم الهاتف الأول، فجاء لها صوت رجل مسن يبدو أنه قد استيقظ لتوه من نومه، فأغلقت السماعة على الفور وابتعدت عن الكابينة، وهي تشعر كم هي سخيفة فكرة الاتصال بأناس لا تعرفهم، وكادت ترمي كارت الاتصالات.. ثم تذهب لشراء احتياجات المنزل كما خططت، ولكن شيئًا ما جعلها تضعه في محفظتها، وركبت سيارتها من جديد حتى وصلت إلى السوبر ماركت، فدخلت تشتري احتياجاتها وذهنها غائب تمامًا تفكر في: كيف تتعرف على تلك المرأة؟

وسارت في طريقها مرة أخرى فقابلت كابينة هاتف آخر فقررت أن تتصل بالنمر جميعًا وتستبعد النمر التي يرد عليها فيها رجال، وأخذت تتصل بالنمر الواحدة تلو الأخرى، فتشطب نمر الرجال، حتى لم يبق لديها سوى أربع نمر لأصوات نسائية، فأخذت تفكر كيف تستطيع أن تعرف من هن؟

ركبت سيارتها من جديد في طريقها لمنزلها في الهرم، وتوقفت عند كابينة هاتف جديدة وقد فكرت في خطة تتعرف بها على هوية صاحبات الأصوات.

دقت بأصابع مرتعشة الرقم الأول فردت عليه صاحبته بصوت حاد، عالٍ:

- أيوه من معي؟

ردت عليها مشيرة بصوت متردد:

- أنا من شركة موبينيل ونحن نجري استقصاء عشوائيًا لعملائنا، فهل سيادتك راضية عن الخدمة؟

جاءها الرد مستفيضًا، فكانت صاحبة الهاتف لديها شكاوى عن فاتورة حصِّلت بأكبر من قيمتها، وشعرت مشيرة أن صاحبة الصوت ليست ضالتها، فقد كان صوتها لامرأة مسنة، ناقمة على كل شيء، فلما سألتها عن اسمها، تعرفت عليها على الفور، فأغلقت السماعة مسرعة، فقد كانت المتحدثة خالة زوجها..!

شطبت رقمها وهي تبتسم، ولكن بعد أن أصبحت أكثر جرأة على مواصلة ما بدأت، فطلبت الرقم الثاني وكانت هذه المرة لرقم من شركة فودافون، فرد عليها صوت امرأة بدت أصغر سنًّا من الأولى، فادعت أنها من شركة فودافون وتقوم باستقصاء عن الخدمات، فردت عليها صاحبة الصوت تؤكد لها أن الخدمة جيدة ولكن لديها استفسار عن نقاط الهدية، فأجابتها مشيرة في حدود معلوماتها، ثم أخبرتها أنها ستتصل بها مرة أخرى

obeikandl.com

لتخبرها بباقي التفاصيل، وسألتها عن بياناتها حتى تستطيع ذلك، فردت عليها المرأة بأن اسمها دينا وتعمل في مكتب استشارات هندسية في وسط المدينة، وتذكرتها مشيرة فقد كانت سكرتيرة زوجها السابقة عندما كان لديه مكتب مقاولات، أيكون قد تزوجها، أم تكون مجرد صداقة استمرت بعد إغلاق المكتب؟ ولكن لماذا لم يسجل الرقم في هاتفه باسمها، أم تكون قد اتصلت به للمعايدة، ولكن الرقم تكرر أكثر من مرة..

وقررت مشيرة أن تتصل بالرقمين الآخرين، فبدأت بالرقم الأول وكان الرقم الذي يبعث له زوجها أرصدة شحن، وردت عليها هذه المرة شابة بدا من صوتها أنها في العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من عمرها، فلما سألتها إن كانت راضية عن خدمة شركة المحمول أخبرتها أن الشبكة غير جيدة في بعض الأماكن، فسألتها مشيرة عن مكان سكنها وإن كانت المشكلة في منطقة سكنها، فأجابت:

- أسكن في مدينة نصر، والشبكة جيدة هنا.. ولكن لديَّ بعض التحفظات على أماكن أخرى..

- أتكون تلك التحفظات في مكان عملك؟

- أنا لا أعمل..

- هل أنتِ في الجامعة وتلك التحفظات في منطقة الجامعة؟

- بل تخرجت من عدة سنوات..

- هل تستطيعن تحديد تلك الأماكن..؟

- معظمها في داخل المنازل، وبالأخص في الأدوار العليا..

فردت عليها مشيرة بإجابة سمعتها من موظفي الشبكة عندما اشتكى موظفو الفرع الرئيسي في البنك من ضعف الشبكة:

- الشبكة تكون ضعيفة في الأدوار التي ترتفع عن الدور الثاني عشر بصفة عامة.. ولكن يمكن لمندوبنا أن يزور تلك الأماكن لو حددتِها لنا ويقوي الشبكة فيها، فإن لم يؤد ذلك إلى تحسين الخدمة، فيمكننا تركيب جهاز تقوية.. ولكن هل باقي أفراد العائلة على نفس الشبكة؟

- ماذا تقصدين؟

- زوجك مثلًا أهو على نفس الشبكة؟

- لست متزوجة..

- وأولادك..

- ليس لديَّ أولاد..

- وما اسم سيادتك حتى نتصل بك بعد ذلك للمتابعة..

- ريهام..

صعقت مشيرة عندما سمعت الاسم أتكون ريهام زميلتها في البنك، ولكنها قالت إنها لا تعمل، أتكون كاذبة، أم أنه مجرد تشابه أسماء، ولكن ريهام كانت توزع دعوات فرحها الأسبوع الماضي، لابد أنه تشابه أسماء.. أم تكون تلك الرسائل قديمة قبل خطبتها، ويكون زوجها وريهام على

علاقة قديمة، ربما تكون قد توقفت عندما ارتبطت بعبد الرحمن، لقد ظلت ريهام سنوات بلا أي ارتباط، أكانت على علاقة بزوجها؟ ولكن ذلك الرقم ليس رقمها؟ فهل لها رقمان، ولكن لماذا يبعث لها رصيد محمول؟ أينفق عليها؟ أيكون قد تزوجها في السر؟ أتكون قد ارتبطت بعبد الرحمن ليأسها من إعلانه الزواج كما يحدث في الأفلام؟ ثم ابتسمت ساخرة: وهل لديه فائض أموال ينفقه عليها؟! ولكنها في الحقيقة لم تعرف دخله أبدًا، أتكون البورصة تدر عليه دخلًا يسمح له بالإنفاق على منزل آخر..

أغلقت مشيرة سماعة الهاتف وقد شعرت بدوار في رأسها، ثم خطر لها أن تبحث في سجلات شئون العاملين عن مكان سكن ريهام، فقد ذكرت الفتاة أنها تسكن في مدينة نصر، ولكن ماذا إن كان سكن مدينة نصر هو بيت زواج سري وغير موجود في السجلات؟ ولكن أأخبرت ريهام خطيبها عبد الرحمن أنها كانت متزوجة من قبل، أم أنها كانت مجرد علاقة عابرة فلم تخبره؟ لقد أصبحت على وشك الجنون.. إنها أصبحت تشك في أقرب الناس إليها.. كم تكره نفسها.. بل كم تكرهه.. وشعرت بهبوط شديد وباحتياج إلى شيء به سكر.. فأسندت رأسها بيدها، وهي تفكر في العودة للمنزل قبل أن تسوء حالتها، ولكنها تذكرت الرقم الأخير الذي لم تطلبه، فقررت أن تؤجل العودة وتستكمل ما بدأت، فاتصلت به، وكان لصاحبة رسائل صباح الفل، وكانت مسجلة باسم نجلاء، فاختصرت الطريق وحدثتها على أنها صديقة قديمة:

- أهلًا يا نجلاء، ما أخبارك؟

فردت عليها نجلاء بارتياب:

- أهلًا من معي..

فردت مشيرة بصوت ملأته الثقة:

- أنا ريهام، ألا تعرفين صوتي؟

وكان ذلك أول اسم خطر على بالها، واندهشت السيدة ولكنها استكملت الحديث حتى لا تحرجها فقد ظنت أنها تعرفها، ونسيت اسمها، فردت لها التحية بتحفظ، فسألتها مشيرة:

- ما أخبارك؟

- في أحسن حال.. وأنتِ؟

- جيدة، ما أخبار الأولاد؟

- ليس لديَّ أولاد.. من أنتِ؟ ومن أين جئتِ برقمي؟

ثلجت أطراف مشيرة، ودق قلبها سريعًا، وشعرت بتنميل يسري في أصابعها، ولم تعرف بمَ ترد، فأغلقت السماعة بسرعة، وابتعدت عن الكابينة وركبت سيارتها لتعود لمنزلها.

دخلت مشيرة إلى المنزل ومازال ذهنها مشغولًا، وكان المنزل خاليًا، فزوجها قد خرج، وكريم في درس ونوران مازالت بالجامعة، فاتجهت إلى غرفة ابنها لتغيير ملابسها، وكان قد نسي حاسبه الآلي مفتوحًا، فاتجهت إليه لتغلقه، وخطر لها أن تفتح حاسب زوجها لعلها تجد شيئًا يحل لها اللغز، فقد كانت تعرف أنه يترك موقع الدردشة مفتوحًا في جانب الشاشة، في أثناء اطلاعه على البورصة، فربما يكون قد نسي أن يغلقه.

obeikandl.com

أغلقت مشيرة باب الشقة بالمفتاح، وتركته بالقفل حتى لا يفاجئها زوجها أو ابنتها، وجلست إلى جهاز وحيد في غرفة السفرة، وفتحته ثم ضغطت على الأزرار لفتح الإنترنت، وابتسمت حينما فتحت صفحة الدردشة أتوماتيكيًا مع فتحها إياها، وبدأت حملة التفتيش، وللمرة الثانية وجدت أصدقاء وصديقات مسجلة أسماؤهم، بعضهم تعرفهم وغيرهم الكثيرون لا تعرفهم ولم تسمع عنهم أبدًا، ثم لمحت اسم مطلقة أخيها من بينهم فتعجبت لاستمرار صلته بها، وأخذت تفكر إن كان هذا أيضًا تشابه أسماء، فضغطت على الزر فطالعتها صورتها مبتسمة، فشعرت بمعدتها تتقلب.. فما الذي يمكن أن يكون بينهما ليتحدثا.. لقد انقطعت صلتهما بها منذ زمن بعيد.. خاصة أنها لم يكن لها أولاد من أخيها الذي تزوج من جديد منذ سنوات.. بل إنها سمعت أنها قد تزوجت، ولكنها لم تسأل أبدًا بمن.. أتكون قد تزوجت من زوجها هي؟! أيكون ذلك معقولًا؟! ولكن لِمَ لا؟ لقد كان وحيد دائمًا يدافع عنها.. لا.. لا.. إنها تعرفه وتعرف عصبيته وكم من مرة رأتهما يتعاركان معًا.. لا.. لا تظن أنها تقبله زوجًا.. ولكن ماذا إن لم يكن عصبيًا معها هي؟ ماذا إن كان يحبها؟ وماذا سيكون رد فعل أخيها إن كان ذلك حقيقيًا؟! لابد أن تعرف الحقيقة.. لقد أصبحت على وشك الجنون..

وأخذت تقلب في الأسماء الأخرى وتتأمل الصور إن وجدت، وفجأة دخلت إحدى المسجلات على الإنترنت، وظهرت صورتها أسفل صفحة الدردشة، فتاة في الثلاثينيات بيضاء البشرة، وشعرها ذهبي واضح من تقاطيعها أنها أجنبية، ومكتوب تحت صورتها أن اسمها كارلا، واندهشت

فمنذ متى بدأ زوجها يعرف أجنبيات؟ فقررت أن ترد عليها بدلًا من زوجها فحيتها وأصابعها ترتعش، فردت عليها الفتاة ببساطة بأنها تفتقده جدًّا، فردت عليها مشيرة بأنها هي الأخرى تفتقدها، فذكرته بأيام شرم الشيخ وهي تسأل إن كان يريد أن يذهب معها في رحلة جميلة مثل رحلتهما السابقة.. فردت عليها مشيرة بالإيجاب وهي تريد أن تكسب ثقتها حتى تسألها عن تلك الرحلة، فسألتها عن أحوالها، فأجابتها تحكي لها عن عملها وأصدقائها، فسألتها مشيرة عن الرحلة كي تفهم أكثر.. وأخذت تقرأ ما تكتبه وعلامات الامتعاض تزداد على وجهها وهي تعرف المزيد عن رحلة الفتاة إلى مصر.. وعن الأيام التي قضتها مع زوجها في شمسها الجميلة ولياليها الصافية.. حتى وصلت إلى أنها تريد أن تراه مجددًا.. وفهمت مشيرة من الكلام أنها فتاة ألمانية قابلته في سفريته الأخيرة إلى شرم الشيخ، وتعجبت مشيرة وشعرت بالفضول يمزق أوصالها، فزوجها لم يسافر أبدًا إلى شرم الشيخ إلا وهي والأولاد بصحبته، وكان ذلك منذ أربع سنوات تقريبًا، أيكون قد قابلها وهم معه، لقد كان يتركها في الفندق كثيرًا، ولم تكن تدقق لتعرف أين يذهب، ولكن الفتاة الألمانية كانت تتحدث عن رحلة حديثة، فلابد أن تكون تلك السفرية قريبة، وأخذت مشيرة تعتصر ذهنها، ثم تذكرت أنه سافر لمدة خمسة أيام لدراسة فتح مكتب هندسي في الإسكندرية منذ شهر تقريبًا، أيكون قد ذهب إلى شرم الشيخ بدلًا من الإسكندرية؟ ولكن لماذا؟ ثم من كان معه؟

وسمعت مشيرة المفتاح يدور بالباب، فأغلقت الكمبيوتر بسرعة، ودق جرس الباب عاليًا، فهرولت إليه لتزيل المفتاح وتفتحه من الداخل،

والجرس يدق بلا انقطاع، وأخيرًا فتحت الباب فسألها زوجها بحدة:

- ما الموضوع لماذا لا يفتح المفتاح الباب؟

- كنت أجرب قفل الباب..

- ولماذا تركتِ المفتاح في القفل؟

- لقد نسيته..

فنظر إليها والشرر يتطاير من عينيه:

- ألم تفكري في أنني لن أستطيع أن أدخل للبيت والمفتاح في القفل.. لقد قضيت ساعة كاملة أنتظرك لتفتحي الباب..

- لقد كنت بالمطبخ وفتحت لك فور سماعي الجرس..

فرد عليها بغضب وكان أكثر ما يستفزه فيها هو هدوؤها وبرودها في الرد عليه:

- تغلقين الباب على نفسك وتجلسين في المطبخ.. أليس ذلك غريبًا بعض الشيء؟

- أغريبة أن أكون في المطبخ؟

- بل غريبة أن تتركي المفتاح في الباب..

ثم أضاف ساخرًا وهو يدير أصابعه إشارة إلى أنها مجنونة:

- عمومًا هذا ليس أغرب ما تفعلين.. فهذه الأيام تصرفاتك كلها غريبة..

تركته متجهة للمطبخ فتبعها وهو يسألها:

- أين الطعام؟

- بضع دقائق ويكون جاهزًا..

- ماذا هناك؟

- صينية مكرونة بالفرن ولحم بالفلفل والبصل..

- مرة ثانية! ألم يكن هذا طعام الأمس وأول أمس؟

- لم يأكل أحد بالبيت بالأمس، وصينية المكرونة تقريبًا سليمة.. واللحم كما هو..

فصاح بها:

- أنا لم آكل هنا بالأمس؛ لأن هذا الطعام من أول أمس يا مدام..

فردت عليه وقد نفد صبرها:

- أرجوك خفض صوتك، أيريحك أن ألقيه بالقمامة..

قامت وهمت بإلقاء الطعام في القمامة، فقال وهو يستشيط غضبًا:

- أترمين الطعام يا مفترية، وغيرك لا يجد ما يأكل؟

حدقت فيه وقالت:

- أنا لم أعد أعرف ما أفعل حتى لا تراني مخطئة..

- ألم تسمعي أبدًا عن إعداد الطعام يومًا بيوم بكميات صغيرة يا هانم؟! ولكن طبعًا أنتِ لست فاضية للمطبخ؟ أم أن أمك لم تعلمك

أن الطعـام يؤكل وهو طازج؟ طبعًا لا.. ففي بيت أهلك تأكلون الطعام بعد أسابيع..

- قلت لك بدلًا من المرة ألف..لا تقحم أهلي في مشاكلنا..

- وماذا أفعل وهم لم يعلموكِ كيف تكونين ست بيت.. ألم تتعلمي أبدًا كيف تسـعدين زوجك؟ انظري إلى نفسـك، هل هذا شكل امرأة؟ وما هذا الكرش المتدلي؟

وهنـا دق جرس الباب فتركت مشـيرة زوجها في المطبخ، يسـتكمل صياحه، وقد امتقع وجهها، وسالت دموعها على خدها، وهي تفكر إن كان صوته يصل إلى الجيران، وتسـأل نفسـها عما يعجب كل تلك النسـاء فيه، هـل يمكـن أن يتخيلوا أنه فـي بيته هكذا، أم أنه معهم إنسـان آخر غير ذلك الإنسـان الذي معها..؟ وهمت بفتح الباب، وهي تمسـح دموعها، وصوته لايـزال يلاحقها، فإذا بابنتها أمامها، ومعها مجموعة من أصدقائها، واحمر وجـه نـوران وهـي ترى أمهـا هكذا، وتسـمع صيـاح والدها مـن الداخل، وتسـمرت في مكانهـا لا تعرف كيف تتصـرف، بينما مشـيرة تحدق فيهم، وهي لا تصدق أنها نسيت تمامًا اتفاقها معها على أن تدعو للشاي زملاءها وزميلاتها من الجامعة، ومعهم طارق المعيد الذي حدثتها عنه، وعن رغبته في التقدم لها؛ لتتعرف به بشكل غير رسمي قبل أن تأتي أسرته لزيارتهم.

***

-14-

خرجت ريهام من البنك مسرعة لتلحق بعبد الرحمن، وكان اليوم هو الثالث على التوالي الذي لا يحدثها فيه، ويخرج من البنك بعد انتهاء العمل دون أن يأخذها معه أو يعرض عليها توصيلها، وهرول عبد الرحمن يعبر الشارع متجهًا لسيارته وهي وراءه تناديه، فنظر إليها بغضب قائلًا:

- ماذا تريدين؟

ردت عليه بصوت يملؤه الحيرة:

- أنا لا أعرف لماذا تعاملني هكذا..

- لو كنتِ حقًّا لا تعرفين فتلك مشكلة أكبر..

- أنا لم أفعل شيئًا..

- ليس هذا مكان ولا وقت مناقشة..

اختنق صوتها وهي تحاول أن تحبس دموعها وقالت:

- وماذا أفعل وأنتَ لا ترد على اتصالاتي.. ولا تتصل بي..

- اتركيني حتى أهدأ يا ريهام..

فردت عليه باستعطاف:

- لم يحدث شيء لكل هذا..

استدار إليها ونظر في عينيها بعينيه العميقتين:

- بل أنتِ وأنا نعرف ما حدث.

خفضت عينيها وهي نادمة بعض الشيء على دعوتها لـ د.هاني للفرح، ولكن بإصرار بألا تعترف بخطئها أمام عبد الرحمن، وهمست:

- أنا لا أعلم لماذا أنتَ غاضب هكذا؟ إنني أدعو الناس جميعًا إلى الفرح، فماذا لو دعوته وعائلته؟

رد عليها وهو يحاول ألا يعلو صوته:

- نحن ندعو أصدقاءنا وأقاربنا إلى الفرح وليس كل من هب ودب..

- بل ندعو معارفنا أيضًا، وقد دعوت أكثر من عميل..

نظر إليها والشرر يتطاير من عينيه:

- وهل هو من معارفك..؟

- إنه عميل ويأتي إلى البنك كثيرًا..

- أليس ذلك هو الرجل الذي نصب عليكِ وأخذ ألفي جنيه منكِ العام الماضي ولم يردها؟

شعرت ريهام أن الشارع كله بسياراته المتزاحمة قد تلاشى، وهمست وصوتها لا يكاد يخرج من فمها:

- نعم.. ولكن..

رد عليها بصوت مخيف:

- أنـا لـم أسـألك وقتها لمـاذا أعطيته النقـود.. ولكننـي الآن أريد أن أعرف..

شـعرت بآلام في معدتها، وبأن قدميها لم تعودا قادرتين على حملها، ثم نظرت إليه مستعطفة:

- أنا آسفة لأنني دعوته..

رد عليها بصوت أجش:

- ليس كافيًا أن تكوني آسفة.. أنا أريد أن أفهم ما بينك وبينه..

اغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

- ليس بيني وبينه أي شيء والله.. أنا لم أره منذ أن أعطيته المبلغ..

- بل قابلناه في المطار..

ردت عليه وقد بدأت تشعر بالظلم:

- لقد كانت مصادفة..

- لكنك وقفت لتتحدثي معه..

- لقد كنت أشتري العصير ..

- وهل كان العصير حلوًا..؟

فلما لم ترد أكمل كلامه قائلًا:

obeikandl.com

- لقد وقفت تحدثينه ربع ساعة كاملة..

- كان يسألني عن أخباري.. وأخبرته عن فرحنا..

- أي يطمئن ليعرف إن كان عندك استعداد لعلاقة أم لا..

- لقد عاملني بمنتهى الاحترام.

- طبعًا ألا تعطينه نقودًا؟

صمتت وهي لا تعلم بمَ ترد.. فأضاف:

- من الغبي الذي يجد فتاة تسليه وتعطيه نقودًا.. ولا يستغل الفرصة..؟

فردت عليه بعينين دامعتين:

- لم أعطه نقودًا سوى مرة واحدة وكان لها ظروفها..

سألها وكأنه وجد ضالته:

- بالضبط أنا أريد أن أعرف هذه الظروف.. ألست الطرطور الذي سيتزوجك..؟

ردت عليه وهي تشعر بمرارة في حلقها:

- لم يكن لديه في حسابه سوى ثمانية آلاف جنيه، وكان لابد من تدبير ألفي جنيه كي يجدد خزان مياه العمارة حتى لا تقع على رؤوس سكانها..

- ولماذا لم يأخذ الفرق من السكان بدلًا من أخذه منكِ؟

- كان يريد أن يسدد جزءًا من الضرائب أيضًا..

- ومالك أنتِ بكل ذلك؟

ردت وقد احتبس صوتها:

- أتلومني على شيء حدث منذ عام، وقبل أن أعرفك؟

رد بصوت اختلط فيه اللوم بالغضب:

- بل ألومك على ضعفك أمامه..

- لست ضعيفة.. لقد كنتُ أدعوه كأي شخص آخر..

- لقد كنت أتابعك منذ أن دخل إلى البنك، ورأيت وجهك عندما رأيته..

- أنا قمت لأساعد نيهال لا أكثر..

صمت لحظة، ثم استطرد قائلًا:

- هل أعاد لكِ النقود التي أخذها؟

- لا، لم يأت إلى البنك منذ ذلك اليوم..

- ولِمَ لم تسأليه عنها عندما رأيته اليوم؟

- أُحرجت..

- فبدلًا من أن تسأليه عن النقود دعوتِه للفرح..

- كان يسألني عن أخبار الفرح فرأيت أن أجامله وأدعوه..

obeikandl.com

- ولـم تفتحي معه موضـوع النقود.. فيكفيكِ أن تسـأليه عن أخباره وعن أخبار بناته..

وأدار لها عبد الرحمن ظهره وركب سيارته وهو يقول:

- من فضلك يا ريهام حددي لي موعدًا مع والدك مساء غد.

ثم أدار موتور السيارة وابتعد مسرعًا، بينما وقفت ريهام على الرصيف متسمرة لا تستطيع الحراك وهي تشعر أن قلبها قد غاص في صدرها..

***

obeikandl.com

-15-

خـرج الأسـتاذ مصطفـى شـاكر والـد ريهـام من شـركة أوراسـكوم للإنشـاءات مهمومًا، يشـعر أنه قد كبر عشر سنوات أخرى، فقد كانت تلك هـي الشـركة الثالثة التي يذهب إليها في ذلك اليـوم ليبحث فيها عن وظيفة ويخبرونـه أنهـم سـيتصلون به وهـو على يقين مـن أنهم لن يفعلـوا، وكان مصطفـى شـاكر قد تقاعد منذ عدة سـنوات مـن وظيفته الأولى في شـركة مصـر العقاريـة بعـد أن تمت خصخصتهـا بعدة شـهور، فبالرغـم من حبه لعمله كان ما يحصل عليه قد تضاءل جدًّا بعد أن عكسـت الإدارة الجديدة الخسائر الحقيقية للشركة على المكافآت والحوافز الموزعة على العاملين بهـا، فبات مرتبه الذي كان يتعدى الأربعة آلاف جنيه كمدير عام للشـركة، لا يزيد على ثمانمائة وخمسـين جنيهًـا، مما اضطره والكثير من زملائه إلى طلـب المعاش المبكر للحصـول على مكافأة نهاية الخدمـة على أمل فتح مشروع صغير واستثمارها فيه.

وكانـت المكافأة التي حصل عليها تتعدى السـتين ألـف جنيه بقليل، فقـد حسـبتها الشـركة بمعدل شـهر ونصـف لكل سـنة عمـل، وكان فرحًا جدًّا بها في البداية، ولكن المشـكلة أنه اكتشـف بعد مرور الوقت أن إنشاء مشـروع صغير يتطلب أكثر من سـتين ألـف جنيه كثيـرًا، وأن الوصول إلى اتفاق شراكة مع أصدقائه صعب جدًّا خاصة أن كلا منهم له تفكير مختلف

تمامًا.. وبدأ شعور بالاضطراب والقلق يتسلل إلى نفسه، ضاعفه إنفاقه لعشرة آلاف جنيه من المكافأة بالإضافة إلى المتبقي من مدخراته السابقة في جهاز ريهام، فبات يشعر أن المكافأة تتناقص وهو لا يجد مشروعًا، وكان يشعر أنه لا يزال نشيطًا وقادرًا على العطاء، فبدأ يقضي معظم وقته في البحث عن وظيفة خالية تناسبه ولكن للأسف بلا جدوى.

وكان مصطفى قد اتفق مع مجموعة من أصدقائه من الشركة والذين أحيلوا إلى المعاش معه على موعد لمناقشة المشكلة في الساعة الخامسة في أحد مقاهي الزمالك، وكانت الساعة لم تتجاوز الرابعة، فقرر أن يقضي بعض الوقت في النادي ليأكل شيئًا خفيفًا ويشرب الشاي حتى يقترب الميعاد.

ولم يكن قد دخل النادي منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا، ومنذ أن كان أولاده صغارًا، وكانت الشمس دافئة والهواء منعشًا جميلًا، فأخذ يتجول في حدائق النادي المختلفة وهو يتأمل الأماكن الجديدة التي نشأت؛ لينتقي مكانًا يجلس فيه، وهو يشعر بألفة لم يكن يتوقعها بعد كل تلك السنوات، وأخيرًا وجد ضالته، فقد وجد شرفة صغيرة خارج قاعة لعب الطاولة، يجلس فيها العديد من الرجال القريبين من سنه تعرف من بينهم على مذيع شهير، وجلس على مقربة منهم وحده يقتل الوقت بشرب الشاي وقراءة جريدة قديمة وجدها على المائدة، وكانت أول مرة يجلس فيها في هذا المكان، فكان في الماضي عندما يمر عليه لا يكاد يراه، فكان جميع من فيه من كبار السن يجلسون بالساعات يقتلون الوقت بتأمل

المارة، وابتسم ساخرًا وقد أدرك أن حاله قد أصبح من حالهم.

وترامى إلى أذنيه حديث مجموعة من الرجال يجلسون حول أقرب الموائد إليه بلا قصد، فقد كانت أصواتهم عالية، وضحكاتهم أعلى، وسمعهم يتحدثون عن أحوال البلد والسياسة ويناقشون الإصلاحات الممكنة، وكل منهم يرى أنه الأكثر علمًا بالأمور، وبأنهم لو أعطوه فرصة لاختلفت الدنيا تمامًا، وكان أحدهم وهو أسمنهم يتحدث بحماس كأنه سيقوم وينفذ كل تلك السياسات في التو واللحظة، ابتسم وهو يتأملهم، وود لو كان يعرفهم ويشاركهم الحديث، بالرغم من أنه كان متأكدًا أنهم لن يستطيعوا فعل أي شيء أبدًا، وأن كل أفكارهم وخبراتهم الطويلة حتمًا ستضيع بلا فائدة، كان على الأقل سيضيع وقته معهم.

وأخيرًا اتصل به فهمي صديقه، أحد مديري العموم السابقين لشركة إيجوث القابضة يخبره بتغيير مكان اللقاء، فسأله عن سبب التغيير فأجابه:

- المقهى الذي اتفقنا عليه ليس به تليفزيون، واليوم مباراة الأهلي، وقد اقترح زهير أن نشاهدها معًا في مطعم صغير اسمه ((ثمانية وثمانين)).

رد عليه وقد اقتضب بعض الشيء للتغيير:

- أنا في النادي أهو قريب من هنا؟

- نعم.. نعم وسيعجبك جدًّا..

- لا أعلم.. لم أذهب إليه من قبل.

- تعالَ نشاهد المباراة، ثم نذهب إلى أي مكان تريده.

- حسنًا.. سأحضر، هل وصل الجميع..؟

- كلنا هنا منذ الساعة واحدة.. وأنا متأكد أن المكان سيعجبك..

شعر مصطفى شاكر ببعض الضيق وصديقه يصف له المكان، فلم يكن يحب التغيير أو الذهاب إلى أماكن لا يعرفها، ثم كيف يتحدثون عن عمل وهم يشاهدون مباراة كرة قدم، لابد أنهم سينشغلون بها، ولكن لم يكن لديه شيء آخر يفعله على أي حال، إنه منذ الإحالة على المعاش وهو يحاول قتل الوقت بأية طريقة.

قام مصطفى ليقابل أصدقاءه، ففوجئ بمجموعة الرجال القريبة تحييه، فحياهم مودعًا، وقد انتابه شعور بأنه يعرفهم من زمن، وقرر أن يأتي في اليوم التالي فربما يستطيع أن يجلس معهم ويشاركهم الحديث، وسار متمهلًا عبر حديقة الشاي والبرجولا، ثم فوجئ بهشام ابنه يجلس مع نيهال زميلة ريهام ابنته في البنك، في إحدى الموائد النائية، وهما مشغولان تمامًا بحديثهما عن جميع من حولهما، فابتسم ابتسامة كبيرة وهو يتذكر جولفيدان زوجته ثم حدث نفسه قائلًا:

- الظاهر يا جولفيدان أن أمانيك جميعًا ستتحقق عما قريب، ففرح ريهام باقٍ عليه أيام، وها هو فرح هشام في الطريق!

وصل مصطفى إلى المكان الذي وصفه له صديقه في غضون دقائق، فكانت الساعة الخامسة والنصف والشوارع قد خلت من زحام سيارات المدارس والخارجين من السفارات والبنوك، وكان قد مر على هذا الباب

الخشبي الداكن المزين بالحديد الأسود، والزجاج المزركش، مئات المرات ولكنه لم يلحظه، فقد كان دائمًا مغلقًا، وظن أن لا أحد يدخله أبدًا، فاندهش لاختيارهم ذلك المكان بالتحديد، إلى أن دخله ففوجئ بأنه ممتلئ عن آخره، حتى إنك لا تجد مكانًا تجلس فيه.

وأدرك على الفور أن المكان أشبه بحانة من كونه مطعمًا، فشعر بشيء من الحنق، واندهش فلم يكن يعرف أن هناك حانات تعمل بالنهار أيضًا، ولكنه دخل، وكان جو المكان معتمًا والدخان كثيفًا، وأصوات الضحكات عالية، فتلفت إلى اليمين واليسار محاولًا تحديد مكان أصدقائه، فوجدهم يجلسون إلى آخر مائدة في الداخل، بجوار التليفزيون منهمكين في مشاهدة المباراة حتى إنهم لم يلحظوا دخوله، فاخترق الجموع الواقفة أمام الشاشة حتى وصل إليهم، وكان معظم الموجودين رجالًا يتعدى سنهم الخمسين، وبعض الشباب والقليل جدًّا من النساء.

وحيَّاه فهمي حين رآه فأخذه بالحضن ودعاه إلى الجلوس إلى جواره، وكان معه مدير التسويق السابق في شركته، والوحيد الذي استطاع أن يحصل على وظيفة في القطاع الخاص، وإلى يساره مدير قسم الحسابات الأسبق، بالإضافة إلى شقيق الأستاذ فهمي عميد الجيش الذي أحيل إلى المعاش هو الآخر منذ شهرين تقريبًا.

حيَّا الجميع وجلس إلى جوارهم سعيدًا برؤياهم؛ حيث لم ير معظمهم منذ أن ترك العمل في الشركة، فسأله فهمي عما يريد أن يشربه فأجابه بأنه يفضل عصير الليمون، فترنح الأستاذ فهمي ضاحكًا فاهتز

بطنه الكبير، ولكنه طلبه له، وأكمل شرب كوب الفودكا بالبرتقال في يده والتفت للمباراة، وكان فريق الإسماعيلي قد أحرز هدفًا ضد الأهلي مما ترك النادي الأهلي في موقف عصيب، ربما يفقده كأس مصر.

صمت مصطفى شاكر قليلًا حتى يتعرف على الجو، ثم شعر أنه لا يريد أن يضيع الوقت، فحاول أن يفتح موضوع المشروع معهم، ولكن المباراة كانت عصيبة والكل يشاهدها فلم يشاركه الحديث أحد، بل رد عليه مدير الحسابات الأسبق وهو مستغرق في المشاهدة:

- اشرب اشرب وسنتحدث بعد المباراة..

ولم يكن مصطفى يحب مشاهدة كرة القدم كثيرًا، فأخذ يتأمل الموجودين في المكان، وكان معظمهم يعرفون بعضهم بعضًا، ومعظمهم يحمل في أيديهم كؤوسًا وأكوابًا، وكانت أقرب مائدة إليهم تضم خمسة أو ستة رجال في مثل سنهم منهمكين هم الآخرين في مشاهدة المباراة، ومع أحدهم فتاة في العشرين من عمرها يقبلها ويحتضنها من وقت لآخر، وهو يصيح بصوت عالٍ ويصفق مع الباقين على اللعبة الحلوة، ولمح في الركن البعيد فتاتين لا يتعدى عمرهما سبعة عشر أو ثمانية عشر عامًا تجلسان مع رجلين يبدو أنهما في الأربعينيات وهما تدخنان وترن ضحكاتهما من وقت لآخر، وتعجب ما الذي جاء بالفتاتين هنا..؟ وأين أهلهما..؟ أما المائدة الملاصقة لهم فجلست عليها سيدة في الخمسينيات مع ثلاثة رجال منهمكين في المباراة بينما تغازل هي شابًا في الثلاثينيات في المائدة المجاورة، ثم وقعت عيناه على مائدة أخرى قريبة من النافذة جلست عليها

ثلاث سيدات أنيقات إحداهن أجنبية، بدا عليهن أنهن سيدات عاملات في شركة أجنبية أو سفارة تأكلن طعام الغداء مع النبيذ الأحمر، وبعد قليل أدرك أنه تقريبًا الرجل الوحيد الذي لا يشاهد المباراة، فأخذ يحاول متابعتها والتركيز فيها هو الآخر في محاولة لمجاراة الجو من حوله.

وأخيرًا انتهت المباراة فالتفت إليه الأستاذ فهمي وانتقل إلى جواره وهو يحييه ويهنئه على أنه جاء، فرد عليه مصطفى:

- أنا أيضًا مسرور لرؤياكم.. فمنذ أن تركنا الشركة لم نتقابل أبدًا.

فأجابه الأستاذ فهمي:

- أنتَ الذي اختفيت، كلنا على اتصال..

- أبدًا انشغلت في البحث عن وظيفة وزواج ابنتي.. صحيح سأنتظركم الأسبوع القادم في الفرح بإذن الله، سآتي بالدعوات من السيارة حالًا..

- لا لزوم الآن اتركها حتى نخرج.. والله زمان يا حبيبي..

- أهلًا بك يا فهمي.. أنتَ لا تتصور كم أوحشتني أيام الشركة..

- الحمد لله أنك تذكرتنا.. لقد اشتقنا لجلستنا معًا كثيرًا.. أقلت إنك تفكر في إنشاء مشروع..

- أنا أحاول.. ولكن لابد أن نناقش الموقف، فنحن جميعًا ظروفنا واحدة..

فأجابه مدير الحسابات الأسبق وهو يرمق سيدة جميلة تقترب وتجلس في المائدة المجاورة:

- أنا شخصيًا أرحت رأسي وأجرت شقتي في القاهرة واشتريت شقة في شرم الشيخ، وأعيش بجوار البحر.. ولا أعود لزحام القاهرة إلا يومًا واحدًا فقط كل أسبوع.

فأضاف عميد الشرطة الأسبق:

- ليلتقي بنا طبعًا..

لمعت عينا الأستاذ فهمي وقال:

- أتصدق أنك أجدع واحد فينا.. والله فكرة تحفة..

رد الأستاذ مدير الحسابات الأسبق وهو يبتسم للسيدة القريبة:

- لقد أحالونا للمعاش لأنهم لا يريدون عملنا.. فلماذا لا نتقبل الفكرة..؟

أضاف عميد الشرطة الأسبق:

- الصغار يحكمون والكبار يتفرجون..

رد عليه الأستاذ فهمي وقد رفع كأسه:

- بل أحالونا للمعاش كي نستمتع بحياتنا.. فلنستمتع..

وغرق في الضحك، فأكد مدير الحسابات الأسبق كلامه قائلًا:

- بالضبط يا فهمي هذا ما قلته لنفسي..

obeikandl.com

سأله مصطفى باستنكار:

- ولكن كيف تقضي وقتك؟ ألا تمل؟

- في بعض الأحيان أذهب للبحر وأحيانًا أؤجر مركبًا وأخرج للصيد.. والأيام تمضي..

وصمت برهة ثم أضاف وقد اتسعت ابتسامته بعد أن بادلته السيدة الابتسام:

- تعال معي للصيد مرة.. ستستمتع جدا.. نحن نقضي يومين على الأقل في البحر، نأكل فيها السمك من البحر للمائدة.. ونعود بسمك يكفينا أسبوعًا على الأقل..

رد مصطفى باهتمام:

- أنا لم أجرب أبدًا مثل هذه الرحلات.. ولكنني سمعت عنها..

فتمتم فهمي:

- هذا ما يريدون منا.. أن نتعلم أشياء جديدة ونكتسب خبرات جديدة.. ونرى ما لم نره..

ثم أضاف ضاحكًا:

- وننسى ما تعلمناه طوال عمرنا.. فلا نعلمه لأحد..

فتدخل مدير التسويق الأسبق وهو يحاول أن يعيد مجرى الكلام للمشاريع:

obeikandi.com

– أنا مثلك يا مصطفى.. أردت أن أنشئ مشروعًا.. وفكرت فعلًا في إنشاء شركة مقاولات، ولكنني لم أستطع..

– لماذا؟

– لست مهندسًا ولا لي خبرة في مثل هذا المجال، ولم أعرف من أين أبدأ.. أو من أين أحصل على عمال أو مهندسين جيدين.. وحتى لو حصلت عليهم عن طريق معارف أو إعلان.. فمن أين أضمن الحصول على زبائن يثقون بي ويكلفونني بالمقاولات، وليس لي تاريخ في هذا المجال..

سأله الأستاذ مصطفى:

– ولِمَ لا تفكر في شراء أرض، وبنائها ثم بيعها..

رد عليه:

– أولًا المكافأة لن تكفي كل ذلك.. وحتى إن شاركت أحدًا.. فمن يضمن لنا أننا سنجد من يشتري ما نبني حتى نسترجع أموالنا.. ألا ترى ظروف البلد..

رد عميد الشرطة الأسبق:

– يا جماعة المشكلة أن المكافأة التي أعطوها لنا لا تكفي لإنشاء مشروع آمن ومعقول..

قال الأستاذ فهمي ضاحكًا:

– إلا لو قررت أن تشتري تاكسي وتعمل عليه سائقًا..

أجاب مدير التسويق بشركته بحماس:

- والله فكرت أفعل ذلك.. فقد اشترى ثلاثة من زملائي تاكسيات، يطوفون بها حول المدينة طوال اليوم، ويكسبون ما يكسبون.. وينامون في الليل مرتاحي البال.

استنكر مصطفى اقتراحه قائلًا:

- أبعد أن كنت مديرًا عامًّا أصبح سائق تاكسي؟

رد عميد الشرطة الأسبق:

- لابد أن نحاول إيجاد وظائف في شركات قطاع خاص..

تمتم مصطفى بصوت منخفض:

- وأين هذه الشركات؟ إنهم جميعًا يفضلون صغار السن..

رد عليه مدير التسويق الأسبق في الشركة:

- أنا حاولت أعمل في القطاع الخاص مدير تسويق بمرتب كبير، ولكن لا أنا أعجبتهم ولا هم أعجبوني، فالعمل في القطاع الخاص مختلف تمامًا عن القطاع العام..

رد مدير الحسابات الأسبق وهو يرفع كأسه لشفتيه وعيناه على السيدة يتابعها:

- ألم أقل لكم؟! الحل في أن نتقبل الأمر الواقع.. ونستمتع بالحياة بدلًا من حمل الهم والتفكير..

لمعت عينا مدير التسويق الأسبق في الشركة وقال:

obeikandl.com

- أنـا أفكر في فتح مطعم.. مشـاريع الطعام هي المشـاريع الوحيدة المضمون نجاحها..

سأله عميد الشرطة الأسبق:

- ألديك مكان تقيم فيه المشروع؟

- نستطيع أن نؤجر مكانًا..

أخذ مدير الحسابات الأسبق نفسًا عميقًا من سيجاره ونفخه في اتجاه المائدة المجاورة، وقال:

- أين وبِكَمْ ولأي نوع من الطعام؟

فأجابه مدير التسويق:

- أي نوع.. ممكن مطعم لبناني أو حتى صيني..

فقال مدير الحسابات الأسبق وقد بدأ يتحمس:

- تعالوا افتحوا مطعمًا عندنا في شرم الشيخ.. على الأقل ستجدون زبائن..

هز مصطفى رأسه بيأس وسأله:

- هذا كلام غير عملي.. كيف نتابعه ونحن هنا؟

فرد مدير الحسابات الأسبق وهو يغمز للسيدة:

- تعالوا اسكنوا معي..

ثم التفت إليهم وأضاف:

obeikandl.com

- والله ستشعرون أنكم صغرتم على الأقل عشرين سنة!

رد عليه الأستاذ مصطفى:

- ونترك عائلاتنا؟

- عودوا إليهم في الإجازات..

- وباقي الوقت..؟

فرد عليهم وهو يتابع السيدة وهي تتحدث إلى النادل:

- اعتبروا أنفسكم ذهبتم للخليج العربي بعقد عمل..

رد الأستاذ فهمي:

- يا عم أنتَ مازلت شابًّا.. في الأربعينيات، تستطيع أن تعيش في أي مكان.. أما نحن فجميعنا تخطينا الخمسين.

فأضاف أخو الأستاذ فهمي عميد الشرطة الأسبق موافقًا:

- فعلًا هو ظروفه مختلفة تمامًا.. طلق زوجته وسافرت هي إلى بلدها.. أما نحن فلدينا أسرنا وأولادنا.. يعني باختصار كبرنا على الشحططة دي..

فسألهم مصطفى:

- ولمَ لا نفتح مطعمًا معًا هنا في القاهرة؟

سكب أخو الأستاذ فهمي مزيدًا من الشراب في كوبه وقال:

- المشكلة ليست في المكان.. المشكلة في الخبرة في هذا المجال..

ضحك الأستاذ فهمي قائلًا:

- نحضر مديرًا، ونعطيه أموالنا كي يدير لنا المحل!

رد مدير التسويق الأسبق في الشركة:

- إن إدارة مطعم ليست صعبة، أي واحد منا يستطيع ذلك.. كل واحد فينا كان يدير عشرات الموظفين وبعضنا كان يدير المئات..

أجابه مدير الحسابات الأسبق وهو يمد يده ليأخذ قطعة جبن:

- ولكن المطعم به أصناف طعام وقوائم غداء وعشاء وتعاملات مع وزارة الصحة وطباخون وموردون.

شرح لهم مدير التسويق الأسبق في الشركة فكرته قائلًا:

- بل الموضوع أبسط من ذلك كثيرًا، ممكن ننشئ كافيه يقدم مشروبات وشيشة ونأتي بطباخ محترف للوجبات الخفيفة..

فعقب مصطفى:

- إنها فكرة جيدة.. ولكن افترض أن شبابًا صغارًا جاء لتدخين الشيشة.. أنتركهم يفعلون ذلك وهم مثل أولادنا؟

فرد مدير التسويق الأسبق في الشركة قائلًا:

- نحن لن نصلح الكون أو نربي الشباب.. اترك ذلك لأهلهم..

obeikandl.com

قاطعه أخو الأستاذ فهمي قائلًا:

- ما رأيكم أن ننشئ مطعم فول وطعمية صغيرًا؟ لن يتطلب ذلك المشروع استثمارًا كبيرًا.. وفي نفس الوقت البضاعة المباعة رخيصة، وستسوق نفسها بسهولة..

أضاف مدير الحسابات الأسبق وقد راقت له الفكرة:

- والله فكرة.. فنصف سكان مصر يعتمدون على الفول الآن كوجبة رئيسية.. عندك عمال وطلبة مدارس وعزاب ومطلقون..

رد فهمي ضاحكًا:

- أتريد أن تقول لنا إنك تعتمد على الفول والطعمية في غذائك؟ لا طبيخ على الإطلاق؟

رد مدير الحسابات بصوت عال حاول أن يصل إلى المائدة القريبة:

- ليس لديَّ من يطبخ لي.. أحيانًا قليلة أطبخ لنفسي..

ثم خفض صوته وقال:

- أما باقي الوقت فإما آكل وجبات جاهزة أو تونة أو فول وطعمية..

فابتسم فهمي وقال:

- أتصدق أنا كنت أحسدك على عزوبيتك.. لا بيت ولا هم.. أما الآن فلا يا عم.. على الأقل أجد من يعد لي طعامي ويغسل لي ملابسي..

obeikandl.com

فأضاف أخوه ضاحكًا:

- ومجانًا كمان..

قامت السيدة الجالسة في المائدة القريبة متجهة إلى الحمام، وكان مدير الحسابات الأسبق مازال يتابعها بعينيه، فقام واقفًا، واستأذنهم ليذهب للحمام هو الآخر، فعقب فهمي وقد غرق في الضحك:

- ولو أن العزوبية لها بعض المزايا برضه!!

شعر مصطفى باختناق لا يعلم سببه، نظر في ساعته، فوجدها قد تجاوزت الثامنة بقليل، فتذكر موعده مع عبد الرحمن خطيب ابنته ريهام، وكان قد بقي عليه ما يقرب من ساعة، فقد اتفقا بالأمس على أن يزورهم الليلة لمناقشة موضوع مهم على حد تعبيره معه ومع ابنته، فقرر أن يترك أصدقاءه ويعود إلى منزله.. والتفت إليهم قائلًا:

- عمومًا فليفكر كل منا في الموضوع ولنتقابل مرة أخرى لنناقشه..

رد عليه مدير التسويق الأسبق للشركة:

- ها أنتَ قد عرفت مكاننا.. نحن هنا كل يوم اثنين من الساعة الخامسة للتاسعة مساءً..

أجابه مصطفى وهو لا يريد أن يأتي إلى هذا المكان مرة أخرى:

- عمومًا سأتصل بكم ونحدد موعدًا..

قام ليسلم عليهم، وقد سيطر عليه الإحباط، بعد أن أدرك أن زمن المشاريع والعمل قد ولى.. وحاول الأستاذ فهمي صديقه استبقاءه على

الأقـل حتى يكمل شـرابه، ولكنـه اعتذر له في لطف، واسـتدار وعينه على باب الخروج الخشـبي، يريـد أن يهرب من هذا المـكان.. وفتح الباب من جديد ودخل شـاب طويل خمري اللون شعره ناعم وقد تأبطت ذراعه فتاة رائعة الجمال أدارت رؤوس كل الموجودين بلا اسـتثناء، بشعرها الأصفر الغجري وفسـتانها الضيق القصيـر، فقد كانت وجهًا جديـدًا على المحل، ونمطًا جديدًا من الفتيات بالمقارنة بالنسـاء القليلات الموجودات واللاتي تعـدى معظمهن الخمسـينيات، ودقق مصطفى في وجه الرجـل أكثر، فقد بـدا لـه مألوفًا، لقد رآه من قبـل، ولكنه لا يتذكر أين؟ أيكون زميلًا لهشـام، لا.. لا يظـن؛ فسـنُّه أكبر قليلًا، أيكون موظفًا في شـركته السـابقة ولكن ما الذي يأتي بموظف صغير كهذا هنا.. إنه لم يعد يعلم ما أصابه هذه الأيام.. أهي بدايات مرض الزهايمر..؟ لقد سـمع به كثيرًا.. وهو منذ أن أحيل إلى المعاش.. وهو كلما سـمع عن مرض شـعر به يهاجمه.. حتى لو أكدت له التحاليل عكس ذلك.. ولكن لا لن يستسـلم لذلك الوسـواس.. إنه يتذكر هذا الوجه جيدًا.. ولكنه لا يستطيع تحديد من يكون.. نعم.. لقد تذكر.. إنه الأسـتاذ رامي الرئيس المباشـر لابنته في البنك، لقد حضر فرحه منذ وقت ليـس ببعيد مع ريهام، وأخـذ يعتصر ذهنه فعادت إليـه الرؤية كاملة، تذكره عريسًـا أنيقًا مبتسـمًا وإلى جواره نادية صديقة ريهام تكاد تطير من الفرحة، ولكـن من هذه التي معه؟ إنها ليسـت زوجته التي حضر فرحها مع ريهام.. نعم.. بالتأكيد ليست نادية ابنة الأستاذ شريف.. إنه يعرف نادية جيدًا.. فمن تكون هذه الفاتنة؟

***

-16-

جلست مدام مشيرة إلى مكتبها في البنك شاردة تفكر في زوجها وكيف تستطيع معرفة ما وراءه وما يفعل، فخطر لها خاطر راق لها كثيرًا.. لماذا لا تحاول الحديث معه كامرأة أخرى على شبكة الإنترنت، وأعجبتها الفكرة فكان زوجها بالتأكيد يجلس على الإنترنت الآن، ففتحت الكمبيوتر، وفتحت الدردشة وأنشأت سجلًا باسم جميلة اللذيذة، كتبت فيه أنها فتاة مغربية سنها واحد وعشرون عامًا، ثم أرسلت لعنوانه الذي رأته في حاسبه رسالة تطلب التعرف عليه وتركت بريدها مفتوحًا لعلها تستقبل ردًّا.

وناداها الأستاذ شريف وطلب منها كتابة بضع رسائل لبعض العملاء، فأخذت تكتبها وعينها على البريد الإلكتروني، تفحصه من وقت لآخر لتتأكد إن كان قد وصلها رد، وأخيرًا أشار لها الجهاز أنها قد استقبلت رسالة ففتحتها وصدق حدسها فكانت من زوجها يسألها : من هي؟ ويطلب منها أن تتحدث معه بعد ساعة على موقع الدردشة، ونظرت إلى ساعة الحائط فوجدتها الثانية عشرة فعرفت أنه يريد الدردشة معها بعد انتهاء عمل البورصة، فأكملت عملها سريعًا، وفتحت الموقع في الميعاد.

ودق قلبها بعنف وزوجها يرد لها التحية ثم يسألها عن سنها، ففكرت قليلًا ثم أجابته بأنها قد أتمت واحدًا وعشرين عامًا في الشهر الماضي،

فرد عليها بأن هذا هو بالضبط السن الذي يحبه في المرأة، وسألها إن كانت لاتـزال فـي الجامعة فأجابته بأنها تدرس الفن التشـكيلي فـي باريس، فلما سـألها عن شـكلها، أخذت تصف له سـلمى حايك.. ودخلت عليها أماني صديقتها فأغلقت شاشـة الكمبيوتر بسـرعة، فلم تكـن تريد أن تخبرها أنها تشك في زوجها وأنها تتجسس عليه، فماذا ستظن بها لو عرفت.

وسألتها أماني بقلق:

- ماذا بكِ يا مشيرة لستِ على ما يرام هذه الأيام..؟

- ليس بي شيء يا أماني أنتِ تعلمين مشاكل الأولاد..

- ألا تريدين أن نذهب لتناول الغداء معًا..

- ليس لدي وقت اليوم فلابد أن أطبخ للأولاد..

سألتها أماني باهتمام واضح:

- عمومًا يا مشيرة لو كنتِ تريدين الحديث فأنا موجودة.

ردت عليها وقد بدا عليها الحزن:

- صدقيني ليس هناك شيء، مجرد ملل عادي.

سألتها باهتمام:

- أهناك مشكلة جديدة مع وحيد؟

أجابتها وهي تريد أن تغلق الموضوع:

- لا، أبدًا.. أنا فقط مرهقة من كثرة العمل..

ردت عليها أماني وهي تشعر أنها تخفي عنها شيئًا:

- أنا ذاهبة للنادي في المساء لأسير في التراك مع شيرين من الفرع الرئيسي، إذا أردت المجيء سيكون تغييرًا جيدًا بالنسبة لكِ..

ردت عليها مشيرة وهي تريد إنهاء الحديث حتى تستكمل ما بدأت:

- حسنًا ربما أجيء.. فأنا لا أتحرك على الإطلاق هذه الأيام، وأشعر أنني قد زدت خمسة كيلو على الأقل..

ابتسمت أماني وقامت وهي تقول:

- إذن اتفقنا أراكِ في المساء..

وما أن خرجت أماني حتى فتحت مشيرة الشاشة مرة أخرى وكان زوجها لايزال على الخط فكتبت:

- أمازلت هناك؟

فرد على الفور:

- نعم أين ذهبت..؟

- أبدًا زميلتي في السكشن كانت تريد المحاضرات، ماذا تفعل؟

- أتصفح الإنترنت لأتسلى، وأنتِ؟

- كنت أذاكر في الكافتريا وقررت أن أدخل على الإنترنت لأرتاح قليلًا..

- وكيف وصلتِ لاسمي.

obeikandl.com

- وجدتك على قائمة مشجعي نادي الزمالك في مصر.

- هل تعرفين نادي الزمالك؟

- طبعًا.. طبعًا حسن شحاتة وطه بصري..

- ياه أمازلت تتذكرينهم.. قلت لي كم سنة عندك؟

فأجابته مشيرة وقد شعرت أنه سيكشفها:

- واحد وعشرين.. ولكنني أحب أن أشاهد مباريات الكرة القديمة مع أبي.. فأبي لديه مكتبة رائعة بها أشهر المباريات من الدوري المصري ومن الدوري الإنجليزي بالإضافة إلى الدوري عندنا..

وكانت تعرف أنه من عاشقي نادي الزمالك، فأجابها في سعادة واضحة:

- أنا سعيد جدًّا أنكم تعرفون نادي الزمالك في المغرب وتشاهدون مبارياته..

- طبعًا.. إن مصر هي أصل الكرة في الوطن العربي.. نحن نعرف النادي الأهلي والخطيب طبعًا.. أنا على فكرة في الفريق النسائي لكرة القدم.

فرد عليها وحيد باهتمام:

- حقًّا.. أنتِ رياضية أيضًا..

- أنا أحب التنس جدًّا ألا تلعب أنتَ أي شيء؟

- لقد كنت ألعب الكرة بالماضي.. ولكنني توقفت عندما تزوجت..

وشعرت مشيرة أنها اقتربت من معرفة ما تريد فسألته:

- حقًّا هل أنتَ متزوج؟

فرد عليها:

- مطلق..

فوجئت مشيرة بالرد.. وأجابته بغيظ:

- إذن لابد أنك رجل شرير..

- لماذا تقولين ذلك؟

ردت عليه بغيظ:

- لم تستطع زوجتك أن تتحملك..

أجابها:

- بل أنا الذي تركتها..

سألته:

- لماذا ألم يكن لديك أموال تنفقها عليها؟

أجابها بفخر:

- إذا كنت تفكرين هكذا.. إذن سأقول لكِ الحقيقة، فأنا متزوج بدلًا من واحدة اثنتين..

obeikandl.com

واغرورقت عينا مشيرة.. وشعرت أنه لطمها على وجهها، فتوقفت عن الكتابة وأخذت تقرأ السطر مرات حتى تستطيع فهمه، وأخذ هو يسألها أين ذهبت.. فخافت أن يكشفها.. وأرادت أن تعرف باقي الحقيقة، فهي لو واجهته بما قال الآن حتمًا سينكر، ثم كيف تقول له إنها تتجسس عليه فوضعت يدها على أزرار الكمبيوتر، وبدأت الكتابة من جديد:

- معقول.. ولماذا تزوجت إن كنت ضد الزواج هكذا؟
- الكل يتزوج ليكوّن أسرة..
- إذن لماذا تزوجت من الثانية، ألم تكن لديك أسرة..
- نعم كان لدي أسرة.. ولكن زوجتي الأولى كانت عجوزًا كئيبة..
- حقًّا.. ما شكلها؟
- تستطيعين أن تقولي إنها مثل النسور.. بينما أنا أحب العصافير..
- لا أفهم ماذا تعني..
- أنا أحب الفتيات الرياضيات مثلك..
- إذن زوجتك الثانية رياضية..
- طبعًا إنها تلعب الجمباز.. أتلعبين الجمباز؟

فأجابته وهي تريد أن تجاريه كي يكمل الحديث معها:

- يمكن أن أتعلمه.. لماذا لا توصلني بها كي تنصحني كيف أبدأ التعلم..

obeikandl.com

- لا أظن أنها فكرة جيدة..

- لماذا ألا نستطيع أن نصبح جميعًا أصدقاء..

- لا.. لا.. ابعدي عنها أرجوكِ.. ثم إنها قد أصبحت كئيبة هي الأخرى..

- ماذا عن زوجتك الأولى.. أتلعب الجمباز أيضًا؟

رد عليها:

- إنك تسألين كثيرًا.. لماذا لا تحدثينني عن نفسك..

- ماذا تريد أن تعرف عني؟

- كيف تقضين وقتك؟

- في المذاكرة والرسم والخروج مع الأصدقاء..

- لماذا لا تزورينني في مصر؟

- وزوجاتك؟؟

- الاثنتان مشغولتان ويتركانني كل صباح وحدي.. أرجوكِ لا تذكريني بهما.. وحدثيني عن نفسك لماذا لا تبعثي لي صورتك؟

ردت عليه:

- ليست لدي صورة الآن.. ولكن ممكن أبعثها لك غدًا.. ولكن لابد أن أذهب فورًا فصديقتي قد وصلت.. سنذهب إلى السينما.. لو كنت هنا لدعوتك معنا..

obeikandl.com

رد عليها:

- أستذهبين وتتركينني وحدي أنتِ أيضًا..

- لن أتركك أبدًا..

رد عليها:

- هذا من حظي..

فبعثت له صورة كارتونية صغيرة لوجه أصفر مبتسم به عين تغمز:

- ما رأيك في أن تتزوجني أنا.. وتطلقهما هما الاثنتين؟

- لا ارحميني.. فقد حرمت..

ردت عليه:

- لا تخف لقد كنت أمزح معك.. زواج إيه بس.. أنا أعيش في المغرب ألا تتذكر؟

- ألم تقولي في باريس؟

وشعرت أنها أخطأت مرة ثانية، فكانت قد نسيت أنها قالت له إنها تدرس في باريس، وهنا دخل إلى مكتبها عميل يريد مقابلة الأستاذ شريف فودعت زوجها سريعًا، وكتبت أنها ستحدثه في نفس الميعاد في اليوم التالي، ثم قامت لتبلغ الأستاذ شريف بحضور العميل وهي تسأله عن اسمه للمرة الثالثة.. وذهنها غائب تمامًا، تفكر في زوجها وغرامياته.

***

obeikandl.com

-17-

استدعى الأستاذ شريف (هالة سمير) إلى مكتبه للمرة الثالثة في ذلك الأسبوع، فقامت وقد اعتراها شعور بعدم الارتياح.. وكانت هالة سعيدة جدًّا بمنحها فرصة العمل بالبنك فهي حتى وقت قريب لم تكن تحلم بها، فمرتبها المبدئي الذي أخبرها به مدير شئون العاملين كان ضعفي مرتبها في وظيفتها السابقة بالرغم من أنها لم تزل في فترة الاختبار، هذا بالإضافة إلى برستيج عملها في البنك، بدلًا من كاشيير في كافتريا، أما والدتها فكادت تطير فرحًا بوظيفتها الجديدة، فقد رفعت رأسها أخيرًا بين جيرانها، فيكفي أن مواعيد العمل الجديدة لم تعد تعطي أيًّا منهم فرصة للقيل والقال، ولكن الشيء الوحيد الذي كان يقلق هالة هو علاقتها بالأستاذ شريف مختار، فكان مدير الفرع والكل يهابه، وكانت تحترمه جدًّا، ولكنها لم تكن تعرف كيف تتعامل معه.. فلم تكن تشعر أنه مثل أبيها.. وشيء ما في نظرته جعلها لا تشعر أنه هو الآخر لا ينظر إليها كابنته كما كان دائمًا يؤكد..

وكان قد مر على تعيينها بالبنك عدة أسابيع ومازالت تتعرف على باقي الموظفين، حياة جديدة وزملاء جدد، وفرصة لتغيير كل ما عانته في الماضي، فكانت تقضي معظم وقتها مع ريهام تحاول أن تتعلم منها كل شيء بأسرع ما يمكن، كي تثبت جدارتها في أقل وقت.. ولكن ماذا تفعل

مع الأستاذ شـريف؟ هل تشجعه على علاقة لا تعرف نهايتها.. ولكن ربما تنقلها وأسرتها إلى طبقة أخرى تمامًا.. أم تكتفي بأنه أعطاها فرصة لتحقيق ذاتها وتكوين مسـتقبلها.. وتبتعد عنه حتى لو حاول هو التقرب إليها.. هي تعلـم جيـدًا أن هذه الأشـياء مثل المنحدر فـإذا لم يوقفها المـرء في البداية فلابد أن ينزلق ولا أحد يسـتطيع أن يتنبأ أين يصل.. أليس من الأفضل إذن أن تصـده حتى لا تتطور علاقتهما.. إن ضميرها أصبح يؤنبها كلما اقتربت منـه.. خاصة أنها الآن متأكدة أن له أسـرة وأولادًا.. ولكن كيف تبتعد وهو مديرهـا.. هـي بالتأكيد لا تسـتطيع أن تكـون فجة معه كمـا كانت تفعل مع زبائن الكافتريا، فهو الذي أتى بها إلى البنك، وهو الذي في يده أن يعينها أو يقـرر عدم صلاحيتها.. كما أنه لم يجرحها أو يتطاول عليها بأي شـكل من الأشكال.. بل كان دائمًا يتصرف معها بذوق شديد وبأدب جم فلا تستطيع إلا أن تعاملـه بالمثـل.. ولكن المشـكلة أنها لا تعرف كيـف تتعامل معه.. فاهتمامـه الزائد يشـعرها بالقلـق.. خاصة أنها هي نفسـها محتارة إن كانت تقترب منه أم تبتعد عنه.. ولكن ألا يمكن أن يكون هذا الاهتمام من منطلق أبوتـه المفرطـة.. ولكنها لم تر شـيئًا كهذا من قبل.. أيعقـل أن يكون هناك شخص يريد أن يخدمها ولا ينتظر منها مقابلًا..؟

واتجهـت هالـة إلى مكتب الأسـتاذ رامي زوج ابنة الأسـتاذ شـريف ورئيسـها المباشـر، تسـتأذنه لتذهـب إلى مكتـب المديـر العام، فـأذن لها بالذهاب، ولكنه سألها بشيء من الفضول:

- من أين عرفت الأستاذ شريف؟

ردت عليه وهي لا تريد أن تخبره بالحقيقة:

- لقد كان صديقًا مقربًا لعمي..

رد عليها وعيناه الثاقبتان تكادان تخترقان كيانها:

- أيعمل عمك في مجال البنوك؟

ردت عليه وهي تحاول أن تهرب من عينيه:

- لا، لقد كان صديقه من أيام المدرسة..

استدارت بسرعة حتى لا يسألها في أي مدرسة درسا.. واتجهت إلى الحمام كي تصلح من زينتها ومكياجها، قبل أن تصعد للدور الثاني وتذهب إلى مكتب الأستاذ شريف.

***

obeikandl.com

-18-

مر يومان ولم يأت الأستاذ عبد الرحمن لزيارة والد ريهام كما وعد، وكان قد اعتذر عن موعده معه في اليوم التالي الذي قابلته فيه، بالرغم من أنه هو الذي طلب تحديده؛ مما ترك لدى ريهام شعور إحباط وحيرة لم تعد تستطيع أن تتحملهما، ولكنها كانت قد قررت ألا تحاول محادثته مرة أخرى، فمنذ أن تركها في الشارع وركب سيارته، لم تعد تشعر أنه فارس الأحلام المثالي الذي كانت تتخيله، خاصة أنه بالرغم من عمله معها في نفس الفرع تفاداها تمامًا في الفترة الأخيرة، حتى إنها لم تلمحه، إلا وهو خارج من البنك مسرعًا يوم حاولت محادثته، ولكن اليوم بدأ شعور قلق خفي ينتابها، فلم يبق على الفرح سوى أيام قليلة، وهو لا يحدثها، ولا يقوم معها بالترتيبات الأخيرة، وشعرت أنها لم تعد تفهمه، ولا تعلم ما ينوي عليه، أمعقول أنه يفكر في إلغاء الفرح؟ ولكن ماذا فعلت من أجل كل هذا؟ كل ما فعلت هو أنها دعت د.هاني وعائلته إلى فرحها، فماذا في ذلك؟ أما النقود التي أقرضتها له فكانت في العام الماضي ولم تكن حتى تعرف عبد الرحمن وقتها.. إنها لم تخطئ.. وستتركه يدرك ذلك وحده.. ولن تعتذر له.. ولكن ماذا تفعل إن كان فعلًا يفكر في تركها؟ وماذا ستقول للناس؟ وكيف تبرر ما حدث لزملائها في البنك؟ بل ماذا ستقول لأهلها

وأقاربها؟ وشعرت أن لا شيء يساوي حيرتها وفقدانها عبد الرحمن.. إنها حتى لا تتذكر شكل هاني.. وحتى لو كان له تأثير عليها فهو شعور لحظي تجاه رجل محترف في التعامل مع النساء.. شعور لا معنى ولا أهمية له.. كم هي نادمة الآن.. لماذا فعلت ما فعلت.. عبد الرحمن عنده حق لماذا دعت ذلك الوغد.. كم كانت غبية..

دفعها شعورها بالشوق لخطيبها إلى الاتجاه إلى الكافيه المجاور للبنك وكانا كثيرًا ما يلتقيان فيه بعد أن شهد أول لقاء بينهما، فدخلته وأخذت عيناها تجوب أركانه تبحث عنه؛ على أمل أن يكون موجودًا بالصدفة، وهي لا تعترف بذلك حتى لنفسها، فلما لم تجده جلست إلى مائدة مستديرة في ركن بعيد وقد أصابها الإحباط، وأخذت تفكر فيما تفعله، كيف تواجه والديها بحقيقة تصرفاته معها في الأيام الأخيرة؟ إن والدتها ستصدم لو عرفت حقيقة ما يحدث، وأخوها الذي جاء من كندا خصيصًا لحضور فرحها ماذا تقول له؟ ودعوات الفرح التي وزعتها على الجميع؟ ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن ما يضايقها، إنها تفتقد عبد الرحمن، تفتقد نظرته العميقة وصوته الهادئ، ورأيه الصائب في كل الأمور، تريد أن تحدثه وأن تأخذ رأيه، أتحاول محادثته مرة أخرى؟ ولكن كيف وهو يرفض الحديث معها ويتفاداها.. إن لديها كرامة.. لن تحدثه وليكن ما يكون.. أليس الفرح فرحه هو الآخر.. فليلغه لو شاء..

أخذت تشرب النسكافيه الساخن وعيناها على الباب، تراقب جميع القادمين، فمن يدري ربما يأتي مع أحد زملائهم كما كان يفعل في بعض الأحيان.. هي لا تريد أن تحدثه، فقط تريد أن تراه.. وتمنت لو لم يكن

قـد حدث ما حدث.. كم تفتقده.. وتمنت لو كان معها الآن.. ثم ابتسـمت وهـي تتذكره وهو يقول لها كم جميل شـعرها يوم جـاءا هنا آخر مرة.. كانا يجلسان على تلك المائدة بجوار النافذة.. وشعرت بيده تلمسها بحنان.. كم تفتقده.. إنها تشـعر كأن بعضًا منها قد فُقد.. أخذه معه واختفى.. إنها حتى لا تحترم هاني.. ما أهميته كي يتسبب في مشكلة لها مع عبد الرحمن.. إنها الآن متأكدة أن تصرفها لم يكن سـوى مجرد رد فعل طبيعي لرؤية شـخص ربمـا كان لـه تأثير عليها فـي وقت ما.. ولكن لم يتعـد الأمر ذلك بأي حال مـن الأحـوال.. ثـم إن ذلك لم يكـن له صلـة بدعوتها له علـى الإطلاق.. وأحسـت بفجـوة عميقـة تجتاح حنايا صدرهـا.. فجـوة لا تملأها أحداث ولا أشخاص..

علت ضحكة فتاة في المائدة المجاورة وهي تداعب حبيبها، فنظرت إليها بحسرة ثم عادت لتحدق بالباب.. شعور بالوحدة القاتلة يخنقها حتى وهـي بين عشـرات النـاس.. آه لو تراه فقـط.. حتى لو لـم يتحدثا.. لمعت الشـمس بطغيانهـا في الخـارج فبدا لها جميـع الداخلين أشـباحًا.. ودخل أحدهـم من البـاب.. وكان فـي نفس طول وهيئـة عبدالرحمـن.. إنه هو.. ارتعشـت أطرافهـا، ودق قلبهـا، ومرت لحظات لم تسـتطع فيهـا أن تتبين ملامحه، ولكن هيهات.. ليس هو.. إنه رجل غريب اقترب منها ونظر إليها بابتسامة يحييها.. ولم تزل تحدق فيه.. ظن أنها تعرفه من قبل.. أو ربما أراد أن يتعـرف بها.. فاقترب منها وهو لا يـدرك أنها لم تعد قادرة حتى على رد تحيتـه.. نظرت إليه بعينين زائغتين، ولـم تنبس.. فلم يجد بدًّا من الابتعاد.. مـاذا تقول له؟! أتقول له إنهـا تبحث عن حبيبها في كل من تراه.. عن عينيه في عيونهم، وابتسامته في ابتساماتهم.. لا.. إنها لم تعد تستطيع تحمل هذا

الألم والانتظار.. لم تعد تطيق رؤية بشر ولا مسايرة أحداث.. ستعود إلى منزلها وتجلس في غرفتها ربما تجد عزاءً في الذكريات..

همت بالقيام وهي تنظر بيأس لباب الكافيه الزجاجي فوجدته قد فُتح من جديد.. وتسللت أشعة الشمس.. وبرفقتها عبد الرحمن.. وارتفعت نبضات قلبها.. حتى كادت تناديه.. فجلست وهي غير قادرة على الحراك.. نظرت إليه.. فالتقت عيناهما.. وملأت عينيها بعينيه.. ووقف هو لبرهة في مكانه.. وتعالت النبضات حتى خيل إليها أن كل من حولها يسمعونها.. وشعرت أن المكان تبخر وأن الزمن توقف ولم تعد ترى سواه.. وأحست بجناحين يرفرفان في قلبها، اتجه إليها.. فدبت الحياة في أوصالها وتحركت شفتاها.. أرادت أن تقول وتشرح الكثير ولكن الكلام ذاب.. وابتسمت.. فابتسم لها ابتسامة صغيرة وفي عينيه عتاب.. فشعرت أن الابتسامة هي الشيء الوحيد الذي يفتح القلوب المغلقة.. فاغرورقت عيناها بالدموع ووقفت.. فوقف أمامها.. فرفعت رأسها، وشعرت برائحته تسري في بدنها.. وتمنت لو تستطيع أن ترتمي في حضنه.. أن تغوص بوجهها في صدره.. أن يعتصرها بذراعيه الحانيتين.. ونظرت إليه بعينيها الدامعتين وقالت من أعماق قلبها:

- أنا آسفة..

فأمسك يدها بحنان وربت عليها قائلًا..

- أنا أيضًا آسف..

فأخذت الدموع تسيل على خديها وهي تشرح موقفها وتؤكد له أنها لم تقصد شيئًا، فمد يده ومسح لها دموعها وقال:

- لا تشرحي شيئًا فأنا أفهم كل شيء..

- لكنك كنتَ غاضبًا.. وأريد أن أشرح لك أنه ليس هناك مبرر لغضبك..

رد عليها بصوته العميق:

- لست غاضبًا الآن.. فيكفيني أنكِ جئت هنا تبحثين عني..

فهمست له من بين دموعها:

- لقد كنت مرتبكة ولا أفهم لماذا دعوته..

- أحيانًا يشعر الإنسان بأشياء لا معنى لها ولا يستطيع تفسيرها.. ولكن المهم هو تصرفاته.. وكيف يتعامل مع تلك الأحاسيس.. والأهم أن يكون مدركًا ألا معنى لها..

فخفضت رأسها وسالت الدموع على خديها من جديد، وهي تشعر أنه يعرف كل شيء في داخلها بلا حاجة لكلام.. رفع رأسها إليه، ونظر في عينيها وقال:

- أنا أحبك يا ريهام.. ألا تفهمين..

نظرت إليه بحب، وقالت:

- وأنا أيضًا أحبك ولم أحب غيرك أبدًا..

أمسك عبد الرحمن يدها وسارا في طريقهما معًا يقتلان الشوق بالكلمات..

***

obeikandi.com

-19-

خرجت مشيرة من البنك واتجهت إلى منزل والدتها، وهي تفكر طوال الطريق فيما تفعله، أتكمل مع زوجها الحديث على أنها فتاة مغربية لتعرف المزيد؟ أم تواجهه بما عرفت ويكفيها ما وصلت إليه من معلومات؟ ولكن ألا يمكن أن يكون مازحًا عندما قال لجميلة اللذيذة إنه متزوج من اثنتين؟ ولكن حتى لو كان مازحًا، فمن الواضح أن لديه عشرات الصداقات على الشبكة الإلكترونية، ومن الواضح أن ليست كل تلك الصداقات بريئة تمامًا، أما إن كان صادقًا ومتزوجًا من أخرى فكيف تواجهه بمعلوماتها دون دليل، أم تقول له إنها ادعت أنها فتاة مغربية وتجسست عليه؟ وأخذت الأسئلة تتلاحق في ذهنها وهي كالحاضر الغائب في حديث والدتها، وهي تضغط عليها كي تأكل المزيد من الحلويات.. وهي تأكل بنهم دون أن تنظر إليها أو تتذوق ما تأكل..

وأخيرًا هداها تفكيرها إلى أن الحل الوحيد لتعرف إن كان زوجها فعلًا متزوجًا من غيرها أن تتوجه لمأذون شرعي لتستعلم عن زوجها، وكانت والدتها آنذاك تحدثها عن التغييرات التي تنوي القيام بها في البيت، وتستشيرها في ألوان الدهانات، وتحدثها عن مرض أخيها خال مشيرة الأكبر، وعن ابنة خالتها الغاضبة من زوجها، وعن جارتها التي بدأت

بيزنيس طرح وعبايات مشغولة، ومشيرة شاردة تمامًا لا تركز فيما تقول، ولا ترد عليها، ووالدتها لا تيأس وتكمل حديثها، بينما كل ما تفكر فيه مشيرة هو كيف تصل إلى مأذون دون أن تثير شكوك من حولها، وأخيرًا سألت والدتها بعد أن انتهت من حديثها الأخير عن المسلسل التركي الجديد الذي تتابعه:

- ماما أتتذكرين المأذون الذي زوجني أنا ووحيد؟

- لقد تزوجتما من مدة طويلة وربما يكون قد اعتزل أو مات، لماذا تريدينه؟

- لا أبدًا.. إحدى صديقاتي تريد أن تزوج ابنتها وتبحث عن مأذون..

- ماشاء الله.. عقبال نوران نفرح بها.. أظن يا حبيبتي أن كل منطقة لها مأذون.. أين تسكن؟

- في المهندسين..

- أعتقد أن مأذون المهندسين في الكيت كات أو إمبابة..

- هل لابد أن يكون المأذون من نفس المنطقة كي يعقد الزواج؟

- لا أظن.. ولكن أعتقد أن ذلك يسهل الإجراءات.. من صديقتك هذه يا حبيبتي؟

قامت مشيرة وقبلت رأس والدتها واتجهت إلى الباب وهي تقول:

- لا تعرفينها يا ماما.. إنها معي في البنك.

obeikandl.com

حاولت والدتها اللحاق بها:

- انتظري يا مشيرة بابا على وشك المجيء، وأكيد يريد أن يراكِ..

- سأمر عليكما بعد غد..

- إذن أحضري الأولاد ووحيد معكِ لتتناولوا الغداء معنا، نحن لم نرهم منذ مدة طويلة.

- وحيد مشغول جدًّا هذه الأيام، ولكنني أعدك أن أحضر الأولاد..

- ربنا معه.. دائمًا مشغول.. أنا أعتقد أننا لم نره منذ رمضان الماضي..

ردت عليها مشيرة:

- أنتِ تعرفين يا أمي العمل الحر يتطلب مجهودًا ولا مواعيد له..

- ربنا يوفقه يا ابنتي.. أنا لا أفهم لماذا أنتِ متعجلة هكذا.. ادخلي يا مشيرة وانتظري معي حتى يأتي والدك..

- لا بد أن أذهب فالأولاد وحدهم..

ردت عليها والدتها وهي تريد أن تبقيها أطول وقت معها ولا تجد مفرًّا سوى الحديث على الباب:

- صحيح لم تقولي لي.. ما أخبار نوران؟ أهي سعيدة في الجامعة..

ردت بابتسامة دافئة:

- جـدًّا يا ماما.. لديها الكثير من الأصدقـاء والصديقات.. يذاكرون ويخرجون معًا..

ثم أضافت بابتسامة دافئة وعينين لامعتين:

- وربما تكون هناك أخبار مفرحة قريبًا جدًّا..

فردت والدتها وقد تهلل وجهها:

- ألف مبروك يا حبيبتي.. ادخلي ادخلي واحكي لي..

ردت مشيرة:

- مازال الموضوع مجرد كلام فلا تقولي لها شيئًا.. أرجوكِ، ولكنني سأحكي لكِ كل شيء بالهاتف فلديَّ موعد ولابد أن أتركك الآن..

ردت والدتها وهي لا تريد أن تتركها:

- كم تذكرني بك وأنتِ في سنها.. إنها تشبهك كثيرًا..

ردت عليها وهي تتنهد:

- لكنني أتمنى أن يكون حظها أفضل من حظي..

استدارت متجهة إلى السلم ووالدتها تلاحقها:

- وماله حظك يا مشيرة.. أهناك مشكلة بينك وبين وحيد؟

فطمأنتها وهي تبتسم:

- لا أبدًا يا أمي ألا تتمنى كل أم أن تكون ابنتها أفضل منها، وأسـعد حالًا؟

obeikandl.com

اطمأنت والدتها وردت عليها وهي تنظر إليها من فوق درابزين السلم:

- ربنا يسعد قلبك وقلبها يا حبيبتي، ويبعد عنكم أولاد الحرام..

خرجت مشيرة من العمارة مسرعة لتنفذ ما نوت عليه وتذهب إلى مأذون شرعي.. ولكن أين؟ لقد كانت ترى لافتات مأذون في بعض الأماكن ولكنها لا تتذكر أين، وأخيرًا فكرت في دليل التليفون فاتصلت به وسألته عن أقرب مأذون إلى حيث كانت، وأخذت العنوان، وتوجهت إليه.

كان مكتب المأذون الذي وصفه لها موظف الدليل في عمارة قديمة في أحد شوارع وسط المدينة، فركنت سيارتها وتأكدت من رقم العمارة، وأخذت تبحث عن لافتة المأذون فلما وجدتها اطمأنت أنها في العنوان الصحيح.

صعدت السلم الرخامي المظلم بخطى متثاقلة، وهي تحاول ألا تنظر إلى شبكات العناكب المتدلية من السقف العالي، وتفكر إن كان ما تقوم به صحيحًا، وعن رد فعل زوجها لو عرف ما تفعل.. وعن تصرفها لو كان ما تشك فيه صحيحًا، أمن الأفضل ألا تعرف؟ أتعود من حيث جاءت.. وتنسى الموضوع.. وتعيش كما كانت تعيش دائمًا.. خاصة أن ابنتها على وشك الخطبة؟ أهذا هو الوقت المناسب لكل هذا؟ أتكتفي بأنه يعود يوميًّا إلى بيتها وتحافظ على الشكل الاجتماعي مؤقتًا؟ بل هل ستستطيع أن تأخذ موقفًا منه لو ثبت أنه فعلًا تزوج؟ هل تخرب بيتها بيدها؟ وماذا

عن ابنتها.. أسيرضى بها عريسها لو عرف أن بيتها مفكك؟ أتجعلها تدفع ثمن أخطائهما؟ هل تواجه زوجها بما عرفت وتترك له فرصة الإنكار؟ هل تترك بيتها؟ وإن لم تتركه.. أليس من الأكرم لها حتى إن كان متزوجًا ألا تعرف؟ ألا يكون الجهل أحيانًا أرحم كثيرًا من المعرفة؟ واستدارت لتنزل السلم، فهي لم تعد تريد أن تعرف، ستغمض عينيها وتعيش كما عاشت العشرين سنة الماضية، كلٌّ في حاله ولكن على الأقل تكون إلى جانب أولادها، وتحافظ لهم على استقرارهم حتى آخر لحظة، وخرجت إلى الشارع، واتجهت إلى سيارتها، ولكن شيئًا ما جعلها تتوقف من جديد.. إنها تريد أن تعرف الحقيقة أيًّا كانت.. لم تعد تستطيع أن تعيش كما عاشت من قبل.. لابد أن تعرف كل شيء.. لن تحسب ما ستفعله.. أو تحاول التنبؤ به ستترك ذلك كله بعد أن تعرف الحقيقة..

وكان مكتب المأذون في الدور الثاني من العمارة، فدقت مشيرة بابه بتردد وقد تأكدت من الشقة بعد أن رأت اللافتة النحاسية في خارجها، مكتوبًا عليها:

عبد الحميد إمام

مأذون شرعي

ولم يفتح الباب فدقت الجرس من جديد وهي تتمنى في قرارة نفسها ألا يكون المأذون موجودًا أو ألا يفتح لها الباب، حتى تعود إلى منزلها وتنسى كل شيء، ولكن الباب فُتح، وتسلل ضوء النيون الأبيض من الغرفة إلى ردهة السلم المظلمة، وخرج لها شاب طويل يافع لا يبدو عليه أنه

مأذون، يسـألها عما تريد، فطلبت منه مقابلة المأذون، فأشار لها بالدخول، والانتظار على كنبة جلدية صغيرة بجوار الحائط المقابل للمكتب الخشبي العتيق الذي جلس وراءه، وانهمك في تدوين بعض السجلات.

أخذت تتأمل الغرفة من حولها وكانت غرفة صغيرة حوائطها مدهونة بلـون أزرق باهـت متآكل، معلقة عليها لوحة سـوداء قطيفـة كبيرة مكتوب عليهـا آيات قرآنية بالقصـب الذهبي يحيط بها برواز ذهبـي لامع، ويقابلها فـي الجهة الأخرى شـباك صغير مغلق، مزين بسـتارة رمادية متسـخة يبدو أنها كانت في الأصل بيضاء شـفافة، أما السقف فقد انتشرت فيه بقع ملحية كبيـرة إن كانـت تدل على شـيء، فعلى أن شـقة الدور الأعلـى تحتاج إلى عمليات سـباكة واسـعة النطاق، وكان المكتب كله يبدو مثـل صالة انتظار محام أو مكتب تمرجي في عيادة طبيب في حي شعبي..

ومرت الدقائق ثقيلة وهي تشـاور نفسـها إن كان من الأفضل أن تقوم وتعـود إلـى منزلها وتنسـى الموضوع كلـه أم لا.. وظلت كذلـك حتى رن جهاز الديكيتور فأشار لها السكرتير دون أن يرفع رأسه أن تدخل إلى الغرفة المجـاورة، ففتحـت الباب ودخلت.. وكانت تقـدم قدمًا وتؤخر الأخرى، ممزقـة تمامًـا بيـن أن تدخـل لتعـرف الحقيقة أم تعـود أدراجهـا من حيث جاءت.. ولم تجد في الغرفة سـوى شـاب صغير لا يتعـدى عمره الثلاثين عامًا، يجلس وأمامه شاشـة كمبيوتر يدخل عليها بعض البيانات، فتنفسـت الصعـداء لأن المـأذون ليـس موجـودًا وسـيتأجل الموضـوع، وتنحنحت لتلفت نظر الشاب الغارق في عمله، فالتفت إليها وسألته في خجل:

- أليس المأذون موجودًا اليوم؟

رد عليها بعدم اكتراث:

- وماذا تريدين من المأذون؟

أجابته بلهجة فيها شيء من الاعتراض على تدخله:

- الحقيقة أرغب في مقابلته في موضوع شخصي.

أغلق سجلًّا على الكمبيوتر والدفتر الكبير الموجود أمامه، ورد عليها:

- أنا المأذون.. ما الخدمة التي أستطيع أن أؤديها لكِ؟

نظرت مشيرة إلى شعره الأسود الكثيف، وقميصه الوردي، وعلبة السجائر الملقاة على المكتب في إهمال، وجهاز الكمبيوتر المفتوح على الإنترنت، غير مصدقة وقالت:

- أحضرتك المأذون؟! إذن أين الجبة والقفطان؟!

- سيادتك تشاهدين أفلامًا كثيرة.. المأذون موظف عادي، وظيفته تسجيل الزيجات والطلاق.

- ولكن أليس المأذونون شيوخًا؟

فابتسم قائلًا:

- الحقيقة، أنني كلما زوجت عرسانًا جددًا يسألونني نفس هذا السؤال..

ردت عليه مشيرة:

- لكن لديك سجلات بأسماء من تزوجوا أليس كذلك؟

- سجلات بمن تزوج في منطقتي.. نعم..

- ماذا تعني بمن في منطقتك؟

- كل مأذون يحتفظ بسجلات من يتزوج في منطقته فقط.

- ماذا إن كان الشخص قد تزوج في منطقة أخرى، ألا تعرف؟

- لا، ماذا تريدين بالضبط؟

ردت بعد تردد قصير..

- لي صديقة تريد أن تعرف إن كان زوجها قد تزوج بأخرى أم لا..

فتنهد المأذون قائلًا:

- ليس هذا الطلب الأول من نوعه.. ولكن يؤسفني أنني لن أستطيع أن أجيبها إجابة وافية.

فسألته وقد شعرت بإحباط شديد:

- لماذا؟

- كما قلت لكِ، أنا أستطيع أن أجيبها في حدود منطقتي، فإن كان قد تـزوج في هذه المنطقة أسـتطيع أن أخبرها بمن تزوج، أما إن كان قد تزوج في منطقة أخرى فلا أستطيع أن أفيدها.

- وما العمل إذن؟

obeikandl.com

- عادة يتم إخبار الزوجة الأولى بالزواج الثاني بالبريد.

- هذا إن أعطاهم الزوج عنوانها الصحيح.

فالتفت إليها وقال بلهجة تذكيرية:

- العنوان عادة مسجل في بطاقة الزوج يا مدام.

- عنوان صديقتي وعنوان زوجها في البطاقة عناوين قديمة لا صلة لها بمكان إقامتهما حاليًا.

اعتدل في جلسته وتثاءب وقال:

- إذن لن أستطيع سوى أن أكشف لها على اسمه في هذه المنطقة، وتستطيع هي أن تكشف على اسمه في المناطق الأخرى واحدًا واحدًا.

ردت عليه وقد شعرت أنها تدور حول نفسها في دوائر لا نهائية:

- ولكن هذا الكلام غير عملي، فلو افترضنا جدلًا أنها استطاعت أن تسأل جميع مأذوني القاهرة فماذا عن مأذوني الصعيد والإسكندرية وشرم الشيخ.. وكل المناطق الأخرى، أليست هناك جهة مركزية تسألها؟

- لا..

- إذن ليس هناك مفر من أن تبدأ في منطقتك وتحاول في المناطق الأخرى.

- إن كانت مصرة، فهذا هو الحل.

ردت عليه وقد شعرت أن أمامها طريقًا طويلًا:

- إذن فلنبدأ هنا، اسم الزوج وحيد حسنين عبد المعطي..

- لابد أن تأتي هي بنفسها.

خفضت رأسها وقالت بصوت هامس:

- أنا الزوجة..

- لقد خمنت ذلك ولكن لابد من إثبات لذلك..

أخرجت بطاقتها وأعطتها له، وأشارت إلى خانة اسم الزوج، فكتب الاسم على ورقة، ثم بدأ يفتش في سجلاته باحثًا عن بيانات الاسم، ثم استدار لها قائلًا:

- أتشكِّين في تاريخ معين..

أجابته بالنفي، فالتفت إلى جهاز الكمبيوتر، وأدخل الاسم:

- إن بيانات الخمس سنوات الأخيرة على الجهاز..

ثم أضاف:

- الاسم ليس مسجلًا عندي.. على الأقل في الخمس سنوات الماضية.. ولكنه إن كان متزوجًا قبل ذلك سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا كي أبحث في جميع الملفات القديمة..

قامت لتتركه شاكرة له على وقته وهي لا تعلم إن كانت سعيدة أم محبطة، فكانت تتمنى ألا يكون متزوجًا من أخرى من أجل أولادها، ولكنها في ذات الوقت كانت تتمنى أن تصل إلى الحقيقة لترتاح، فلو تأكدت أنه متزوج لارتاحت، وكفت عن البحث وراءه، ولكن عدم وجود

اسـمه في سجلات هذه المنطقة لا يعني بالضرورة أنه غير متزوج، وكادت تصـل عنـد الباب فناداها المـأذون ببطء، وقد رثى لحالها وشـعر برغبة في مساعدتها وقال:

- الحل الوحيد أن تذهبي إلى وزارة العدل في لاظوغلي، كلنا نسلم سجلاتنا هناك أي أن كل البيانات تصب هناك.

- وإلى من أذهب هناك؟

- إنها جهة حكومية وبها الكثير من الموظفين.. ألكِ معرفة هناك؟

- لا..

- إذن سيكون الأمر صعبًا بعض الشيء وسيستغرق منك وقتًا..

ردت عليه وقد تذكرت توهانها في دهاليز المصالح الحكومية عندما كانت تستخرج جواز سفرها بالعام الماضي.

- ولكن ألا تستطيع أنتَ أن تستخرج البيان لي..؟

- المفترض أن تذهب صاحبة الشأن..

- ولكنني أكره التعامـل مع الجهات الحكومية، كمـا أن لديَّ عملًا في الصباح..

- إنني ذاهب إلى هناك الأسـبوع القـادم، سـأحاول أن أحصل لكِ على البيان فأنتِ سـيدة طيبة وتستحقين المساعدة.. ولكن الأمر سيكلفك بعض الأتعاب..

- أنا أفهم طبعًا ولا مانع لديَّ..

- إذن اكتبي بياناتـه كاملة على هـذه الورقة ومري عليَّ بعد أسـبوع أكون جهزت لكِ البيان.

خرجت من عنده وقد شعرت ببعض الراحة لأنها ستعرف ما تريده.. ولكـن خطـر لها خاطر أقلقها مـن جديد.. فماذا لو لم يكـن وحيد متزوجًا بشكل رسمي، مسجل في السجلات الحكومية، فكيف ستعرف؟

***

obeikandl.com

-20-

دخلت ريهام وعبد الرحمن إلى قاعة الفرح والورود والزغاريد تحيط بهما، وكانت ريهام تبدو بفستانها الأبيض وتاجها الماسي ووجهها الذي أضاءته الفرحة كالملكة، أما عبد الرحمن فبدا وقورًا هادئًا كعادته دائمًا، ولكنه هذه المرة لم يستطع إخفاء ابتسامته كما كان يفعل دائمًا، وسار وإلى جواره ريهام وقد تأبطت ذراعه والفرحة تملأ عينيها، يحييان المدعوين، ويسيران على صوت الدفوف، وجميع الأعين عالقة بهما، حتى وصلا إلى الكوشة التي اختارتها ريهام على شكل أرجوحة تحيط بها الورود والستائر المخملية البيضاء والزرع الأخضر اليافع.

وعلى مقربة من العروسين جلس موظفو البنك على العديد من الموائد المستديرة، توسطتها باقات الزهور البيضاء تزينها الشموع الذهبية التي أضفت على القاعة جوًّا من السحر والأناقة عكَس ذوق ريهام الراقي، وكان عبد الرحمن قد خصص إحدى الموائد لمديري الفروع وأخرى لمن حضر من الفرع الرئيسي، والباقي لزملائهما من فرع المهندسين وعائلاتهم، وكانت أقرب مائدة للعروسين يجلس حولها الأستاذ شريف وإلى جواره نادية ابنته، وكانت قد عادت إلى مصر من رحلة بكين من عدة أيام، ومدام مُنى التي تركت مولودتها مع زوجها لتحضر الفرح، وفي الجهة

المقابلة أماني ومشيرة تثرثران بصوت منخفض بينما نيرمين وهالة ورانيا في الجهة الأخرى تشاهدن الشاشة الكبيرة التي تعرض صور العروسين في طفولتهما، واقترب منهم يوسف ضاحكًا وهو يقول:

- اليوم سنُطلق على سيادتك هارون الرشيد يا شريف بك، فأنت تجلس مع باقة زهور البنك..

أجاب هو مبتسمًا:

- أرجوك لا تحسدني يا يوسف، وتعالَ اجلس معنا..

أجابه:

- حسنًا سأنادي سناء وأحضر..

ثم التفت إلى مدام مشيرة متسائلًا:

- ألم يأتِ الأستاذ وحيد معك؟ نحن لم نره من مدة كبيرة..

ردت على الفور:

- إنه مشغول جدًّا هذه الأيام..

- ولكننا لم نره في فرح نادية أيضًا..

فردت وهي لا تريد أن تطيل الحديث في الموضوع:

- وحيد لا يحب حضور الأفراح كثيرًا..

ثم أضافت حتى لا يستكمل استجوابها:

- أين سناء؟ ألن تناديها..؟ لقد افتقدناها جدًّا فنحن لم نرها منذ أن باركنا لكم على التوائم حبايبي..

obeikandl.com

رد مبتسمًا وقد تذكر أولاده:

- سآتي بها حالًا..

وكانت سناء قد تركت توائمها الثلاثة لوالدتها لتخرج للمرة الأولى منذ ما يقرب منذ ثمانية أشهر، فقد كانت الفترة الأخيرة في الحمل بها الكثير من المشاكل واضطرت للنوم على ظهرها لأربعة أشهر كاملة حتى أنجبت أولادها، ومن وقتها وهي لا تتركهم أبدًا، فاقتربت منهم بفستانها الأسود الدانتيل، وقد بدت أجمل كثيرًا من سابق عهدهم بها، فقد أضفت الأمومة على وجهها دفئًا وإشراقًا ورضا، لا تراه إلا في عيون الأمهات، وحيتهم جميعًا وجلست إلى جوار نادية والأستاذ شريف ثم قالت:

- ألف مبروك يا نادية على الزواج..

- الله يبارك فيكِ حبيبتي..

- آسفة جدًّا أنني لم أستطع الحضور فقد كانت حرارة حسن وحسين ثمانية وثلاثين تصوري.. ولكنني سمعت أن الفرح كان رائعًا..

- شكرًا يا حبيبتي.. هذا فقط من ذوقك.

- لا صحيح لقد روى لي يوسف كل شيء بالتفصيل، الفستان والديكورات والبوفيه، سمعت أن عمرو دياب جاء..

- فعلًا..

- أتمنى لو كنت جئت، فأنا أحبه جدًّا.

ضحكت نادية قائلة:

- لا أستطيع أن أقول لكِ إن شاء الله في المرة القادمة تأتين..

ثم أضافت:

- ولكن أخبريني، سلامة الأولاد يا سناء.. ماذا كان بهم؟

- لقد كان التهابًا في اللوز، ولكنك تعرفين الواحد يخاف عليهم جدًّا في هذه السن..

وسألتها نادية وقد اجتاحها شعور جارف بالحنين للأمومة:

- كم عمرهم الآن حبايبي؟

فردت عليها بابتسامة عريضة وعينين يملأهما الحنان:

- أربعة أشهر.. لقد بدأوا يبتسمون وهم الآن يعرفونني ويعرفون والدهم.. بل إنهم بدأوا يقولون (ببب) كأنهم ينادون والدهم.. تصوري قبل أن يقولوا ماما.. يوسف فرح جدًّا بذلك..

ردت عليها نادية بصوت يشوبه بعض الحزن:

- إن الأطفال يجمعون الوالدين حتى لو كان لمجرد حل مشاكلهم..

ثم غيرت الموضوع قائلة:

- ولكن ما أخبارك الأخرى؟

obeikandl.com

ضحكت قائلة:

- حاليًّا ليس لديَّ أخبار سوى الرضاعة والغيار واستحمام الأولاد.. فعندما تنجبين كأنه أصبح لكِ ذراع جديدة خارج جسدك لابد أن تغذيها وتنظفيها وتراعيها، وتشعري دائمًا أنها معكِ في كل مكان حتى لو كنتِ قد تركتِها في المنزل، فما بالك بثلاثة أذرع جديدة؟

- ربنا يخليهم لكِ.. ويطيل عمرهم..

- صحيح لماذا لم تأتِ سامية هانم.. أنا لا أراها.

- مامي ومدام مها في مؤتمر محافظي الروتاري في فندق نوفوتال المطار.. ولكنهما سيأتيان فور انتهائهما.. فاليوم حفل ختام المؤتمر.. فلم يستطيعا التخلف..

- إنني فعلًا معجبة جدًّا بوالدتك يا نادية.. فأنشطتها الاجتماعية كثيرة ومتنوعة.. ومع ذلك ناجحة جدًّا في عملها.. فمجلتها قد أصبحت واحدة من أقوى المجلات في السوق..

- مامي لا تستطيع أن تجلس دقيقة واحدة بلا عمل..

- ألم تفكري في الانضمام لمجلتها بدلًا من العمل في البنك؟

- أنا لا أحب الكتابة كثيرًا، ولكنني لو أنجبت طفلًا حتمًا سأعمل معها بدلًا من ساعات عمل البنك المتعبة..

تدخل يوسف في الحديث وكان قد سمع نهايته:

- من قال إن ساعات عمل البنك متعبة..

ثم أضاف ضاحكًا بلهجة ساخرة:

- والـدك يا نادية لا يتعبنا أبدًا، ولا يبقينا في البنك لإنهاء العمل أبدًا نحن دائمًا نعود لبيوتنا مبكرين ولا نعود أبدًا الساعة السابعة ولا الثامنة..

رد الأستاذ شـريف وهو يحاول أن يدافع عن نفسـه إثـر هذا الهجوم غير المتوقع:

- أنا لا أبقيكم إلا إذا تطلب العمل.. أم عند أي منكم رأي آخر..

ردت مشيرة قائلة:

- الحقيقـة الأسـتاذ شـريف عـادة يراعـي الظـروف ولا يبقينـا إلا للضرورة..

أراد الأسـتاذ شريف أن يشـرك هالة في الحديث ولم تكن قد تعودت عليهـم بعد، فكانت تؤثر الصمت في التجمعات، وكانت الموسـيقى عالية تكاد تصم الآذان فاضطر الأستاذ شريف للصياح متسائلًا:

- ما رأيك أنتِ يا هالة؟ فأنتِ أحدث موظفة لدينا..

ردت بصوتها الرقيق:

- الحقيقة مواعيد البنك أفضل كثيرًا من مواعيد أماكن أخرى كثيرة، فكنـت قبل ذلـك أعمل في وردية ليلية في أحـد المطاعم وكانت المواعيد سيئة جدًّا..

سألتها نادية وقد اندهشت:

- أكنتِ تعملين في مطعم؟ وكيف جئت إلى البنك؟

فردت مشيرة مسرعة وقد فهمت أنها لم تكن تعرفها من قبل كما أخبرها الأستاذ شريف:

- لقد نشرنا إعلانًا في الجرائد وتقدم لنا مجموعة كبيرة، اختارت اللجنة هالة منها لسابق خبرتها في المجال..

وغير الأستاذ شريف الموضوع قائلًا:

- أين رامي يا نادية؟ ألم تقولي إنه سيأتي إلى هنا مباشرة بدلًا من المرور عليكِ في البيت؟؟

أجابته نادية وهي الأخرى تريد أن تغلق الموضوع:

- رامي لن يأتي اليوم.. فقد اضطر للسفر إلى الإسكندرية فجأة لمعاينة شحنة أثاث مستورد سيباع بالمزاد لعدم تسديد جماركه، لقد أخبرت مامي أنني سأعود معكم الليلة وأبات في غرفتي عندكم حتى يعود رامي بعد غد إن شاء الله، فقد أوحشني جدًّا البيت عندكم.

رد عليها والدها فرحًا:

- «تنوّرينا» يا حبيبتي..

وصمت لبرهة ثم مال على الأستاذ يوسف قائلًا بصوت منخفض:

- ما رأيك في أن نعرف الآنسة هالة بالأستاذ محمد في المركز الرئيسي، ألم يكن يبحث عن عروس؟

رد عليه يوسف بابتسامة هامسة:

– إنها فكرة جيدة جدًّا.. ولن نجد مناسبة أفضل من هذه.. سأعرفه بها عند العشاء..

والتفتت مدام سناء إلى نادية قائلة:

– كنت أتمنى أن أقابل الأستاذ رامي اليوم لأبارك له بنفسي..

– شكرًا يا سناء.. سأبلغه فور أن أراه..

– لِمَ لا تحددون يومًا نأتي لكم في منزلكم للتهنئة؟

وأضافت مدام أماني:

– كلنا لم نبارك لهم.. لابد أن تحددي ميعادًا نأتي فيه جميعًا مرة واحدة حتى لا نتعبك.

ردت عليها نادية بسعادة لأنها أصبح لها منزل خاص بها تستطيع أن تدعو فيه أصدقاءها:

– طبعًا طبعًا.. فور عودة رامي من السفر سأقرر الموعد معه، وأخبركم جميعًا.

وما أن انتهت من جملتها حتى دخلت زوجة الأستاذ شريف مدام سامية إلى قاعة الفرح مسرعة وهي تبحث عن الأستاذ شريف، ورامي يهرول وراءها محاولًا إثناءها عما نوت، وهو يكاد يفقد اتزانه في كل خطوة، ومدام مها زميلتهم تتبعهما عن بعد، واصفر وجه نادية عندما رأته فماذا أتى به من الإسكندرية؟ وكيف اجتمع بوالدتها..؟؟

obeikandi.com

وصلت إليهم مدام سامية مهرولة بعد السير وسط الموائد دون تحية أيٍّ ممن فيها على غير عادتها، ثم حيت من كانوا على مائدة الأستاذ شريف بلا تركيز، ثم نظرت إليه وطلبت منه القيام معها حتى تحدثه لخمس دقائق، فوقف معها على مقربة من المجموعة فأخذت تهمس له بمشكلة وهو لا يسمعها لارتفاع صوت الموسيقى والتي علت وقتها أكثر لاتجاه العروسين لتقطيع كعكة الفرح، فبدت مدام سامية تحاول شرح شيء ما، ومدام مها تحاول تهدئتها، والأستاذ شريف لا يسمع.

وأخذت الموسيقى تعلو وسامية ترفع صوتها حتى يسمعها الأستاذ شريف، فإذا بالموسيقى تتوقف فجأة وصوت سامية يخترق آذان مجموعة البنك الجالسة مع نادية على المائدة قائلًا:

- كان رامي مع رولا يشرب في بار الفندق..

فسألها الأستاذ شريف مندهشًا:

- رولا من؟ وأيُّ فندق؟

ردت مدام سامية ببطء والعيون كلها معلقة عليها وقد أدركت أنهم جميعًا سمعوها:

- إنها الفتاة اللبنانية التي كانت معهما في صور شهر العسل..

ساد صمت رهيب وازداد اصفرار وجه نادية، ووقف رامي لا يعلم أين يذهب، والأستاذ شريف في ذهول، وكل من على المائدة لا يعلمون كيف يتصرفون، فقد سمعوا جميعًا ما قالته والدة نادية، وكان المعنى واضحًا،

لم يكن رامي في الإسكندرية كما قالت نادية، وإنما كان مع امرأة في أحد الفنادق، ولم ينبس أي منهم بحرف، وبدأت الموسيقى مجددًا معلنة انتهاء تقطيع كعكة الفرح، وعلا التصفيق ورنت الزغاريد من كل أركان القاعة، وكل من حول المائدة صامتون بينما نادية لا تقوى على الحراك، ووالدتها لا تعرف ماذا تقول، بعد أن سمع الجميع ما قالته، وقطعت مشيرة الصمت على أمل تلطيف الجو فقالت بصوت يسمعه الجميع:

- إن الجو حار جدًّا هنا..

رد عليها يوسف:

- فعلًا..

أضافت أماني:

- لِم لا نذهب للعروسين لنبارك لهما؟

رأت المجموعة أنها فكرة صائبة تمكنهم من ترك نادية ورامي والأستاذ شريف وزوجته معًا على انفراد، فهموا بالقيام جميعًا، ولكن رامي استوقفهم بعينيه التي زاد احمرارهما حتى كادت تقترب من لون الدم، قائلًا:

- ليس الجو حارًّا.. وأنتم لستم ذاهبين للمباركة، بل لتركنا وحدنا، حتى تبدأوا النميمة علينا كما يحلو لكم، كل ما في الأمر أنني كنت أتعشى مع صديقة.. وأحذركم جميعًا بأن ينطق أي منكم حرفًا عنا..

قام يوسف لتهدئته قائلًا:

opeikanali.com

- لـم يحدث أي شـيء من أجـل كل ذلك.. فأي خطأ أو سـوء فهم يمكن أن يعالج..

رد عليه مغتاظًا مكملًا كلامه لهم:

- مـن بيته من زجاج لا يقذف النـاس بالطوب.. وليس فيكم جميعًا شخص واحد مثالي..

تدخلت أماني قائلة:

- اهدأ يا رامي..

- أنا أعني ما أقول.. فكلٌّ منكم لديه ما يخفيه..

رد عليه يوسف بثقة:

- ليـس لدينـا ما نخفيـه يا رامي.. ولكـن لا داعي لتصعيـد الموقف سوف نترككم تتكلمون معًا في هذه المسائل العائلية..

رد عليه بقوة وقد عقد حاجبيه محاولًا التركيز:

- بل سـأصعد الموقـف.. وأنتَ بالتحديـد يا من أحببـت ولم تطل محبوبتك لا تتكلم.. حتى لا أتكلم..

نظر رامي إلى مشـيرة نظرة ذات معنى فرفعت حاجبيها في دهشة مما يقول، بينما نظرت سناء إلى زوجها في ذهول..

تدخلت أماني مرة أخرى قائلة:

- إن ما تقوله لا يصح يا رامي..

obeikandl.com

رد عليها وقد احتد بعض الشيء وهو ممسك بالكرسي أمامه حتى لا يقع:

- وما علاقة حضرتك بما يصح وما لا يصح؟

ثم تردد قليلًا قبل أن يكمل الجملة:

- وأنتِ في كل يوم تعيشين مغامرة عاطفية جديدة..

فصاحت فيه أماني بغضب:

- ما هذا الهراء.. ومن أنتَ كي تتكلم عني أو تحكم على تصرفاتي؟

رد عليها بغيظ:

- لست أنا الذي أقول.. بل كل البنك يقول ذلك من خلف ظهرك..

صاحت فيه مدافعة عن نفسها:

- لست على علاقة بأحد.. إنني سيدة متزوجة..

رد عليها بلهجة تحد واستنكار:

- ولماذا إذن لم تعرفينا بزوجك هذا؟

فصمتت وقد اصفر وجهها..

خطر لمشيرة خاطر شل تفكيرها.. ولكنها ما أن تمالكت نفسها حتى أمسكت بيد أماني، فإذا بالدبلة الماسية التي رأتها في يد صاحبة

obeikandl.com

الصورة في هاتف زوجها المحمول في يدها، وامتقع وجه مشيرة ووقفت في ذهول وهي لا تدري ماذا تفعل.. ثم نظرت إلى أماني وهي تحاول ألا تصدق نفسها وأخذت تسألها:

- من الذي تزوجتِه يا أماني..؟ من ؟ ردي عليَّ؟

خفضت أماني رأسها ولم ترد، فأخرجت مشيرة هاتفها المحمول من حقيبتها بيدين مثلجتين وصدر يكاد ينشطر من قوة دق قلبها، وفتحت الصورة التي نقلتها من هاتف زوجها، وأخذت تتأملها وقد اختلطت ضحكتها العصبية الساخرة لاكتشافها الحقيقة، بدموعها الساخنة حزنًا على حالها، وأخذت يد أماني مرة أخرى بين يديها المرتعشتين، وأخذت تقارن الصورة بيدها وبها الدبلة وهي لا تكاد ترى من كثافة الدموع في عينيها، ثم استدارت ببطء شديد لتخرج من القاعة، ودموعها الصامتة تسيل على خدها، وشعور بجرح عميق في روحها وليس فقط قلبها لا تظن أنه سيندمل أبدًا قد أخذ يغوص في كيانها، فبالرغم من أنها كانت شبه متأكدة أن زوجها كان متزوجًا بأخرى، ومن أنها شكت في نصف من تعرفهن.. لم تتخيل أبدًا أن يكون متزوجًا من أماني.. فأن يكون زوجها متزوجًا شيء.. وأن يختار أعز صديقاتها شيء آخر تمامًا.. وهرولت للخارج وشعور بالغثيان يجتاح أوصالها، إنها تكرهه وتكرهها بل تكره الدنيا كلها.. ولكنها لأول مرة في حياتها عرفت ما تريد.. وحددت ما تنوي أن تفعله.. لقد حان الوقت كي تصالح نفسها.. ويكفيها أنها كرهتها لسنوات.. لن تتنازل بعد الآن.. وخرجت من القاعة لتفعل ما كان يجب أن تفعله منذ زمن بعيد.. وأماني تهرول وراءها محاولة اللحاق بها وهي تقول:

- أنـتِ التـي قلتِ إنكِ لا تريدينه يا مشـيرة.. لقد كنت أستشـيره في تشطيب شقة ابني.. ثم.. ثم..

ومشـيرة لا ترد، ماضية في طريقها لا تريد أن تسـمع منها شـيئًا.. فلم يعد أحد يستطيع أن يوقفها الآن..

ونظرت مدام مها إلى رامي في عتاب قائلة:

- أسعيد بما فعلت؟

رد عليها بصوت أكثر هدوءًا وهو يهز رأسه:

- أنا لا أحسس على مشاعر الناس مثلك ولا يهمني رأي هؤلاء..

- إنهم زملاؤك يا رامي..

أجابها بلهجة ساخرة:

- أتقولين ذلك وأنتِ لا تحدثين أيًّا منهم إلا لتبيعي له شيئًا..؟!

نظـرت إليـه بغضب، وأدارت ظهرهـا له لتواجه مدام سـامية محاولة تهدئتها، فأضاف:

- آه نسيت فأنتِ تابعة مدام سامية تذهبين وراءها إلى كل مكان على أمل أن تُدعي لغداء أو عشاء أو تظهري معها في مجلة!

قاطعه الأستاذ شريف قائلًا:

- كفى يا رامي لا تجرح الناس أكثر من هذا..

- أنا لا أجرح.. أنا فقط أكشف كل شخص على حقيقته حتى يعرف كل شخص مقدار نفسه..

- لقد أخطأت في حق الجميع بينما أنتَ المخطئ الأصلي..

- أنا لم أخطئ لقد كنت أتعشى مع صديقة في أحد الفنادق.. فماذا في ذلك؟

أجابه الأستاذ شريف بحدة:

- انظر لنفسك وأنتَ تعرف ماذا في ذلك.. إن رائحة الخمر تفوح منك على بعد أميال.. ثم ما علاقتك أساسًا بتلك الفتاة كي تخرج معها للعشاء؟

رد عليه رامي بتحدٍّ:

- إنها نفس العلاقة التي جعلتك تفضل الآنسة هالة على جميع المتقدمين إلى البنك وتعينها بالرغم من عدم معرفتها للإنجليزية..

فامتقع وجه الأستاذ شريف ورد عليه بغضب وقد قام واقفًا:

- لقد تخطيت حدودك يا رامي!

صاح رامي وكان قد فقد تمامًا السيطرة على أعصابه..

- بل كيف تحاسبني وأنتَ نفسك لا تستطيع تبرير أفعالك..

سالت دموع هالة على خدها، واسود وجه مدام سامية وكادت تقع ومدام مها صديقتها تحاول مساعدتها لتجلس على كرسي وراءها، وصاح يوسف في رامي كي يسكت:

- كفاك تجريحًا يا رامي.. ماذا حدث لك؟ أجننت؟

obeikandl.com

قاطعه الأستاذ شريف:

- أنـا لا أحتـاج لمن يدافع عني يا أسـتاذ يوسـف.. لقـد عين البنك الآنسـة هالة لأننا نحتاج إلى شـخص فـي خبرتها في التعامـلات النقدية.. وأنتَ تعلم ذلك جيدًا.. كما تعلم أنه ليس هناك شيء بيني وبين أي موظف في البنك.. واتهامك هذا ستحاسب عليه..

رد رامي وقد شعر أنه فعلًا تخطى الخط الأحمر:

- أنا آسف لم أكن أقصد شيئًا.. ولكن كل ما أردت قوله هو أنه ليس هناك أي علاقة بيني وبين رولا يا أسـتاذ شـريف.. لقد كان مجرد عشـاء.. كنـت أحاول أن أرد لها به بعـض جميلها علينا في تايلاند.. وأنا لا أرى في ذلـك أي خطأ.. ثم إنها وعدتني بأنها ستسـاعدني في عملية الاسـتيراد من الصين بحكم عملها كمضيفة..

قال الأستاذ شريف وهو يحاول أن يتمالك أعصابه:

- ولماذا لا تشرك زوجتك في كل ذلك، إن كان حقيقيًّا؟

فأضافت مدام سامية بحدة:

- نعـم لمـاذا أخفيـت كل ذلـك عـن ناديـة؟ لقد قلـت لها إنـكَ في الإسـكندرية فـي رحلة عمل يا رامي.. ولم تقل لهـا إنك تقضي الوقت هنا في فندق في القاهرة مع صديقة كما تقول..

فقامت نادية واقفة وقررت أن تنهي المناقشة قائلة بصوت حاولت أن تجعله هادئًا وبدا فيه الكذب واضحًا بالرغم من محاولتها إخفاءه:

- إن رولا صديقتنا ولا مانع من أن يدعوها رامي للعشاء.. لقد أخبرني أنه سيدعوها قبل سفره.. ثم بعدها يسافر للإسكندرية.. وأنا فضلت أن آتي للفرح وألا أصحبه في هذا العشاء، ولكنني للأسف نسيت الموضوع تمامًا، ولم أخبر مامي.. لقد كانت تظن أنه ذاهب مباشرة إلى الإسكندرية كما قلت لها.. ولذلك اندهشت حين رأته في القاهرة.. وهي بالتأكيد مخطئة في رد فعلها..

ثم قامت ملتفتة لرامي وقالت بلهجة حازمة وقد اتجهت نحو الباب:

- هيا بنا يا رامي.. لقد تعبت.. أريد أن أعود إلى منزلنا مادُمت لم تذهب إلى الإسكندرية..

استدار رامي خارجًا خلفها، بعد أن ترك عاصفة من الاتهامات والشكوك وراءه، وهو يشرح لنادية أنه كان يجامل رولا لا أكثر، وأنها ربما تساعده في عملية الاستيراد، وبأنها أخبرته أن لها علاقات في الصين، وبأنه كان حتمًا سيخبرها، فالتفتت إليه وسألته وعيناها قد اغرورقت بالدموع:

- أتبرر ما فعلته لي أم لنفسك يا رامي..؟

ثم سارت أمامه متباطئة تجر أذيال فستانها الوردي الرقيق، ودموعها متجمدة في عينيها، وشعور بالألم يعتصر قلبها، وهي تنصت إليه، وتحاول جاهدة أن تجعل نفسها تصدق مبرراته.. وذهنها مشغول تفكر فيما تفعله معه..

***

-21-

وأشرقت الشمس يوم الأحد كعادتها كل يوم، وُلد البعض ولم يستيقظ آخرون.. اجتمع أناس وافترق غيرهم آخرون.. ضحك البعض وبات الباقي يبكون.. أشرقت شمس يوم جديد واتجه الناس إلى أعمالهم.. وموظفو بنك مانهاتن إلى مكاتبهم.. والعملاء يدخلون ويخرجون.. يطلبون خدمات.. والموظفون يكتبون ويسجلون.. يتحدثون وينمون.. يحزنون ويفرحون.. يقهقهون ويدمعون.. ولكن في النهاية يخدمون عملاءهم.. وهم يبتسمون.. والكل يعرف أن الحياة لابد أن تستمر.. والساقية لابد أن تدور..(ومع إشراقة كل يوم جديد: «نقطة .. ومن أول السطر») .

***

obeikandl.com